

البيان والبيان

في التاريخ

للإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء التاسع



مطبعة السقاوي بحار حافظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ﴾

ففيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ، فقدمها فأقام بها أشعرا ثم خرج معتمرا ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبني في بني سامة مسجدا ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابرا وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصرنا عثمان بن عفان ، وخطبهما خطابا غليظا قبحه الله وأخزاه ، واستنقى أبا إدريس^(١) الخولاني أظنه على الين والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بنىه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان الكعبة جميعه . بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سده وأدخل في جوف الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقية الحيطان الثلاثة بجاحا ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما ملتصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكعبة وردم أسفل الشرقي حتى جعله مرتفعا كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله ﷺ كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك حديث عهد بمكسر - وفي رواية - بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، ولأنصتتهما بالأرض ، فان قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم

يشمونها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . فلما تمكن ابن الزبير بنائها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودعنا لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن سروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمرأ الأرباع معه على منازلهم حتى نزل بامرهم ، فلم يقيم عليها إلا عشراً حتى جاءه نهي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرخص بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبشوا في آثارهم من يردهم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فعملوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحابهم فركبوها ثم ساروا إلى بعض البسلاط فلم يزالوا محتفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتى بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح القيس عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فانه قد كادت الفتنة تنفلقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليّه طخارستان فخوفه منه أن يخلفه هناك فتركه مقياً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والحجامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

(ذكر من توفى فيها من الأعيان)

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفيين مع علي وكان يعملاً المزارع والفلاحة ، توفى وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأُسند ثمانية وسبعين حديثاً . وأخذه جيدة . وقد أصابه يوم أحد منهم في ترقوته فغرد رسول الله ﷺ بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه العظبة ويشهد له يوم القيامة ، فاختار هذه ، وانتفض عليه في هذه السنة فمات منه رحمه الله .

(أبو سعيد الخدري)

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استنصر

يوم أحد ، ثم كان أول مشاهد الخندق ، وشهد مع رسول الله ﷺ ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين فأن الله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : « النبيون قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالقر حتى ما يجد إلا السرة - وفي رواية - إلا المباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى بالقل حتى ينفذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » . وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله ﷺ يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستفتوا عن المسألة فإنه من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أبيتم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدتم » . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

(عبد الله بن عمر)

ابن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجراً وعمره عشرة سنين ، وقد استصفر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازه وهو ابن خمس عشرة سنة فشدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون ، وكان عبد الله بن عمر ربعة من الرجال آدم له حمة تضرب إلى منكبيه جسيماً بخضب بالصفرة ويحفي شارب ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراد عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما من وقائع الفرس . وشهد فتح مصر ، واختلط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مراراً وكان عمره يوم مات النبي ﷺ ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقر به إلى الله عز وجل ، وكان عبده قد عرفوا ذلك منه ، فربما زام أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحال اعتقه ، فيقال له : إنهم يخذعونك ، فيقول : من خدعنا الله أنخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها ابنة نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول (إن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) واشترى مرة بغيراً فأعتقه لما ركبته فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف فقال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام :

يامولاي قد أعتقتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً ، واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم . والمقصود أنه مامات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بنلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يدق فيه لحماً إلا وعلى يديه يقيم ، وبمث اليه معاوية بمائة ألف لما أراد أن يبايع يزيد ، فما حال عليه الحول وعنده منها شيء ، وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرد ، وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، وكان يتبع آثار رسول الله ﷺ يصلي فيها ، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتماهدا ويصب في أصلها الماء ، وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحياناً تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقبل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خير من بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم ، وعنه خلق منهم بنوه حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظاً ، وأسلم مولى أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاووس وعروة وعطاء وعكرمة وجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع .

وثبت في الصحيح عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل » . وكان بسد يقوم الليل ، وقال ابن مسعود : إن من أملك شهاب قریش لنفسه عن الدنيا ابن عمر . وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرم ، وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه ، وقال الزهرى لا يعدل برأيه فانه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفقي في الاسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم .

﴿ عبيد بن عمير ﴾

ابن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، الأثبي ثم الخندعي ، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة ، قال مسلم بن الحجاج . ولد في حياة النبي ﷺ ، وقال غيره ورآه أيضاً ، وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلى وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمر وأنس وسلمة وغيرهم ،

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقة ابن معين وأبو زرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقة ويبيكي وكان يمجبه تذكيره ، وكان بليغا ، وكان يبكي حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جرير قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمدًا شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحسن غير متطاول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

﴿ أبو جحيفة ﴾

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي ﷺ ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي ﷺ لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسامة بن كليل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين لله . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

﴿ سلمة بن الأكوع ﴾

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يقضي بالمدينة ، وله مشاهد مرودة في حياة النبي ﷺ وبعده ، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

﴿ مالك بن أبي عامر ﴾

الأصمعي المدني وهو جد الإمام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً ، توفي بالمدينة .

﴿ أبو عبد الرحمن السلمي ﴾

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافسة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عامر بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

﴿ أبو معرض الأسدي ﴾

اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ ، وفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

﴿ بشر بن مروان ﴾

الأُموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة المراقين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة الباب ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجير ، وهو الذى قتل خالد بن حصين السكلابي يوم مرج راهط ، وكان لا يغلظ دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يجيز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فان هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في عينه فقتل له يقطعا من المفصل فخرج فدا أحسن حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما احتضر جمل يبكي ويقول : والله لو ددت أنى كنت عبداً أرغى النعم في البادية لمض الأعراب ولم أل ما وليت ، فذكر قوله لابي حازم - أو اسميد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا نرى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يشامل على سريه ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشمراء أن يرثوه والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ﴾

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار - صائفة الروم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبى العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقبوتته وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثنى عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم التجائب ، فنزل قريب الكوفة فاغتسل واغتضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عنقه العمامة بين كتفيه ، ثم سار فنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أخذ المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يملأون ، فصعد المنبر وجلس عليه ، وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا الذى كان قبله ، فلما سكث أبتهم وأحبوا أن يسموا كلاله ، فكان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والتفاق ، ومساوى الأخلاق ، والله إن كان أكرم إليهمنى قبل أن آتى إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يبتليكم بى ، ولقد سقط منى البارحة سوطى الذى أؤدبكم به ، فالتفت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صفيركم بكبيركم ، وحركم بعمدكم ، ثم لأرصنكم رصع الحداد الحديدية ، والخباز العجينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وقيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهراً فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضح العمامة تعرفونى
ثم قال : أما والله إنى لأحل الشئ بحمله ، وأحسنه بنمله ، وأحزمه بقتله ، وإنى لأرى رؤساً قد أينست وأن اقتطافها ، وإنى لأنظر إلى الدماء تترقرق بين الدمام والماء الحى ، قد شمعت عن ساقها فشمري ، ثم أنشد : -

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لغها الليل بسواقى عظم
لست براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لغها الليل بمصلبى اروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمر بعماز ، ولا يقعق لى بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجربت من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدياتها عوداً عوداً فوجدنى أمرها عوداً وأصلبها مغزاً فوجهنى إليكم ، فأنتم طالما رتعتم فى أودية الفتن ، وسلبكم سبيل العى ، واختارتم جدد الضلال ، أما والله لأخونكم لحنى العود ، ولأعصبنكم عصب السلطة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الأبل ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فإياى وهذه الجماعات وقيل وقال ، والله لتستقيم على سبيل الحق أولاً دعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده .
ثم قال : من وجدت بعد ذلك من بعث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجموا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سفكت دمه وأذهبت دله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطلال السكوت حتى أن محمد بن عمير أخذ كفاً من حصى وأراد أن يعصبه بها ، وقال : قبجه الله ما أعياه وأذمه ! فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يقتار من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاخته . ويقال إنه قال فى خطبته هذه : شامت الوجوه إن الله ضرب (مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) وأنتم أولئك فاستوا

واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ، ولأعصبنكم عصب السلة حتى تنقادوا ، وأقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أو لأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أياي والاولاد يتامى ، حتى تمشوا السهمى وتقلعوا عن هاوها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيراً فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به التهريب . وقد عصفت عجايزة تحتها قصف ، يابى المكيعة وعبيد المصا وأبناء الأماء والأياي ، ألا يربيع كل رجل منكم على ظلمه ، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدباً لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابئ التميمي ثم الحنظلي فقال : أصلح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا أبى هو أشب منى . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابئ التميمي ، قال : أسمعتم كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم . قال : ألسن الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا ، قال أوليس هو الذى هو يقول :

هممت ولم أفعل وكدت ولم أفنى فعلت ووليت البكاء حلايلا

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن فى قتلك صلاح المصيرين ، ثم قال قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فاضرب عنقه وانتهب ماله ، وأمر مناديا فنادى فى الناس ألا إن عمير بن ضابئ تأخر بعد سماع النداء ثلاثا فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فعبى عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من منجج ، وخرجت معهم العرءا حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . وبرى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضابئ حتى قال له عنبة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحسك بن أيوب الثقفى نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحاً ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزاردة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة وثب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابئ قام فى أهل البصرة فخطبهم فظير ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتهديد والتهديد الأكيد ، ثم

أثنى رجل من بني يشكر قبيل هذا عاص ، فقال : إن بني فتنا وقد عذرتني الله وعذرتني بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود علي بيت المال ، فلم يتقبل منه ، وأمر بقتله فقتل ، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز ، وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمره الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أمير عبد الله بن الجارود في رؤس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم قطعتم ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فتوى بذلك وضمف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فهضا عن مهبما إلى الخوارج الأزارقة فأجروهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كاذرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الآخر من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من أتيل فوجدوه قد تحصن بخندق حول مسكره ، فجاؤا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد نصره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزموهم هزيمة منكرة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الوقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يمهدهم الله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي سفرة فاضطروه إلى مسكره ، فجعل عبد الرحمن يمدده بالخيال بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه ، وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزيه فيه فعماه عبد الملك إلى الناس بني ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجحد بدأ من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ويصيده كثيراً ، ثم تقاولا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسرح أحد بني أمية التيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والاقامة بها ، وكان له جماعة يلوذون به ويعتقدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ويقص عليهم وكان مصفراً كثير العبادة ، وكان إذا قص بحمد الله ويثنى عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأم بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويبحث على ذكر الموت ويترحم على الشيعة أبي بكر وعمر ، ويثنى عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من نخرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، ويندم الدنيا ذمماً بالتمام ، ويصغر أمرها ويحقرها ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطنه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتوافعوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجمل والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان . كما سند كره في هذه السنة التي بمدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفي فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد (العرباض بن سارية) رضي الله عنه السلمي أبو نجيع سكن حمص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر بن عتبة ونزل الصفة ، وكان من البكائيين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أماءهم عند قوله (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة وجلت منها القلوب وزرفت منها الميرون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي ﷺ « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك ، وروى أحاديث .

(أبو ثعلبة الخشني)

صحابي جليل شهيد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان من نزل الشام بداريا غربي دمشق إلى جهة القبلة ، وقيل ببلاط قرية شرقي دمشق فأنه أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناشر ، وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرهمي ، وكان ممن يجالس كسب الأخبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيستفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخلفني الله عند الموت كما أراكم تخلفون ،

فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت روحه وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أباه قدسات فانتبهت مذعورة فقالت لا بها ابن أبي ؟ قالت : هو في مصلاته ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فخر كنه فسقط جنبه فاذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية فأن الله أعلم . وقد توفي في هذه السنة .

﴿ الأسود بن يزيد ﴾

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره ، وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبتت بالغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه .

﴿ حمران بن أبان ﴾

مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين النمر اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتماع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشبيب بن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بتقوى الله وحثهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوه إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فنفروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدي بن عدي بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار في ألف من حران إليهم ، وكانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما انتقوا مع الخوارج هزمهم الخوارج هزيمة شنيعة بالغة ، واحتدوا على مافي مسكرهم ، ورجع فهدم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جعونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما اتفوا إلى آمد توجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً في الباقي إلى الحارث بن جعونة ، فافتتل الناس قتالاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن

الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن سردان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا المدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلاً ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس ، وجعل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى يمينه أبو الرواح الشاكري ، وعلى يساره الزبير بن الأرواح التميمي ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبراً شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مسرح أميرهم ، وصرع شبيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هنالك ، وقد بقي معهم سبعون رجلاً ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم فيتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والدلول من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتار شبيب وأصحابه ما في معسكرهم ، وكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار فجاز المدائن فلم ينل منهم شيئاً ، فسار فأخذ دواً للحجاج من كلودا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمهم إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب ، فمروا على المدائن ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريد أن يخالف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرها وينهب ما فيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وشبيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارساً ، وهذا من أعجب العجيب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكماله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخاف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفاً منه ويتحصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشبيب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له قليل له : قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له

الطعام : أجده وأضججه ومجمل به ، فلما استوى أكله ثم توضأ وضوءاً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة بطويل وظمأ نينة ، ثم لبس درعه وثقل سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : أنا أبو المله لالحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سعيد بن الجالد ، وحمل على الجيش الآخر انكشيف فصارع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم المهاجرين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يأمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها العصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصده محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرافهم ، منهم أبو سليم والديث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله المامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت ممرودة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تدم بن مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى بحال الطعن والضرب ، فجهز الحجاج في آخر سنة آلاف مقاتل ، فساروا وراءه وهو بين أيديهم ينفس بهز رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم زائدة بن قدامة ، قتله شبيب [وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لخر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهمزمت جموعه بمد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ، فن أعيانهم عقيل بن شداد السلولي ، وخلد بن نهمك الكندي ، والامود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فتقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شردمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس دعباً ^(١) وجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من

نقشها . [وقال الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية : اختلف في أول من ضربها بالمرية في الاسلام فقال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الدراهم المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير والدراهم رومية وكسروية ، قال أبو الزناد : وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين ، وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الأفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد ، قال : وحكي يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدراهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكسرة ، عليها الملك من جانب ، والله من جانب ، ثم غديرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب ، ثم خلصها بعده يوسف بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية . وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها الدراهم البعلية ، وكان الدرهم منها ثمانية دنانق ، والطبرية وكان الدرهم منها أربعة دنانق ، والعيني دنانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البعلی والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم ^(١) .

وفيها ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو العباس . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم .

[ومن توفى فيها من الأعيان أبو عثمان النهدي القاضي اسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي ﷺ وغز أجولاء والقادسية وقسرة ونهادند ، وأخذ بيحجان وغيرهما ، وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم الليل ، توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة .

(صلاة بن أشيم المدوي)

من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل ورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصبياء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا في النهار عن الطريق وناموا الليل فمضى يتطعمون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام . ثم تبع صلاة فلم يزل يتعبد معه حتى مات . ومر عليه فمضى يجرؤ به فهم أصحابه أن يأخذوه بأنسنتهم فقال : دعوني أكنفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخي لي إليك حاجة ،

قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ولعمري عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لثمتكم . ومنهما حكاة جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند المئمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصمدت أنا في شجرة ، قال فتراه التفت أوعدده جرواً حتى سجد فقلت : الآن يفترسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لثبيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بحمده لم أسمع بمثلهما ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبى من الغيرة شيء الله به عليم . قال : وذهبت بغلته بثقلها فقل : اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلتي بثقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعنا بهم طعنا وضرباً ، فقال العدو : رجالنا من العرب صنعنا بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني أنزلوا على حكمهم - وقال صلة : جئت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعوني وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض فاذا فيه دوخلة ملائكة رطباً فأكلت منه حتى شبع ، وأدركني المساء فقلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فاذا نخلات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تريه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأنيت فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركتهما ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس . وقال له رجل : أدعو الله لي : فقل رغبتك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا بركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صله فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت : إن كنتن جئتن لتبنيئني فرحباً بكن ، وإن كنتن جئتن لتعزيفني فارجعن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة .

في زهير بن قيس البلوي

شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم بقرقة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أتي

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا برقة ، فأمره بالتهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحماؤهم فقتلوا جميعاً (المنذر بن الجارود) مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم (١) .

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين)

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً وانضاف إليهم عشرة آلاف ، فصاروا وخمسين ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب أين كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة . ولما بلغ شبيب ما بعث به الحجاج إليه من العساكر والجنود ، لم يعبأ بهم شيئاً ، بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكركم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سلاماً من يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة تامة الركوع والسجود ، وصف عتاب أصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المداة لا حكم إلا لله ، فزعمهم وقتل أميرهم قبيصة بن ورقاء وجماعة من الأمراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبر بن وداسوا الأمير عتاب وزهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ من بقي منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة تنهبون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والخواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحنكي من مدحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرته أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، اخطوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتل معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وعمار شبيب حتى

(١) سقط من المصرية

بلغ الصرارة ، وخرج إليه الحجاج بن معه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج إلى شبيب وهو في سائمة فخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغفلن باطل هؤلاء الأراجيس حتمكم ، غصوا الأبصار واجثوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسمنة ، ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع المجلل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرميه الذي هو جالس عليه إلى الامام ، ثم أمر شبيب انجمل أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرميه إلى أمام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كثيبته فثبتوا له حتى إذا غشى أطراف الأسمنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمانه . فحمل فلم يفد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرض شبيب أصحابه على الخيلة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشى دون الفتح ، فجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيه نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما ورائها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسى بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة قبائى الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن دقاق الكلابي ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فزموهم ، وتخلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلق واتبعه الطلب فجعل ينمى وهو على فرسه حتى يحقق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل بعض أصحابه ينهأ عن الناس في هذه الساعة فجعل لا يكثر ثوبهم

و يعود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .
ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شيبداً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب
الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يشقوا تلون إلى يوم الجمعة
[وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث
ابن معاوية فنكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس
السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه
ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فمروا
بمعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى
بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض
الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، - وكان صديقه - فقال له
شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك فلا تفرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ،
ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فهدس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفته
ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطبقوه ولم
يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قدراً من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة ^(١)

﴿ ذكر مقتل شبيب في هذه السنة عند ابن الكلابي ﴾

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى فائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن
أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون
تبعاً لسفيان بن الأبرد ، ففعلوا وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه ، وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل
الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا
إلى شبيب فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج
فحملوا على الخوارج حملة منكراً والخوارج قليلون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى
جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، وردده
شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهائياً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر
ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحو
من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ،
وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر قتل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول (ذلك تقدير العزيز العليم) ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيبا من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة الانسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائهم ، فلما تخلف في الساقة اشتدوا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فالت السفن بالجسر ونفر فرسه فسقط في الماء ففرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فغرف جيش الحجاج ذلك نجوا فاستخرجوه ، ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إلى كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعملت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنها في الحروب . وذكر ابن خلكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضا شديدة البأس تقاتل قتالا شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء :

أسد على وفي الحروب نعامه * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغا * بل كان قلبك في جناحي طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن النسلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيبان الشيباني ، يدعى الخلافة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من انفرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يدى الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بعسكر الشام لقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر جيل قال له رجل : أغرقا يا أمير المؤمنين ، قال (ذلك تقدير العزيز العليم) قال ثم أخرج وحمله إلى الحجاج فأمر فنزع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أشمطاً جمعاً ، وكان مولده في يوم عيد الحر سنة ست وعشرين ، وقد أمك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت

القائل : فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمر وومسكم هاشم وحبيب

فما حصين والبطين وقعن * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأمرهم قطري بن النجاعة ، وكان قطري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين

وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فانه شرد في الأرض
وقد جرت بينهم مناوشات ومحاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال
ابن جرير : وفي هذه السنة ثار بكير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله
ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد
استقصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كاقدمنا ، وقد كان من
الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشر وابنه إبراهيم ومصعب بن
الزبير وأخيه عبد الله ومن يناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن الفجاءة من الأزارقة والله أعلم .
وفيها توفي من الأعيان ﴿ كثير بن الصلت ﴾ بن معدى كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في
قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام .
﴿ محمد بن موسى ﴾ بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاد سجستان ، فلما
سار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك
وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ عياض بن غنم الأشمري ﴾

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

﴿ محارف بن عبد الله ﴾

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحمزة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على
أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحمزة على همدان .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ﴾

ففيها كانت غزوة عظيمة للساميين ببلاد الروم افتتحوا إرقيلية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج
وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه
فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها
عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب
الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن
عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة
أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فن أثنى عليه المهلب أجزل
الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر إمرة خراسان ،
ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقليل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابته إلى ذلك ، وألزم المهلب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك .
قال أبو معشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أبان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري . وقد توفي في هذه السنة من الأعيان جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرًا فمعه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثًا .

﴿ شريح بن الحارث ﴾

ابن قيس أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عزله على ، ثم ولده معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية (يادود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر ، وقيل إنه مكث قاضيًا نحو سبعين سنة ، وقيل إنه استعفى من القضاء قبل موته بسنة فأنه أعلم . وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، توفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز بن ثعلبة عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شبيب ابن الحبحاب عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعمش : اشتكى شريح رجله فطلاها بالعلل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحًا . فقالوا : ألا أريتها الطيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيرًا . وفي رواية أنه خرج بإمامه قرحة فقالوا : ألا أريتها الطيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا مأسداً ديناراً ولا درهماً ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ ، وفي رواية : كيف يما في صدري تلتقي الفتيان وإحداهما أحب إلى من الأخرى . وقال لقوم رأيهم يلمبون : مالي أراكم تلمبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله العبدي : حدثنا العلاء بن جرير العبدي حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الخائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سميت ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالرفاء والبنين ، قال : إني اشتريت لها دارها ، قال : الشرط أملاك ، قال : أقض بيننا ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمفاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيتهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب . وأنت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أبا أمية ! تينك وأنت المستعان به أمك جدة ابن وأم وكلنا أنا تفديهِ (١)
فلو كنت تأمنت لما نازعتك فيه تزوجت فبأنه ولا يذهب بك القيه
* ألا أيها القاضي فهذه قصتي فيه *

قالت الأم : —

ألا أيها القاضي قد قالت لك الجدة * قولاً فاستمع مني ولا تطردني رده
تعزى النفس عن ابني * وكبدي حلت كبده
فلما صار في حجرى * يتما مفرداً وخده
تزوجت رجاء الخير * من يكفيني فقده
ومن يظهر لي الود * ومن يحسن لي رفته

فقال شريح : —

(١) هذه الايات طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قد سمع القاضي ما قلتما ثم قضى * وعلى القاضي جهد إن غفل
قال للجدة بيني بالنصي * وخذى ابنك من ذات العمل
إنها لو صبرت كان لها * قبل دعوى ما تبتغيه للبدل

فقضى به للجدة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شريح أنه قضى على رجل باعترافه فقال : يا أبا أمية قضيت على بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك . وقال علي بن الجعد : أنبأنا المسعودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذباب فقال : عذف مجان ولبن طيب . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي حيان التميمي حدثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مشعب « شارع » إلا في جوف داره يفعل ذلك انتقاء أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقى السنور في جوف داره لئلا تؤذى بنتن ريجها المسلمين - ، وكانت مياذيب أسطحة داره في جوف الدار لئلا يؤذى بها المارة من المسلمين . وقال الريثي : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتمجدها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب النحوي حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سمان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فانك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يعد أمراً لكأمله ومن تظلمه أيامه ، وإنك وإياهم على بساط واحد ، وإن المنمجم من ذى قدرة لقریب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفنتك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله ﷺ فاقض بها ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به . وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فإن لم يكن فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فالتفتي إلى قاص يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! قص ونحن قريبو العهد ؟ أما إنى سائلك فإن نجب فما سألتك وإلا أدبتك ، فقال القاص : سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبت الايمان وزوانه ؟ قال القاص : ثبت الايمان الورع وزوانه الطمع . قال علي : فذلك قصص . قيل إن هذا القاص هو نوف البكالي . وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما نعمك الله بهذا ولا ضرتني .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فمطب ، فقتل لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا اقال : فاجعل بيني وبينك حكما ، قال الرجل نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقضا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتغته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفة يومئذ .

وقال هشام بن محمد الكلبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال : -
ترك الصلاة لأكل يسمى بها طلب الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعنه بلامنة وعظه من عظة الأديب الأكيس
فاذا هممت بضربه فبذرة فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت نفسك مع ما تجرعي أعز الأنفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : « يا عائشة (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء » . وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن بن شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفرلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مزجت عهودهم وخربت أمانتهم ، فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : تعملون بما تعرفون وتتركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرفنا على من ظلمنا وكفنا من بئانا » . وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمي عن شريح ، قال : حدثني البديريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من شاب يدع لذة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبتذل شبابه لي ، أنت عندي كبعض ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود أو عن زيد بن قيس - عن قاضي المصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن النبي ﷺ قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فيم أضمت حقوق

الناس ؟ فيم أذهبت أمواتهم ؟ فيقول : يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقا وإما حرقا ، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة . . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فيدع الله بشيء فيضعه في ميزانه فيثقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضا عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المكي قالا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ عبد الرحمن بن غنم ﴾

الأشعري نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليعقه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين .

﴿ جنادة بن أمية الأزدي ﴾

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر لعمارة ، وكان موصوفاً بالجماعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

﴿ العلاء بن زياد البصري ﴾

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يمتثل في بيته ولا يخاطب الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان يمدحها يطوي الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلي لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخى فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكى الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فاني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يرأى بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، لجعل لا يأتي على أحد إلا سبه ، ثم رزقه الله الاخلاص واليقين

نخفص من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعا له بخير (١) .
 (سراقة بن مرداس الأزدى) كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنهأه إلى الشام فتوفي بها .
 (النايبة الجعدي) الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفي في هذه السنة . سفيان بن سلمة
 الأسدي . مساوية بن قرة البصري . زر بن حبیش .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين *

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ، ولم يفر فيها أحد من أهل الشام
 لضعفهم وقتلهم ، ووصلت الروم فيها الطائفة فأصابوا خلقاً من أهلها لعلمهم بضعف الجنود والمقاتلة .
 وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمد
 إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سعيد المتنبئ الكتاب ، ويقال له
 الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدي ، ويقال مولى الحكم بن
 مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق وتعبدها وتنسك وترهب ثم مكر به ورجع القهقري على
 عقبه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المغلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين
 ولم يزل الشيطان يزوج في قفاه حتى أخسر دينه ودنياه ، وأخزاه وأشقاءه . فإنا لله وحسبنا الله ولا
 حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب نجدة الجولي حدثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن
 مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكتاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي
 الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، فمرض له إبليس ، وكان رجلاً متمعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب
 لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من
 كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبتاه أعجل على فاني قد رأيت أشياء أخوف أن يكون
 الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت
 به فان الله تعالى يقول (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم) ولست بأفك
 ولا أثيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيء إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيناديهم ثم يأخذ عليهم
 المهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كنتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً باليفاً
 حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول
 كان ينقر هذه الرخامة الجراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقا . قال ابن أبي خيثمة في روايته

وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيريهم رجالاً على خيل فيلبسهم على ذلك بشركثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة ، قال فمرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هو رضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عبد الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله ﷺ : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس لعرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاها إلى نبوته فيكنبها وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واختفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فتنزلها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يسخر على الحارث وهو ببيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجنود الأتراك ليحيطوا عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بأشغالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن علي نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أخرجوا ، فأشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاختفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فإذا بشو به فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين من أتراك الخليفة قال فأخذوه فقيدوه ، فيقال إن القيود والجماعة سقطت من عنقه مراراً ويعيدونها ، وجعل يقول : (قل إن ضللت فإني أضل على نفسي - وإن اهتديت فما يوحى إلى ربي إنه سميع قريب) وقال لأوائك الأتراك (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كراتنا فهات كراتك ، أي هذا قرآننا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فأنشت في ضلع من أضلعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم طعنته ، قال فذكر اسم الله ثم طعنته فأنفذ ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً

من أهل الفقه والعلم أن يملؤوه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول : سمعت الملاء بن زياد المدوي . يقول : ما غبطت عبداً للملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقنوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهب فأجرو عنه لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجراح يقول لغيلان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شببيتك ترا من النساء في شهر رمضان بالتمفاح ، ثم صرت حارثياً تحجب امرأتك وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحوات فصرت قدرياً زنديقاً .

وفيهما غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين نارة ويتمرد أخرى ، فمكتب الخجاج إلى ابن أبي بكر تأخذه بن مملك من المسلمين حتى تستبسط أرضه وتهدم قلاعهم وتقتل مقاتلتهم ، وتخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بنارة ، وجاس ابن أبي بكر وجنوده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبر ما هنالك بتبراً ، ثم إن رتبيل تقهر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طالب عبيد الله أن يصالح رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هانئ - وكان صحابياً ، وكان من أكابر أصحاب علي وهو المتقدم على أهل الكوفة - فتدب الناس إلى القتال والمصاهرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فمهاه عبيد الله بن أبي بكر فلم ينته ، وأجابه شزيمة من الناس من الشجيمان وأهل الحفائظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فنى أكثر المسلمين رضي الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هانئ يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذابت أقالمي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثم أدركت النبي المنذرا * وبعد صديقه وعمر
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع في صفينهم والنهرا
هيهات ما أطول هذا عمرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن أبى بكر من أرض رتبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ماتقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشيره فى بعث جيش كثيف إلى بلاد رتبيل ليفتقموا منه بسبب ما حل بالمسلمين فى بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ، وأن يجعل ذلك سرية ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ فى جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً لذلك على ماسياتى تفصيله فى السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً وابتيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضماقهم ويقال إنه فى هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أباً بردة ابن أبى موسى الأشعرى ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته فى السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحج بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطرى بن الفجاءة التميمي أبو نعمة الخارجى ، وكان من الشجعان المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش المهلب بن أبى صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً فى أما كنه ، وكان خروجه فى زمن مصعب بن الزبير ، وأغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووفائمه مشهورة وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كثيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على فرس أعجف ويده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قطرى عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له قطرى إلى أين ؟ أما تستعنى أن تفر ولم تر طعناً ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستعنى أن يفر من مثلك ، ثم إنه فى آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد السكابي فى جيش فاقتلوا بطيرستان ، فمثر بقطرى فرسه فوق إلى الأرض فسكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذى قتله سودة بن الحر الدارمي ، وكان قطرى بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فمن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقول لها وقد طارت شماعتا * من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو طلبت بقاء يوم * على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبراً فى مجال الموت صبراً * فما نيل الخلود بمستطاعى
ولا ثوب الحياة بثوب عز * فيطوى عن أخى الخلع اليراعى

سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
 فمن لا يغتبط يسأم ويهرم * وتسلمه المنون إلى انقطاعي
 وما للمرء خير في حياة * إذا ما عد من سقط المتاع
 ذكرها صاحب الحاسة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيهما توفي عبيد الله بن أبي بكرة رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقتلوا
 رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل
 عبيد الله بن أبي بكرة على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : ولم ختمت بخاتمك هذا ؟
 قال علي أربعين ألف دينار . قال فقيم أنفقتها ؟ قال : في اصطناع الميروف ، ورد الملهوف
 والمكافأة بالصناع وتزويج العقائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد
 فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدي إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه
 خذها لك ، ثم فكر وقال : والله إن إشار بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال
 يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .
 توفي عبيد الله بن أبي بكرة ببست وقيل بخرخ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين
 ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية ﷺ

ففيها كان السيل الجفاف بمكة لأنه جف على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة
 الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يقدم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق
 خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان
 في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً
 للأعداء من الأتراك ، وجرت له مهم هناك فصول يطول ذكرها ، وقد عليه في غضون هذه المدة
 كتاب ابن الأشعث بخلمه الحجاج ، فبعثه المهلب برهته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً في بيانه
 وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة
 وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكرة في السنة
 الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد
 ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج يبعثه جديداً ، حتى قال ما رأيت قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن
 الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشعبي فقال انظر إلى مشيته والله لقد هممت أن أضرب
 عنقه ، فأسرهما الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدت أن أزيله عن

سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبنل فيهم
العتاء ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،
فقدمه عليهم ، فأقنعه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة
إذا جاوز جسر الصراء ، فقال : ليس هو هنالك هو لي حبيب ، ومتى أذهب أن يخالف أمرى أو
يخرج عن طاعتي ، فأضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيوش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رتبيل
جئى ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه رتبيل يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ،
وأنه كان لذلك كارهها ، وأن المسلمين هم الذين ألقوه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلحه
وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع
رتبيل جنوده وتبناها للحرب ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد
رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان يخوف ،
فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم
حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقروا بما فيها من
الغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم
حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الزكنوز والأموال والندارى حتى يضموها
ثم يتناولون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره
بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذى رآه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه
هميان بن عدى السدوسي إلى كرما وسميها لأهلها ليمد عامل سمجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ،
فمضى هميان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فبرزه وأقام ابن الأشعث بمن
معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكر فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بأمر سمجستان مكان ابن أبي
بكرة وجهز إلى ابن الأشعث جيشاً أتفق عليه ألفى ألف سوى أعطيائهم ، وكان يدعى هذا الجيش
جيش الطواويس ، وأمره بالاقدام على رتبيل فكان من أمره معه ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج
بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان
ابن عثمان ، وعلى المشرق بكامله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء
البصرة موسى بن أسد بن مالك

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

أسلم بن علي بن عمر بن الخطاب

هو أسلم بن أسلم أصله من سبي عيينة القر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفي وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

(جبير بن نفير)

ابن مالك الحضرمي له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أقل ، وأكثر وقيل أقل .

(عبد الله بن جعفر بن أبي طالب)

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة ، أتى النبي ﷺ إلى أمهم فقال : اتوني ببني أخي ، فأتى بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالخلق فخلق رؤسهم ثم قال : اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صمته ، فجاءت أمهم فذكرت للنبي ﷺ أنه ليس لهم شيء ، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم ، وقد بايع النبي ﷺ عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً ، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسده عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلانا - وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون ، فأتى معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدكم ، ثم أخذ عصاً فتوكل عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء ؟ فأدعوه ؟ فقال معاوية : أظعمنا خبزاً ، فقال يا غلام هات خبزاً ، فأتى بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات خبزاً ، فجاء بصحيفة أخرى ملائنة خبزاً إلى أن فمل ذلك ثلاث مرات ، فتمعجب معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فمات ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضعتنا لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الملك بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدى ، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففنت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصري ينم ابن جعفر على مباءة الغنى والاهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله ﷺ ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

﴿ أبو إدريس الخولاني ﴾

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دفس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

﴿ معبد الجبني القدرى ﴾

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تفتنوا من الميتة باهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك وصاء ثم اجتمع بعمر و بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصاري من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووقف ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فمات الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين فأنه أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ﴾

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة فاليفلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن دشاخ . قتله بجير بن ورقاء الصريمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان . ثم نازل بكير ابن دشاخ رجل من قومه يقال له صمصمة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، فعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بأخر رمق ، فبعث

المهلب بصعصعة إليه ، فلما تمكن منه بجبر بن ورقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي ، فوضعه قطعته بجبر بن برة حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : أعف عنه فقد قتلت بكبير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حتى ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فإله أعلم .

﴿ فتنة ابن الأشعث ﴾

قال أبو مخنف : كان ابتداءؤها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقتنا في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يفضله وكان هو يفهم ذلك ويضمر له سوء و زوال الملك عنه ، فلما أمر الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، ففضى وصنع ما قدمناه من أخذ بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقروا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن الحائك الغادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الايغال في أرض العدو وإلا حل بك مالا يطاق . وكان الحجاج يبغض ابن الأشعث : ويقول هو أهوج أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الاسلام وما رأيت قط إلا هممت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى مثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الايغال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من رأى له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقروا بغلائها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسبغون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك في مدينة العظماء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعالجة رتبيل . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف : حدثني مطرف بن عمار بن وائلة الكنتاني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه أحمى عبدك على الفرس فان

هالك هالك ، وإن نجا فلاك ، أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء
 البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - ويايموا الأمير عبد الرحمن
 ابن الأشعث فاني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعتنا عدو الله ،
 ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن
 مروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلاخراج على رتبيل
 أبداً . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه
 العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعتنا للحجاج خلع لابن مروان نخلسوهما وجددوا البيعة
 لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلق أئمة الضلالة وجهاد المباحدين ، فإذا قالوا نعم
 بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يدعه بذلك
 ويستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،
 وكتب إليه يدعوه إلى ذلك فأنى عليه ، وبعث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن
 الأشعث يقول له : إني يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبق على أمة محمد ﷺ ،
 انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تسفكها ،
 فان قلت أخاف الناس على نفسي قلله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ،
 أو استحلل محرم والسلام عليك . وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فان أهل العراق قد أقبلوا
 إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يردده حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة
 في أول مخرجهم ، وصباية إلى أيمانهم ونسائهم ، فليس شيء يرددهم حتى يصلوا إلى أهلهم وينسبوا
 إلى نسائهم ويشموا أولادهم . ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج
 كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله مالي نظر ولكن لابن عمه نصيح . ولما وصل البريد بكتاب
 الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن مريرد وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه
 كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان نخفه ، وإن كان من
 قبل سجستان فلا نخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج
 وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصيح
 والصديق ، وجعلت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين
 نزل ومن أين ارتحل ، وأنى الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل
 جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج
 في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر وقسم بين يديه مطهر بن حبي الكعبي

أميراً على المقدمة ، ومع عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأتوها إلى دجيل فاذا بمقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن ثبان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف ونجسائة ، واحتاروا ما في مسكرهم من خيول وقناص وأموال . وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذ ما دب ودرج . وقد كان قائماً يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجنود . فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يسركون منهم شاذاً إلا قتله ، ولا فاذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارياً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فمسكر عندها وجعل يقول : لله در المهلب نبي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكنا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف درهم ، وخذق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهلهم وشعوا أولادهم . ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبأبيهم وبأبيهم على خلق عبد الملك وثأب عبد الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافق على خلعهم جميعاً من في البصرة من الفقهاء والقراء ، والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الأندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان بجير بن ورقاء الصريمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمراء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعد سنتين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم يربواً محتجياً ولا متسانداً ، وافتض بكراماته في سنة إحدى وعشرين ، قاله أبو عبيد وغير واحد . وقيل إنه توفي في سنة ثنتين وعشرين فله أعلم .

عبد الله بن شداد بن الهاد

كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عنده أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين

ثم محمد بن علي بن أبي طالب

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من بني حنفية اسمها خولة . ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتبادل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقتل عفوياً يا أمير المؤمنين فمعا عنه وأجرل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قريش ، ومن النشجمان المشهورين ، ومن الاقوياء المذكورين ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فخرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهل كذا تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه ابن عمر تايده ابن الحنفية ، وقدم المدينة فبات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالقيس . والرافضة يزعمون أنه يجبل رضى ، وأنه حي برزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك

ألا إن الأئمة من قريش * ولاية الحق أربعة سواء
عنى والثلاثة من بني * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبة كربلاء
وسبط لا تراد العين حتى * تعود الخيل يقدمها لواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وثلة بن الأستعم وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدل في أربعة آلاف فاستنقذوا بني هاشم من يدي ابن الزبير ، وخرج معهم ابن عباس فأتى بالطائف ، وبقي ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إنما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أباي ملك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقق دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتني وأمنه إلى بلدي محفوظاً فليفعل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعائة رجل ، فأحرم مصر وقتل عديلاً وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل ، فوسل إليه : إنما في الحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقضى نكبتنا ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه من قد قلدها فخرج إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قسم الخجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك السنة محرماً ، فلما سار الخجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بعد عدة سنين ، وكان القتل ينتشر منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى أسكندر رجوعه إلى المدينة أقام بها حتى مات ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عبد الله فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لا قتلناك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجمعني في قضية منها فيكفينيك فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك ويبايعك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدده بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعه عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك . توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحزرة وعلى وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأسفر وعون ورقية ، وكابهم

لأمهات شقي . وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يميت وفيد يقول السيد

أقل للوصى فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقام

أضرب بعشر والوك منا * وسموك الخليفة والامام

وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقالك فيهم ستمين عام

وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظام

لقد أمسى بمورق شبيب رضوى * تراجع الملائكة الكلام

وإن له به لمقبل صدق * وأندية تحدد كرام

هدانا الله ادخرتم الامر * به عليه يلتمس التمام

تمام نوره المهدي حتى * تروا راياته تنرى نظام

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامراء وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وثرهاتهم ، وسنزيد ذلك وضوحاً في موضعه وإن شاء الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ﴾

ففي الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوماً آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على

ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقها كثيراً من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخرج الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرم محق صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة التميمي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجوع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عيش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف فلتحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايع أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، وتفانق الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جبل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء : وكان عليهم جبلة بن زحر - : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سميد بن جبير نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلوهم على جورهم واستنابلهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجعوا فإذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر صريخاً ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء الله قد قتلنا طائفتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرة التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا كثير قتال ، فأبكر الناس منهم ذلك ، وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يمرض الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايع أهلها ، ثم كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة .

﴿ وقعة دير الجماجم ﴾

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فملقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شزيمة قليلة أرادت أن تقتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم من ذلك ، فعدلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصبت على قصر الإمارة فأسند واستقر مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فاني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدعاه فاطلعه وبايعه واستأنق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت

الثغور والطرق والمسالك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والسديب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فتمنعوا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قره ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجاجم ، ومعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء وخواق من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قره ، ونزل هو بدير الجاجم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ المطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وقدم على الحجاج في غيور ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخندق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتالاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قریش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دمائهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزائمه عنكم ، وبعثت عليكم أعطيائكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم تحب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج وتحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تروا تسمع بوثوب أهل العراق مع الأشعث النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ما تريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُفْلَح ، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإني يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أخى أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، فغفر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في خضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نحيب إلى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، وافقوا على ذلك كله .

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعبد محمد أخيراً قالوا للحجاج : شأنك بهم إذا ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكأننا إذا بقيت سادنا عليه بالأمرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالأمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديرها كما كان قبل ذلك ، فمعد ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى يسارته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى الخيل سفیان بن الأبرد وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحسكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الجشمي ، وعلى اليسرة الأبرد بن قرة التميمي ، وعلى الخيالة عبد الرحمن ابن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجففي ، وكان فيهم سميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكميل بن زياد . وكان سجعاً فائقاً على كبير سنة . وأبو البعثرى الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من العلف والطعام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أشيق حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد فقدوا اللحم بالسكية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم واستقلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سميد الأزدى أحد أشرف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرامتهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون فيما بين عمان والبحرين ، وقدارته فومد فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف ونعمائة ، فمظمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنه : نعم الخصلة السخاء تستر عورة الشريف

وتلحق خسيصة الوضيع ، وتجبب المزهود فيه . وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله .

توفي المهلب غزياً بمرور الرود وعمره ستة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزيد ، والمفضل ، ومدرك ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة متعباً ، وكان من الشجعان وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده يزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأمضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان .

﴿ أسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ﴾

وكان جواداً ممدحاً ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره بهائلاً فقال له عن قعوده على بابه فقال : حاجتي لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مدت تلك الجارية فقال : هند ، فقال له : أخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى ، وقال له : ما تمنى أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضئيلة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

﴿ المغيرة بن المهلب ﴾

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحاً شجاعاً ، له مواقف مشهورة .

﴿ الحارث بن عبد الله ﴾

ابن ربيعة الخزاعي المعروف بقبياع ، زلى إمرة البصرة لابن الزبير .

﴿ محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة ﴾

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلمهم ، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

﴿ عبد الله بن أبي طلحة بن أبي الأسود ﴾

والد المقيّد إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبو طلحة فأخبر النبي ﷺ .

فقال ﷺ : « عرسكم برك الله لكم في ليلتكم » . ولما ولد حنكاً بتمرات .

﴿ عبد الله بن كعب بن مالك ﴾

كان قائد كعب حين عي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

﴿ عفان بن وهب ﴾

أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات .

﴿ جميل بن عبد الله ﴾

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحاف بن قضاة . أبو عمرو الشاعر صاحب بئينة ، كان قد خطبها ففتمت منه ، فتفرزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القرى ، وكان عفيفاً حياً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راويته ، وهو يروي عن هذبة بن خثرم عن الخطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول : -

وأخبرتماني أن تيماء منزل * ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراسيا
ومنها قوله وما زلت بي يابثن حتى لو أني * من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
وما زادني الواشون الإصباة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
وما أحدث النأي المفرق بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريق أني * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغمة * وفي النفس حاجات إليك كما هيا
وله أيضا إني لأحفظ غيبكم ويسرني * لو تعلمين بصلح أن تذكرني
إلى أن قال ما أنت والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تمطر
وقوله وروى لعمرو : ما زلت أنفي الخي أتبع فلمهم * حتى دفعت إلى ربيعة هودج
ابن أبي ربيعة . فدنوت مخفيا ألم ببئينا * حتى ولجت إلى خفي الموج
فيما نقله ابن عساكر قالت وعيش أخي ونعمه والدي * لأنهن الخي إن لم تخرج
فتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
فخرجت خيفة أهلهما فتبسمت * فعلمت أن يمينها لم تخرج
فلنمت فاها أخذاً بقرونها * فوشفت ريقا بارداً متثلج

قال كثير عزة : لقيني جميل بئينة فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند هذه الحبيبية ، فقال
وإلى أين ؟ فقلت : وإلى هذه الحبيبية - يعني عزة - فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بئينة
فواضعتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيتهما ، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى ، وهي تنسل هي

وأما نوباً فتجادنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجست حتى ألتفت بهم . فقال أبو بئينة : ما رذك يا ابن أخي ؟ فقلت : أبيات قلبها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأشده وبقينه تسمع من وراء الحجاب : —

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي * إليك رسولا والرسول هو كل
أن تجهلي بيني وبينك موعداً * وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل
وأخر عهدي منك يوم لقيتي * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وجاء جميل وكانت معهم فـ رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادات ، وانفض ذلك المجلس وما أدرى أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت الله : ما أظنك سلمت وأنت تشب بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . فقال : لا نالني شفاعة محمد ﷺ ، وإنني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه ببئينة فقال : شديداً ، واستنشد من أشعاره ومدائح فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فمأجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت ، ببلغ عن رسالة إلى حي ببئينة ولك ما عندي ؟ قال نعم ! قال : إذا أنامت فاركب ناقتي وابس خلتي هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله قومي ببئينة فاندبني بمويل * وابكي خليلاً دون كل خليل

فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات فخرجت ببئينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له : وبحك إن كنت صادقاً فقد قتلتي ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق وهذه حالته وناقته ، فلما تحققت ذلك أنشأت أبياتاً ترثيه بها وتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها : قال الرجل : فما رأيت أكثر باكية ولا باكية من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ، فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن من الشعر لحكمة »

عن عمر بن عبد الله

ابن ممر بن عثمان أبو حفص القرشي التميمي أحد الأجراد والأمرأ الأبحاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم ، وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وابن عون ، وروى عن عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأتفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هاتذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى مابك من قلة الشيء . فلو بعته وانتفعت بشيء صالح حالك ، فباعها عمر بن عبد الله ههنا . وهو يؤخذ أنه ير البصرة . بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال نعم وتندمت الجارية ، فأشارت بمخاطبة سيدها بأبيات شعر وهي : —

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته * ولم يبق في كفي إلا تفكري
أقول لنفسي وهي في كرب عيشة * أقلى فقد بان الخليلط أو كذري
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة * ولم تجدي بداً من الصبر فاصبري
فأجابها سيدها فقال : —

ولولا قعود الصبر في عندك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبري
أؤوب بحزن من فراقك موجع * أتلجى به قلباً طويل التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن ممر

فلما سمعها ابن ممر قد شبت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال . وهو مائة ألف . والجارية لما رأى من توجههما على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرجل الجارية ومثما وأطلق . توفي عمر بن عبد الله بن ممر ههنا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ووالى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بمدة مودة ، وكان له من الولد طمحة وهو من سادات قریش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن صدق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم وروثة ، وتزوج روثة إبراهيم بن علي بن عبد الله بن عباس على صدق مائة ألف دينار ورحمهم الله .

عن كميل بن زياد

ابن نزيك بن خزيمة النخعي الكوفي . روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة ، وشهد مع علي صفين ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة فله صبراً بين يديه . وإنما ترم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمه لطمها إليه . فله أمكته عثمان من نفسه ففادته . فقال له الحجاج : أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟

ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا : ذكر الحجاج علياً في غيرون ذلك فقال منه وصلى عليه كليل ، فقال له الحجاج : والله لأبشئن إليك من يمتنض علياً أكثر مما تحب أنت ، فأرسل إليه ابن أدهم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه ، وقد روى عن كليل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أواله « القلوب أوعية تغيرها أوجها » وهو طويل قد رواء جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

✽ ذاذان أبو عمرو السكندی ✽

أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالفسبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله ابن مسعود وحصلت له توبة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشية . قال خليفة : وفيها توفي زر بن حبیش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة (شقيق بن سلمة) أبو وائل : أحد من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي ﷺ (أم الدرداء الصفرى)

اسمها هجيمة ويقال جهيمة نابمية عابدة عالمة قبيصة كان الرجال يقرؤن عليها ويتقنون في الحائط الشمالي بمجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقها مع المتفهمة يشغل عليها وهو خليفة ، رضى الله عنها .

✽ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ✽

استهلكت هذه السنة والناس متواقفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجاهم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصرة لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة ينتصرون عليهم ، ومع هذا فالحجاج ثابت في مكانه صابر ومصابر لا يتزعزع عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتنضم بجيشه إلى نحو عنوة ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالخلة على كتيفة القراء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القراء حملة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما أنفك حتى قتل منهم خاتماً كثيراً ، ثم حل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم المصمى ومعه عبد بن الحجاج والامرة لعمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلهم يظفرون به قتلاً أو أسراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم

والكورد والرسائيق ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فنزلوا في قصر كان فيه أهل العراق قباهم ، فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي خلدة اليشكري يقول :

أيا ملها وياحرنا جيمياً * ويا حر الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جيمياً * وأسلفنا الحلائل والبلينا
فما كنا أناساً أهل دنيا * فنصفها ولولم نرج دنيا
تركنا دورنا لطعامك * وأنباط القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأثله عند وأمنه وعظمه

قال الواقدي : ومرو ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأثله ، فمل ذلك خديعة به ومكراً ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتحصن بها من عدوك ولكن لا تدع أحداً من معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكربه ، ففعله أصحابه فلم يقبل منهم ، فنفروا عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله إن أخيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسير إليه ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فغدر بي وفعل ما رأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه . وهم قريب من ستين ألفاً . فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل فقتلوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعمان وإخوته وقرابته ، واستحوذوا على ما فيها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن أخرج إلينا حتى نكون معك تنصرك على من يخلفك ، وتأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً ومنعة كثيرة منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، ففري بعد ذلك رأينا فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قايلاً إلى نحر خراسان فاعتزله شردمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رقيباً
فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقى معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن
الأشعث بايموا عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم
أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فنعهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش
يقول له : إن في البلاد متسعاً فاذهب إلى أرض ليس بها سلطان فأني أكره قتالك ، وإن كنت تريد
مالاً بعثت إليك . فقال له : إنا لم نحجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا لستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست
بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور
خراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا
غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتار عافى
معسكره ، وبعث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد
قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم
وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع
فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث
فأمنهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر
من قتل منهم سعيد بن جبير على ماسياتي بيانه .

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فذكر الحجاج يوماً قتيلاً له : إنه سار إلى مسلم بن
قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابعث لي بالشعبي قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمرة
ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وأبج الله
لا أقول في هذا المقام إلا الحق كائن في ذلك ما كان ، قد والله ترونا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل
الجهد فما ألونا ، فما كننا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا
فإن سطوت فبتنوبنا وما جرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبعلمك ، وبعد فلك الحجة علينا .
فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إلى من يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلت
ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلم يا شعبي ، قال :
فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس
بعدنا يا شعبي ؟ قال : وكان لي مكرماً قبل الخروج عليه . فقلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتحللت
بعدك السهر ، واستوعرت السهل ، واستوخمت الجنب ، واستحلست الخوف ، واستحللت الهم ،

وفقدت صالح الاخوان ، ولم أجد من الأمير خلفا . قال انصرف ياشعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .
وروى البيهقي أنه سأله عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقول فيهما الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير من سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بآيعة ، وإن أبي قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبي أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهامان ونمرود . قال : فضحك الحجاج وخلي سبيله .
وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة هجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ومدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشدته إياها فأنشدته قصيدة طويلة دالية ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألح عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد الفصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بحمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حصص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتل الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو واقف لابن الأشعث بعث كتيبا يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم نواقف الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج عن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز ما في المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فمالوا عليهم ميلاً واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتنوا قتلاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكبله ، وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمائة فركبوا دجيلاً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك

إلى بلاد الترك ، وكان في دخوله بلاد رتيل ما تقدم ، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فحسب يقتلهم مثنى وفردى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً ألفاً وثلاثين ألفاً ، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان ، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجماعات من السادات الأخيار ، والعلماء الأبرار ، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتى ذلك في موضعه .

﴿ بناء واسط ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بناءه لها أنه رأى راهباً على أنان قد أجاز دجلة ، فلما مر بموضع واسط وقفت أنانه فبالت ، فقتل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحتفزه ورمى به في دجلة ، فقال الحجاج : على به ، فأتى به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنا نجد في كتبنا أنه ينبغي في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام في الأرض أحد يوحده ، فعند ذلك أخذ الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع . وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية . ومن توفى فيها من الأعيان :

﴿ عبد الرحمن بن جحيرة ﴾

الخلواني المصري ، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

﴿ طارق بن شهاب ﴾

ابن عبد شمس الأحمسي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعا وأربعين غزاة ، توفى بالمدينة هذه السنة .

﴿ عبيد الله بن عدى ﴾

ابن الخيار أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن جماعة من الصحابة ﴿ عبد الله بن قيس ابن محزمة ﴾ ، كان قاضى المدينة . وكان من فقهاء قریش وعلمائهم وأبوه عدى ممن قتل يوم بدر كافراً وتوفى بها في هذه السنة مرثد بن عبد الله أبو الخير البزني . وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أضر فضرِب الحجاج عنقه ، ومنهم من تتبعه الحجاج حتى قتله ، وقد سمي منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان ، فمنهم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرانة المعلى قتل ، وعقبة بن عبد الغفار قتل ، وعقبة بن وشاح قتل ، وعبد الله بن خالد الجهضمي قتل ، وأبو الجوزاء الربيعي قتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي حمزة الضبيعي ، وأبو المتهايل سيار بن سلامة الرياحي ، ومالك بن دينار ، ومرة بن ذباب الهنادي وأبو نجيد الجهضمي ، وأبو سبيح الهنائي ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري قال أيوب :

قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن منك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعبي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمروزي بن مريد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البختري ، وطلمحة بن مصرف ، وزبيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبي ، والد أبي حمزة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكانت صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى محبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ﴾

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصة ، وفيها غزا عبد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد ابن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجيني وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلالى المعروف بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأبو غنيم الخولاني . له محبة ورواية ، سكن حمص وبها توفى وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج . ومنهم من توفى . أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، تخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بدينه ، ولا تحزن صاحباً سريره ، ولا تشمت عدواً بكنهه ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفى عتبة بن مسعود الأسلمي صحابي جليل ، كان يعد في أهل الصفة . عمران بن حطان الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها ، وكان هو دهم الشكل ، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبّت فارتدت معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء

المفلقين ، وهو القاتل في قتل علي وقاتله :

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بغيراً وعدواناً
وقد كان الثوري يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله : -

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على أنهم فيها عراة وجوع
أراها وإن كانت تحب قائمها * سحابة صيف عن قليل تقشع
كركب قضا حاجاتهم وترحلوا * طريقهم بادى العلامة مهيع
مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل
علي رضي الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بل ضربة من شقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش خسراناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أشقى البرية عند الله ميزاناً

﴿ روح بن زنباع الجذامي ﴾

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشير في أموره .

وفيهما كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندي وقيل في التي بعدها فأنه أعلم . وذلك أن
الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذي لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذي لا إله إلا هو لن
لم تبعث إلى بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولأخر بنها . فلما تحقق الوعيد من
الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج
دياره ويأخذ عامة أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشرين سنين ، وأن لا يؤدي
في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث فقتل ابنه أمر بضرب عنقه
صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً
فقتله وهو بآخر رمق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقتلهم في الأصفاة وبعث بهم
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرجح ، صعد ابن الأشعث وهو
مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به للتلايف ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه
الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزته ، وقتل من معه من أصحاب ابن
الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرجح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هيهات ووضع جثة من رأسها * رأس بمصر وجنته بالرجح
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فأن الله أعلم .

وعبد الرحمن هذا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايمان والسلمة قائمة فالقول ما قال البائع أو تشاركاك » . وعنه أبو العباس ، ويقال إن الحجاج قتل بعد التسعين سنة فأن الله أعلم . والمعجب كل المعجب من هؤلاء الذين يابغوه بالامارة وليس من قريش ، وإنما هو كندی من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الامارة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى ان الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قرنا ذلك فيما تقدم . فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالامارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلبية قريش ويبيعون لرجل كندی بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفتنة نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فأن الله وإنا إليه راجعون

﴿ أيوب بن القرية ﴾

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النمرى الهلالي ، كان أعرابياً أمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولا إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيباً فتخلع الحجاج لأضرب عنقك ، ففعل وأقام عنده ، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل * وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقرية بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جماعة بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب والله أعلم .

﴿ روح بن زنباع ﴾

ابن سلامة الجندامي أبو زرعة ويقال أبو زنباع الدمشقي داره بدمشق في طرف البزوريين عند دار

ابن عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه . وكانت له صحبة . وعيم الداري ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكسب الأخبار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له صحبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن ما ثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يعتق نسمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالاردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فنزل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدعا روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم يراعي ؟ فقال الراعي : أفأغبن أيام من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فترله وترك روح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع : -

لقد ضنفت بأيامك يراعي * إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بملك الأطعمة فرفمت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المسكن وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين)

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث فآله أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالمًا ، فدعى فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجيده ملسكا أقرع ، من يقم في سبيله يصرع ، قال : نعم من ؟ قال : نعم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أفتعرف ما لي ؟ قال : نعم ! قال : فن يلى العراق بعدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أفى حياتي أو بعد موتي ؟ قال لا أدري ، قال : أفتعرف صفته ؟ قال يغدر غدرة لا أعرف غيرها قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعة وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستعفيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقرير والتأييد والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً ففكر واستدعى

بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينسكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدي سيأتي رجل يقال له يزيد ، وقد تدهرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد ابن حصين بن تمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد : لقد شرفهم وعظمت ولايتهم وإن لهم اقتراباً وجللاً وحظاً فأخلق به . فأجمع رأي الحجاج على عزل يزيد ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدرة ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ الكتابي ، فجاءه يزيد بكتاب فيه قد أكرت في شأن يزيد فسمي رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على المفضل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، فغزا بلاد عبس وغيرها وغنم مغانم كثيرة ، وأمنهحه الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك ومخلصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يابجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريباً من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه باللطف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن الملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن ائتني في مائة من أصحابك ، فاختر موسى من جيشه مائة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطلع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبوري : فنار أهل القصر إليه فحاجف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فافتتلوا فقتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فحصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فاجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم نحو من مائة رجل أخرجوك من بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا معه قصاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقدمهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يؤججوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطاون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكرب في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم عادوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجاش بطائفة أخرى فجاؤا فحاصروهم بترمذ وجاء الخزاعي فحاصروهم أيضاً ، فجعل يقاتل الخزاعي أول النهار ويقاثل آخره العجم ، ثم إن موسى قتل منهم مقتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخزاعي فصالحه وكان معه : فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير ، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح ، فقال : إن عندي سلاحاً ، ثم رفع صدر فراشه فاذا سيفه منتضى فأخذه عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً ، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبيد الله بن خازم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية ، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجذامي ، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل ، وكان لا يحجب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار ، فعزاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله ، وإنما عمله على إرادة عزله أنه أراد أن يمهّد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وذلك عن رأى الحجاج وترقيبه ذلك لعبد الملك ، وكان أبوه مروان عهده بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز ، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكيفية ، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه ، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم .

﴿ عبد العزيز بن مروان ﴾

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصمغ القرشي الأموي . ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان ، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك ، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة ، وشهد قتل سميد بن عمرو بن العاص كما قدمنا ، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم ، المعروفة بالخانقاه السيساطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز ، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية . وقد روى عبيد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبة بن عامر وأبي هريرة ، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « شرفني الرجل حين خال وشح هالعه » . وعنه ابنه عمر والزهرى وعلي بن رباح وجماعة . قال محمد بن سعد : كان ثقة قليل الحديث ، وقال غيره : كان يلحن في الحديث وفي كلامه ، ثم تعلم العربية فأقننها وأحسنها فكان من أفصح الناس ، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبيد العزيز : من ختنك ؟ فقال الرجل : ختنى الختان الذى يختن الناس ، فقال لسكاتبه ويحك بماذا أجابنى ؟ فقال السكاتب : يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من ختنك ، فألقى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية ، فمكث جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من أفصح الناس ، وكان بعد ذلك يجوز عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه ، فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية . قال عبد العزيز يوماً إلى رجل : ممن أنت ؟ قال : من بنو عبد الدار ، فقال : تجدها في جارتك ، فنقصت جارتها مائة دينار :

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن القمقماق بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بشني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فبشنت إليه المكتاب فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إلى المكتاب حتى جثته بها ففرقها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : عجبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه ، كيف يحبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضرته مال محصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بحر حائل بنجد ، وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نباتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : ائتموني بكفني الذي تكفتموني فيه ، فعمل يقول : أف لك ما أقصر طويالك ، وأقل كثيرك .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساكر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فانه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كرماء جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأنصبغ . مات قبله بتقليل فخرن عليه حزناً كثيراً ، ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شقي ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التي بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر في النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف . من جملة ذلك ثلاثمائة مدين من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطايه الجزيلة ، فانه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذي له من بعده لولده الوليد أو يكون ولي العهد من بعده ، فانه أعز الخلق نبي . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى في الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . بحمل خراج مصر . وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكاملها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مغائرها وخراجها وحملها . فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاءه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا أعتب على بقية عمرى فأقبل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لأعتب عليك بقية عمرى . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يسطبكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل تارقما محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتماها ورب السكبة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إني قطعني فأقطعه ، فمت في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاءه الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه فإنه نال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما بعده . وقد كان الحجاج يمت إلى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد ويزينها له من بعده ، وأوفد إليه وفداً في ذلك عليهم عمران بن عاصم العنبري ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفاء في ذلك وحثوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عاصم في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي * على النأي النحية والسلاما
أجبنى في بنيك يكن جوابي * لهم عادية ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطاع فيه * جعلت له الخلافة والذماما
شبهك حول قبته قريش * به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً * لدنّ خلع القلائد والتماما
فإن تؤثر أخاك بها فانا * وجدك لا نطيق لها اتهاما
ولكننا نحاذر من بنيده * بنى العلات مأثرة سما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم * سحاباً أن تعود لهم جهاما
فلا يك ما جلبت غدا لقوم * وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسم لو تخطاني عاصم * بذلك ما عذرت به عصاما
ولو أني حبوت أخا بفضل * أريد به المقاتلة والمقاما
لعقب في بني على بنيه * كذلك أو لوت له مراما
فإن يك في أقراره صدوع * فصدع الملك أبطؤد الثماما

قال : فهاج ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك إمام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد منبيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكربيعة عبد الملك لولده الوليد - ثم من بعده لأخيه سليمان بن عبد الملك)

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جملًا وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى تفية ذهاب - وهي التنية التي كانوا يصلون عندها ويقبلون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يعنفه في ذلك ويأمره باخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، ويروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءتبيعة الوليد امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فאלله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكاهل الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة (أبان بن عثمان) بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة العشرة ، قاله يحيى بن القطان . وقال محمد بن سعد : كان ثقة وكان به صمم ووضع كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . (عبد الله ابن عامر) بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلمة . واثلة بن الأسقع . شهد واثلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزها ، ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرانك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماء . (خالد بن يزيد) بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفتن العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً كأبيه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحترق أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : (إن الملوكة إذا دخلا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فقال له خالد : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميراً) فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله فاذا هو لا يقيم
 اللحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد :
 وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تعد في
 العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو
 العير والنفير غير جدى أبي سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ؟ ولكن
 لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت - يعني أن الحكم كان منفياً
 بالطائف يرعى غنماً ويأوى إلى جبلة المكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولى - فسكت الوليد وأبوه
 ولم يجيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين ﴾

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك
 وغيرهم من الكفار ، وسبى وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصوناً وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب
 إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكُن في مقدمة الجيش ، وإذا
 قفلت راجعاً فكُن في ساقة الجيش - يعني لتكون ردماً لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد -
 وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاها
 قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي وردت تلك المرأة على
 زوجها وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بنى العباس
 كما سيأتى . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب .

وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون القتيات ، لأنه أول ما بدأ بالنساء
 فسمى بذلك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وافتتح حصن بولق
 وحصن الأخرم من أرض الروم ، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت
 أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة . وفيها هلك ملك
 الروم الأخرم لورى لا رحمه الله . وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن
 إسماعيل الخزومي . وفي هذه السنة توفى أبو أمارة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن
 الحارث بن جزء الزبيدي في قول ، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر .
 وفيها في شوالها توفى أمير المؤمنين

﴿ عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين ﴾

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين ،

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إياها معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة ولادة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرى وعمر بن الخطاب ورجاء بن حيوة وجري بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة عن مصعب بن الزبير : وكان أول من سعى في الاسلام بعبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سعى في الاسلام بأحمد والد الخليل بن أحمد المروزي . ويؤيد له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان أربعة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فربما غفل فيفتح فيه فيدخل فيه الذباب ، ولهذا كان يقال له أبو الذباب . وكان أبيض أربعة ليس بالضعيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه لم يخضب ، ويقال إنه خضب بعد . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفتح ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعشى عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الإمارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء ، وولد مروان أبا . يعنى عبد الملك . وراه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تولى أمر هذه الأمة ، فاحترق الدماء فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريته من مسلم يغير حق » . وقد أتى عليه قبل الولاية معاوية وعمر بن العاص في قصة طويلة ،

وقال سعيد بن داود الزبيرى عن مالك عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيرى قال : كان أول من حلى ما بين الظهر والعصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التمسك في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فأني ما ذا كرت حديثاً إلا زادني منه ، ولا شعراً إلا زادني فيه . وذكر خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمس أن ابعت ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغنائه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجلى بني أمية من هناك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه وبايحه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين . واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بنى له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحرار - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فطناً سائساً لأمر الدنيا ، لا يكل أمر دنياه إلى غيره . وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أنف حمزة عم النبي ﷺ يوم أحد ، وقال سميد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سميد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم فطروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتلوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علياً أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فآلزموا ما في مصحفكم

الذي حملكم عليه الامام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جعلكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله ، فانه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للاسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما ، واستقصيادما شد عنهما . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ، فخطبنا فقال : أما بعد فانه كان من قبلى من الخلفاء يأكلون من المال ويوكلون ، وإني والله لا أدأوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة المستضعف - يعنى عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعنى معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعنى يزيد بن معاوية - أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر ، هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال برأسه هكنا فقلنا بسيفنا هكنا ، وإن الجامعة التي خلفها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضمرها في رأس أحد إلا أخرجها الصمداء ، فلم يبلغ الشاهد الفائب . وقال الأصمعي : ثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكراً فأنشأ قائده يقول : -

يا أيها البكر الذي أراك * عليك سهل الأرض في ممشاك

ويحك هل تعلم من علاكا * خليفة الله الذي امتطاك

* لم يحب بكراً مثل ما حباكا *

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها ياهناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف . وقال الأصمعي : خطب عبد الملك فحصر فقال : إن اللسان بضعة من الانسان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخ عروقه ، وعلينا تملأت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتنسى ارتقاء المنبر وخفاقة اللحن ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعنى أسقط من كلامه ألفاً - فقال له عبد الملك زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً ، وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره : إذا رفعت له شجرة ، سبحوا بنا حتى تأتي تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى تأتي تلك الحجر ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر قدرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك فقال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيافون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشديقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى * وأنصت السامع للقائل
واضطرع الناس بالبابهم * تقضى بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا * نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا * فنجهل الحق مع الجاهل

وقال الأعمش : أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لهاجرت إليه ملوكهم ، ولنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا ، وإني خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ورأيتُه وأكلت معه ، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه ، وإن الحجاج قد أضربني وفعل وفعل ، قال : أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نترضاه . وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ماتكون بالله أحوج ماتكون إليه ، وأذل ماتكون للمخلوق أحوج ماتكون إليهم ، وإذا عززت بالله فاعف له ، فانك به تعزو إليه ترجع . قال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالنصراف ، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك : احذر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إلى بأحد من الرعية فانهم إلى عدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى ، وإن شئت أقتلك . فقال الرجل : أقتلني فأقاله . وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعفني من أربع وقل ما شئت ، لا تطرني ، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه ، ولا تكذبني ، ولا تحملي على الرعية فانهم إلى رافئى ومعدلى أحوج . وقال الأصمعي عن أبيه قال : أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك ، فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك ، وذلك أني رجل مشغوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تنصحك ، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه ، وكنت مع فلان تقتل ، وكنت مع فلان فهزم - حتى عهد جماعة من الأمراء - فضحك وخلي سبيله . وقيل لعبد الملك : أي الرجال أفضل ؟ قال : من نواضع عن رفعة وزهد عن قبرة ، وترك النصرة عن قوة . وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة ، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم . وقال : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً ، ولا يقولن أحدكم أبداً من تعول ، فان

الخلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : عليهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم لغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يتقوا ، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستاكوا عرضا ، ويمصوا الماء مصا ، ولا يعبوا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الغاشية فيهنوا عليهم .

وقال الميثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذنا خاصا ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأت به له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الانسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم (بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين) (ذلك يوم مجموع له الناس وذاك يوم مشهود) (وما تؤخره إلا لأجل معدود) إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، (فتلك بيوتهم خاوية بما ظاهروا) وإني أحذرك يوم ينادى المنادى (احشروا الذين ظاهروا وأزواجهم) (ألا لعنة الله على الظالمين) قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تزل الكتابة في وجهه بعد ذلك أياما . وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في ضل البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذكر ماتكم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها * وبليت من كبر أجسادها

وجعلت أسقامها تماتداها * تلك زروع قد دنا حصاها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهي عن ذكر عمر فانه مرارة الامراء مفسدة للرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القبانى عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغنى أنك شربت الخمر بعد العبادة والنسك ، فقال : إني والله ، والدماء أيضا قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فاني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة لعان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الاكن تكامل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال : خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يا رب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوكم أعظم منها ، اللهم فاهج بقليل عفوكم عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى عن غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر الدمشقي : وضع سماط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لمناجيه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلاً - فأمر برفع السماط وأنشأ يقول :

ذهبت لذتي وانقضت أيامهم * وغبرت بعدهم ولست بخالد

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ماهذا ؟ أتحن حنين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مت فشمروا تزر والبس جلد النمر ، وضع الأور عند أقرانها ، واحذر قریشا . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخي معاوية فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخي محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشقت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، والمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحب ، وبذل الألسنة بالذكر الجميل ، والله در القائل :

إن الأمور إذا اجتمعن فرامها * بالكسر ذو حق وبطش مقند

عزت فلم تكسر وإن هي بددت * فالكسر والتوهين المتبدد

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فن أبي فالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك فأكرهن وأحبهن إلى فاطمة - وكان قد أعطاها قرطى مارية والدرة البقيعة - ثم قال : اللهم احفظني فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا يغسل الثياب فقال : ماهذا ؟ فقالوا غسال ، فقال : ياليتني كنت غسالا أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أَلِ الخلافة . ثم تمثل فقال : -

لعمري لقد عمرت في الملك برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوائر

وأعطيت جمر المال والحكم والنهي * ولي سلمت كل الملوك الجبار

فأضحى الذي قد كان مما يسرنى * كحلّم مضى في المزمّنات القوابر
فياليتنى لم أعن بالملك ليسة * ولم أسع في لذات عيش نواضر
وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجدك ؟ فقال أجدنى كما قال الله تعالى
(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) الآية . وقال
سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار ، فقال : ياليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ
سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :
لما حضره الموت جعل يندم ويندب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي
يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته . وقال غيره : لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم
ثم قال : الحمد لله الذي لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد : —

فهل من خالد إما هلكنا * وهل بالموت للباقيين عار

ويروى أنه قال : ارفعوني ، فرفعوه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طوبى لك القصير ،
وإن كثير لك الحقير ، وإنا كنا بك لفي غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن تناقشك يارب * عذاباً لا طوق لى بالعذاب

أو تجاوز فأنت رب صفوح * عن مسمى ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، في النصف من شوال
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ولى عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله
أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاثاً وستين سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمانين وخمسين . ودفن بباب
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج
وعائشة ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيمة بن عباس بن بغيض ، ويزيد ومروان الأصغر ومعاوية درج وأم كلثوم
وأُمهم عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائشة — فيما قاله المدائني —
بنت هشام بن إسماعيل الخزومي . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائكة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
التيبي ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي ، وفاطمة وأُمها المغيرة
بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الخزومي . وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة
ومحمد وسعد الخير والحجاج لأُمّهات أولاد شتى ، فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكراً وإناثاً ،

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكاتبه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال والخطام قبصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعزعة . وقد ذكرنا أعماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات آخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريرا .

﴿ أرطاة بن زفر ﴾

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غقمان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن نبط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بأبن شهبة ، وهي أمه بنت رامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف - سبية من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرًا طويلا حتى جاوز المائة بثلاثين سنة ، وقد كان سيدا شريفا مطاعا مسدحا شاعرا مطبقا قال المدائني : ويقال إن بني غقمان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غقمان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتا : -

رأيت المرء تأكله الليالي * كأن كل الأرض ساقطة الحديد
وماتبقى المنية حين تأتي * على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى * توفي نذرها بأبي الوليد

قال : فارتاع عبد الملك وظن أنه عناه بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيعرني ما الذي عرك بك ، وزاد بعضهم في هذه الابيات : -
خلقنا أنفسا وبني نفوس * ولسنا بالسلام ولا الحديد
لئن أجمعت بالقرناء يوما * لقد تمتع بالأمل البعيد
وهو القائل وإن لقوام لدى الضيف موهنا * إذا أسبل الستر البخيل المواقيل
دعا فاجأته كلاب كثيرة * على ثقة مني بأني فاعل
وما دون ضيفي من تلاد تحوزه * لي النفس إلا أن تصان الخلائل

﴿ مطرف بن عبد الله بن الشخير ﴾

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجاب الدعوة ، وكان يقول ما أوتي أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر زمانهم - وقال : إذا استوت سريرة العبد

وعلا نيته قال الله هذا عبدى حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعوا لكم فإنه قد حرّك - أى قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدعوه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه . وقال : إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

﴿ خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ﴾

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلولى وهو يقول : -

الله أعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملمحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها * إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايعه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقدم لما أقر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحملته عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا فاء في هذه الأمة - يعنى بالذى يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الاسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فخازها . وكان جباراً عنيداً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كاسيأتى ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلة ، فيما يتعلق بنبوة بنى أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صهوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكر آ كان يأتى ذكر آ كما توفى النساء ، كاسيأتى ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذى لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذى القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهى عشر سنين ، فلما أنهى انتهت أيام خلافته كاسيأتى بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقى فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربى كنيسة

بحالائه من الدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة توما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينات والآثار والعمارات ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين ﴾

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين بعيراً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا ب رأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتمدى أو يأنفكم عن عامل لي ظلامة ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده بجزونه خيراً ، وافترقوا على ذلك . وكشب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان . وكان يسئ الرأي فيه . لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه وهواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل في تركت ذلك لله وللرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به ونجاوزه ناداه هشام الله يعلم حيث يجعل رسالاته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذرارهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من بيلاده من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكنند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجهم غفير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصغد ومن

حوطهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق ، فتواقف هو وهم قريباً من
شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف
عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد
وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان
لقتيبة عين من المعجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلا على أن يأتي قتيبة فيخذه عنهم ،
فجاء إليه فقال له : أخلصني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر :
هذا عامل يقدم عليك سريعا بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقتل قتيبة لمولاه سياه
اضرب عنقه فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سماع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن
ظهر هذا حتى ينقضي حربنا أخلصتك به ، فاملك علينا لسانك ، فان انتشار هذا في مثل هذا الحال
ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرض الناس على الحرب ، ووقف على
أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ثم أنزل الله على المسلمين الصبر فانتصف
الثمار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم
ويأسرون ماشوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها فسألوه الصلح على مال
عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلا من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعا ، فلما كان منهم
على خمس مراحل نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها
شهرآ ، وأمر النقبائين والفعلة فعلقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور
فقتل من الفعلة أربعين نفسا ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها فقتل المقاتلة وسبي الذرية
وغنم الأموال ، وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأسر فقال أنا أفتدي نفسي بخمسة
أثواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله
لا أروع بك مسلما مرة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم
سيدخل فيها ما أراد أن يفتدي به نفسه فان المسلمين قد غنموا من يمينك شيئا كثيرا من آنية
الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملتها صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون
ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالا كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا متنوعة ،
وأخذوا من السبي شيئا كثيرا ، فكتب قتيبة [إلى الحجاج يسأله] أن يعطى ذلك للجند فأذن له
فتول المسلمون وتقوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جدا ، وصارت لهم
أسلحة وعدد وخيل كثيرة ففروا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمدة .

وقد حج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن

عمر بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكامله الحجاج ، وفائمه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكي وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جري بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وفائمه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

﴿ عتبة بن عبد السلمي ﴾

صحابي جليل ، نزل حمص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرياض أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسمين والله أعلم . [قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن بجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله ﷺ العري فكسائي خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكرسى الصحابة] (١)

﴿ المقدم بن معدى كرب ﴾

صحابي جليل ، نزل حمص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيره : توفي بعد التسمين فأنه أعلم .

﴿ أبو أمامة الباهلي ﴾

واسمه صدق بن عجلان ، نزل حمص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني في الدعاء ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

﴿ قبيصة بن ذؤيب ﴾

أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأنى به النبي ﷺ ليدعوه ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيب عينه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

﴿ عروة بن المغيرة بن شعبة ﴾

ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبيا مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة ﴿ بجي بن يعمر ﴾ ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي .

(١) سقط من نسخة طوب قبو بالاسطوانة .

﴿ شرح بن الحارث بن قيس القاضي ﴾

أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر على الكوفة فكثرت بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعاية كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه ، وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خنكان وفاته في هذه السنة .

[قلت : قد تقدمت ترجمة شرح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك] (١) .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ﴾

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانه في جمادى من هذه السنة - وكان حصيناً منيعاً - اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً ثم حمل المسلمون على النصاري فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصاري فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجعفي ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فراجع الناس فحملوا على النصاري فكسروهم ولجأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافة حجر أزواج رسول الله ﷺ ، وأن يوسع من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، فمن باعك ملسكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم أهدمه وأدفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجرة قصيرة السقف ، وسقفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي ﷺ فينتفعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرن فيها إلا بقدر الحاجة ، وهو ما يستروى ، ويعرفون أن هذا البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكامرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلى سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف وجوه الناس من بني هاشم وغيرهم ،

وتبنا كوا مثل يوم مات النبي ﷺ ، وأجاب من له ملك متاخم للمسجد للبيع فاشتري منهم ، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وأرسل الوليد إليه فمولا كثيرة ، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد ، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بدت لهم قدم فحشوا أن تكون قدم النبي ﷺ حتى نحتقوا أنها قدم عمر رضى الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجداً - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء ، فبعث إليه جماعة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي ، والمشهور أن هذا إنما كان من أجل مسجد دمشق فأنه أعلم . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ففعل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا ، وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة ، والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته .

وفيهما غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربغانون ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل ، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتلوا قتالا شديداً ، وكان مع قتيبة نبزك ملك الترك مأسورا فكسروهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا ، وقتل منهم خلقا وسبي وأسر . وفيها حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قریش ، فلما كان بالنعميم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر ، فقال لأصحابه : ألا استمطر ؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومعهم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصبا عظيما بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين . وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان - عبد الله بن بسر بن أبي بسر المازني ﴾

صحابي كآبيه ، سكن حمص ، وروى عنه جماعة من التابعين ، قال الواقدي : توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام . وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرنا ، فعماش مائة سنة .

﴿ عبد الله بن أبي أوفى ﴾

علقمة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته فيما قاله البخاري سنة تسع أو ثمان وثمانين ، وقال الواقدي وغير واحد : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المائة ، وقيل فاربها رضى الله عنه .

﴿ وفيها توفي هشام بن إسماعيل ﴾

ابن هشام بن الوليد الحزومي المدني ، وكان حياً عبد الملك بن مروان ونائبه على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيده بن المسيب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فأت بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فأت فيها في السبع .

﴿ عمير بن حكيم ﴾

العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن محيرز أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ﴾

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم فقتل خلقاً كثيراً وفتح حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقودية . وغنم شيئاً كثيراً وأسرا جماً غفيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرقان ، وظفر بهم فقال في ذلك نهار بن توسعة :

وبانت لهم منا بخرقان ليلة * وليلتنا كانت بخرقان أطولا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتالا شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحجاج يعنفه على الفرار والتكول عن أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن يرجع إليها وتب إلى الله من ذنبك وإثمها من مكان كذا وكذا ، ورد وردان خذاه ، وإياك والتعويط ، ودعني وبنيات الطريق .

وفي هذه السنة وفي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فحفر بئراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخطب الناس : أيها الناس ! أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاه ملحاً أجالاً ، واستسقى الخليفة فسقاه عذبةً غراًتاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم ، وهذا الاسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن

كفراً إن صح عن قائله ، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو
عبد الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول
الذى أرسله الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصوناً
ومدائن كثيرة هنالك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الذهبي : وفى هذه السنة
فتحت صقلية وميوزقة وقيل ميرة ، وهما فى البحر بين جزيرة صقلية وخسدة من بلاد الأندلس .
وفىها سير موسى بن نصير ولده إلى النقريس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة . وفىها توفى من الأعيان
عبد الله بن ثعلبة بن صمير أحد التابعين المعزى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبی ﷺ ،
ومسح على رأسه ، وكان الزهرى يتعلم منه النسب . والعمال فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة ﴾

ففىها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصوناً وقتلوا خلقاً من الروم
وغنما وأسرا خلقاً كثيراً . وفىها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم
فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفىها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن
إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفىها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ،
وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفىها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم
جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد نقصاها ابن جرير . وفىها طلب
طرخون ملك الصفد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يبذله فى كل عام فأجابه قتيبة إلى
ذلك وأخذ منه رهناً عليه . وفىها استنجد وردان خذاه بالترك فأنوه من جميع النواحي - وهو
صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فخطموهم ثم عاد المسلمون
عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصفد ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة
بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصفد قال للملوك الترك : إن
العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوك ، فإن أعطوه شيئاً
أخذوه ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكاً . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكاتب
نيزك ملك الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فنقض الصلح الذى
كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأناد ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على
الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واعدوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاقدوا على أن
يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمع بمثليها ، و صلب منهم سباطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخواه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فملحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكابة لذلك ، وكان ذلك يغيظ الحجاج ، قال فائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي نصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بعذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكّت وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخذق حوّلهم وكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تسكر في هيئة بعض الطبّاخين وجعل لحيته خية بيضاء وخرج فراآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهم أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم بحضره قدمهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهربهم ، وأنه لا يراهم هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، وتحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فإنه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السماوة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاؤا مستعدين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فأنتي بهم فهم آمنون مادمت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد آمنتم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلي . فكتب إليه : لا والله لا أبعثه حتى أجي معه ، فأشرك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحني أو تخفري في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نجى معه وأبعث به إلي في وثاق . فقال يزيد : أبعث

في إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحرباً ، فأبعثني إليه وأبعث معي ابنك واكتب إليه
بألفاظ عبارات تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل
مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد
بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة
أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تنفل من
رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد
يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجارني عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك
لا تنفل جوارى ولا تخفزه ، بل لم أجر إلا سامعاً مطيعاً ، حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه
وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فان كنت إنما تعد قطيعتي واخفار ذمتي والابلاغ في مساءتي فقد
قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احتداد قطيعتي وانتهاك حرمتي ، وترك برى وإجابتى
إلى ما سألتك ، ووصلتني ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني
وبينك ، فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتى أجل الوفاة علينا إلا وهو لى وأصل
ولحقى مؤد ، وعن مساءتي نازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد
تقوى الله بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضاى وسرورى ، ومما
أتمس به رضوان الله عز وجل لصلى ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد
صلى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشققتنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، وتكلم يزيد بن
المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ،
فمن ينس ذلك فلسنا ندساه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت في
طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما أن المنة فيه علينا
عظيمة . فقال له : اجلس فاجلس فأمنه وكف عنه وردّه إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، ويصف
له ألوان الأطعمة الشهية ، وكان حظاً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتقرب يزيد
ابن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقديم ، وكتب الوليد إلى الحجاج إنى لم أصل إلى
يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم . فكفف
الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبى عيينة بن المهلب ألف
ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس
وتسعين ، ثم ولى يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب . وفيها توفى من الأعيان :

﴿ يتاذق الطيب ﴾

الحاذق ، له مصنفات في فنه وكان حظياً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .
وفيهما توفي ﴿ عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ﴾ وأبو المالقة الرياحي وسنان بن سلمة بن الحباق أحد
الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن
يوسف الثقفي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعب علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر
المنذري أن يلعب علياً فقال : بل لعن الله من يلعب علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله . وقيل إنه وري
في لعنه فأنه أعلم .

﴿ خالد بن يزيد بن معاوية ﴾

أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلى دار الحجازة ، وكان عالماً شاعراً ، وينسب
إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه
الزهري وغيره ، قال الزهري : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم
الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة
الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان
ولي العهد من بعد مروان فلم يلتئم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء
الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حرّاً أنما * فردا وقالاً إننا لمعبود

فقلت ومن مولا كما فتطاولا * على وقال خالد بن يزيد

[قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه . فقال :
وقالا خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي جامع
حمص وكان له فيه أربع مائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد يبيع الحجاج ، وهو
الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشي
الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد نجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن هذا
فلم يخبره فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها
لخالد فقالت : حتى يطلق نساء فطلعتن وتزوجها وأنشد فيها الشعر] ^(١)

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

﴿ عبد الله بن الزبير ﴾

ابن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن

الزبير فامتدحه فلم يعطه شيئاً فقال : لمن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ﴾

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضي غيرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائعة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها . وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرهم قتيبة وقتل منهم أمماً كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جملة من أخذ منهم سباطين طولهما أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجانب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك ذنبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً منه وما مخدولاً ، فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلغوا عليه ، فقالوا يقول : أقتله . وقالوا يقول لا تقتله فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لقتلته ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمرى إلا ما يسع ثلاث كلمات لقتلته ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وحيولهم وثيابهم وأبنائهم ونساءهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وقرر ممالك كثيرة . وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والفساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة إلى النطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارباب وبها مدن ورسائيق ، فخرج إليه ملكها سامما مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، ثم سار إلى

الجورجان فأخذنها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها يوماً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد نزل نيزك خان بمسكن أعلى فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لهاوها وارتفاعها واتساعها ، فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان ، فاستأمنه على أن ياتيه على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة فأتوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقاً من أهلها وهرب الباقي ، ودخل قتيبة الشعب وأتى سمنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها ، وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى بغلان فحصره بها ، وأقام يحصره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجاناً يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتني بنيزك خان وأئني عمت إلى وليس هو منك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فآخراً ، فسار الترجان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمّنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحبج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشرف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لاساوى خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فخانت منه التفاتة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أئني عليه ، وشرع الوليد يئني عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعسر له - فقال : نحن أحق بالسمي إليه ، فجاء فوقف عليه فسلم عليه فلم يقم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا قتيبة الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله ﷺ فجلس في الخطبة الأولى وانتصب في الثانية ، قال وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف على الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كما المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباح غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله ﷺ وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخاري ، فلما قال الواقدي : إنه ولد سنة سنة ثلاث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

﴿ سهل بن سعد الساعدي ﴾

صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله ﷺ وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينهلهم كيلا يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة . قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ﴾

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير [بلاد الأندلس في اثني عشر ألفا ، فخرج إليه ملكها أدرينون في جحافة وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه وغنم مافي معسكره ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتملك بلاد الأندلس بكاملها ، قال الذهبي : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائبا لمولاه موسى بن نصير ^(١) ، فكتب إليه صاحب الجزيرة انظر اء يستعجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبعة وانتهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمعن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها أدرينون ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يبشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعا بمجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عميدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من الجواهر والياقيات والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف : وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجهز أخاه عبد الرحمن إلى الصفد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالا كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورحل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالنبل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا إليك ، ثم عزوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسالة يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفي فيها من الأعيان (مالك بن أوس) بن الخندان النخري ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته ، قال بعضهم : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله ﷺ ولم يحفظ منه شيئا ، وأنكر ذلك ابن ميمن والبخاري وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها فلهذا أعلم . ﴿ طويس المنفى ﴾

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعا في صناعته ، وكان طويلا مضطربا أحول العين ، وكان مشموما ، لأنه ولد يوم مات رسول الله ﷺ ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد - وهي على مرحلتين من المدينة - (الأخطل) كان شاعرا مطبقا ، فاق أقرانه في الشعر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزاة وماسة وغير ذلك . وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية . وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة . وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالا ورقيقا كثيرا على أن يقتل أخاه ويسلمه إليه ، فانه قد أفسد في الأرض وبغى على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا بعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فسلم إليه خوارزم شاه محالجه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشا فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأمسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قتل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

﴿ فتح سمرقند ﴾

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصغد قد آمنوك علمك هذا ، فإن رأيت أن تسبل إليهم وهم لا يشعرون ، فإنك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريد لها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لتلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا : قال فلأن يسمه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبيد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسيقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدهم إليهم اتسخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في سبائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خنوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق واهرقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم فقتل المسلمون هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وخنموا ما كان معهم من الأسلحة المحلاة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المسدودين بمائة فارس أو بألف فارس ، ففعلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقرب من المدينة العظمى التي بالصغد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وانصب من معه عليها من بخاري وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصغد قتلاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصغد : إنما تقتلني باخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . فغضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر الهجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلمة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من فمها فلم يلبث أن مات قبضه الله ، فأعطى قتيبة الذي رمه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالمجانيق فسلم أيضاً ثلمة ودمد المسلمون فوقها ، وتراءوا هم وأهل البلد بالشباب ، فقالت الترك لقتيبة : أوجع عنا يومك هذا ونحن نعاملك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الفد على ألفي ألف ومائة ألف يحسبونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام ومافي بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من القتالة حتى يبني فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر لينطق عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ودمه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه الثبر - فصلى في المسجد وخطب وتعدى وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالفصر العظيم ، ثم أمر بشحريتها ، فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك ، وجاء الملك غورك فنهى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، فقام قتيبة وأخذ في يده شمعة نار وقال : أنا أحرقتها بيدي فسيكوني جميعاً ثم لا تنظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقاياها ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد بزجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحكم عليه ، ولست لأبذل من جند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فتلا قتيبة (وأنه أهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى) الآيات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا محتوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تحب عينه حتمه ، فان جفت وهو بها فاقطعه ، ومن رأيت منهم ومعه حديدية أو سكين فاقطعه بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقطعه ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي رجل من جهني :-

كل يوم يحوى قتيبة نهباً * ويزيد الأوال مالا جديداً
باهلي قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى * ترك الصغد بالعراء قمودا
فوليد يميكي لعمد أبيه * وأب مومج يميكي الوليدا
كلما حل بلدة أو أقالها * تركت خيله بها أخودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتي بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يبهز العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وفيها بعث موسى بن نصير المساكين وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطليطلة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة بلجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجهاز البعوث والسرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجلسوا يفتتحون المغرب بلداً بلداً ، وإقليماً إقليمياً ، ويعلمون الأموال ويسجون
الفرارى والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال وتحف لا تحصى ولا تعد كثيرة .
وفيها قحط أهل إفريقية وأجدوا جديداً شديداً ، ففرج بهم موسى بن نصير يستسقى بهم ، فما زال
يدعو حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأئمة المؤمنين ؟ قال :
ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأملأوا مطراً غزيراً
وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير
خسباً مروطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وسب فوق رأسه قربة من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وألقاه
على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف
لا يأمن ، وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول :
هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الشكلى ، وكان إذا أتى عليه يقول :
خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال
وركبه الحزن والخوف من حيثئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ،
ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعمل وصدقة وبر
وعتق وغير ذلك .

وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد
الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك
داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتحبة ، فاقتتلوا فهزمهم الله وهرب
الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الملك داهر
وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهند فقتلوه . ثم سار محمد بن القاسم فافتتح مدينة
الكبرج وبرها ورجع بفنائم كثيرة وأموال لا تحصى كثيرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك ، فكانت
سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض
ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعباً ،
لا يترجى المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أئمنوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في النزول والصلحون
والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فتنبه
ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويغنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه
يدعوه ، يخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبعث يستعلمه مع قوته وكثرة جنده ،
بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولوعاش الحجاج لما أقبل عن بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجهدون بمسار الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبني بها مسلة جامعا يعبد الله فيه ، وامتلات قلوب الفرنج منهم رعبا . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في ممالكها ، بعد هذه الأقاليم السكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائما في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني السباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلادا كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتملكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع المسلم إليها فأخذ منها بلادا كثيرة ، وضمف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضمف الاسلام وقل ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوهما من أيديهم وطردوهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى [(١)

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمارة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيق وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشوه ، فسمع بذلك الحجاج فنكتب إلى الوليد بن عمر ضعيف عن إمارة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضمف في الولاية ، فأجعل على الحرميين من يضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفعل ما أمر به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فترزل السويدياء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفى في هذه السنة من الأعيان :

﴿ أنس بن مالك ﴾

ابن النصر بن ضمة بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبو حمزة

و يقال أبو ثمامة الأنصاري ، خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله ﷺ أحاديث جمة ، وأخبر بعلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال قيل لأنس : أشهدت بديراً ؟ فقال : وأين أغيب عن بديراً أم لك ؟ قال الأنصاري : شهادتها بخدم رسول الله ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أمت به . وفي رواية عنه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لبيد يخدمك ، فوهبته مني فقبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كُنْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ بِغِلَّةٍ كُنْتُ أَجْتَنِبُهَا . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عملة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخل في الأمر ، وأنه ألقى فيه ، فغتمه الحجاج في عنقه ، هنا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنفه ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يذوق جامع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فقامت إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقالت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف ممّا كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يفعل خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواطئون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويلدك أنيس فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالى لكثير حتى نخلى وكفى ليشر في السنة مرتين ، وإن ولدى وولدى ولدى ليعتادون على نحو المائة : وفي رواية وإن ولدى لصلبى مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً ، وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بفتى آمنة أنه دفن لصلبى إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل سمت يدك كفى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ! قال فأعطنيها أقبلها ، وقال محمد ابن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المثني بن سعيد الذراع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى رسول الله ﷺ ثم يبكى . وقال محمد بن سعد عن أبى نعيم عن يونس ابن أبى إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نمل رسول الله ﷺ وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول : يا رسول الله خويدهك .

وقال الامام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة : « قال أنا فاعل » قلت فأتى أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : اضلبنى أول ما تطلبنى على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الخوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواضع يوم القيامة . ورواه الترمذى وغيره من حديث حرب بن ميمون أبى الخطاب صاحب الأعشى الأنصارى به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : خذ منى فأنا أخذت من رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ، وأست نحمد أوثق منى . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقى أحد صلى إلى القبلتين غيرى . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحريرى يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل : فقال لى : يا ابن أخى هكذا الاحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن فى بعض أبيات زواج النبي ﷺ فتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعى بقولى لكم مه . وقال ابن أبى الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بمث أنس بعض أهله فقال :
انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تمد أرضه إلا يسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن
رسول الله ﷺ حديثاً فشرع منه قال : أو كما قال رسول الله ﷺ . وقال الأنصاري عن ابن عوف
عن محمد قال : بمث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً عن النبي ﷺ فقال أنس : قال : لا ، فلم يقبله . وقال
النضر بن شداد عن أبيه : مرض أنس فقيل له ألا ندعو لك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .
وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت
في القصر مع الحجاج وهو يمرض الناس لينلى ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي
يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي
نفس الحجاج بيده لا ستأصلك كما تستأصل النعمنة ، ولا جردنك كما تجرد الضب . قال يقول أنس :
إيأي يعني الأمير ؟ قال إيأيك أعني ، أحم الله سمعك ، قال فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج نفرج
أنس فتبعناه إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي . وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي
الصفار . وخفته عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولكلمته بكلام في مقامى هذا لا يستخفى به
أبداً . وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنسا بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله
لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموا ، وأنا قد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .
فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة
فتروأه وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج
بالملظة والشدّة ، هم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم
بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة . وكان إسماعيل
صديق الحجاج . فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إيأي أعني واسمعي
يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد علي منطق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرمة عجب
الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأتاك الله أخيفش الميسين ، أفتل
الرجلين ، أسود الماجزين - ومعنى قوله المستقرمة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ،
ومعنى أركلك أي أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وأربعين . وقال
أحمد بن صالح العجلي : لم يقتل أحد من الصحابة إلا رجلاً ، معتباً كان به الجند ، وأنس بن
مالك كان به وضح . وقال الحميد بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يبتهم لثما عظماً ، ورأيت به وضحا شديداً ، وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضمت أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقا . وقال شعبة عن موسى السبلاوي قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي ، وقيل له في مرضه : ألا ندعوك طبيياً ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، وجعل يقول : لقنوني لا إله إلا الله وهو مختضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عضيّة من رسول الله ﷺ فأمر بها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين ، وقال الامام أحمد في مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمر مائة سنة غير سنة ، قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال علي بن المديني والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقليل ستة تسعين ، وقليل إحدى وتسعين ، وقليل ثنتين وتسعين ، وقليل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : تعالوا إلى من سمع منه .

﴿ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ﴾

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، والله أعلم ، وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ ، كان يتغزل في امرأة يقال لها النريا بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة : —

أيها المنكح النريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمان
ومن مستجاد شعره ما أوردته ابن خلكان :

حي طيفاً من الأحبة زارا * بعد ما برح الكرى السمارا
طارفا في المنام بعد دجى * الليل خفيا بأن يزور نهارا
قلت ما بالنا جفينا وكنا * قبل ذاك الأسباع والأبصارا
قال : إنا كما عهدت ولكن * شغل الحلى أهله أن يعاروا

[﴿ بلال بن أبي الدرداء ﴾]

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزل له عبد الملك بن أبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، وانظاهر أن هذا القبر الذى بباب الصغير الذى يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حماسة مؤذن رسول الله ﷺ ، فان بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .

﴿ بشر بن سعيد ﴾

المزنى السيد العابدين الفقيه ، كان من العباد المتقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفى بالمدينة .

﴿ زرارة بن أوفى ﴾

ابن حاجب العامرى ، قاضى البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحاءها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة فى صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ (فاذا نقر فى الناقور) خر ميتاً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

﴿ خبيب بن عبد الله ﴾

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له فى ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكي . مات بالمدينة .

﴿ حفص بن عاصم ﴾

ابن عمر بن الخطاب المدنى ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفى بالمدينة .

﴿ سعيد بن عبد الرحمن ﴾

ابن عتاب بن أسيد الأموى ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً ممدحاً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين ^(١) .

﴿ فروة بن مجاهد ﴾

قيل إنه كان من الأبدال ، أسر مرة وهو فى غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم فى المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم فى المضى إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى مانحن فيه من الضيق ؟ فلمس قيودهم بيده فزال عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فانفتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

﴿ أبو الشعثاء جابر بن زيد ﴾

كان لا يماكس فى ثلاث ، فى السكرى إلى مكة ، وفى الرقبة يشترى بها لتعتق ، وفى الأضحية . وقال : لا تماكس فى شئ يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم ، قلت : كما قيل : —

(١) كذا بالأصل .

إني رأيت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
 فإذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقوى المسلم
 وقال أبو الشعثاء : لأن أنصدق بدرهم على يتيم ومسكين أحب إلى من حجة بحد حجة الاسلام .
 كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله
 إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :
 يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفتي إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك
 إن فعلت غير ذلك فقد هلكك وأهلكك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أعلم بفتي من جابر
 ابن زيد . وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال
 قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار
 قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نقرأ للقضاء أنا أحدهم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء
 منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تهجد
 البدن ولا تهجد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من
 ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط يقوم قالوا : لو كان
 كلامر به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف
 على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجهه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من
 دعائك ورغب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر
 ابن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأنا ذات يوم وعليه ثمان خلقان ، فقال : مضى من عمري ستون
 سنة فملاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر
 ابن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لئلا يفر به مسلم . الستوق الدرهم المغاير أو الدغل ،
 وقيل : هو المغشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمري حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر
 ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة
 صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به .
 وقال مالك بن دينار : سألته عن قوله تعالى (إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ) قال :
 ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة (ثم لا تنجد لك علينا نصيراً) وقال سفيان : حدثني
 أبو عمير الحارث بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى
 الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما نزل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقدموني ، فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان إباضياً ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقر بني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدي عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس ^(١)

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ﴾

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل إنه فتح انطاكية ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاه ، وبلغ الوليد بن هشام الميضى أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام : وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم . وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزو الهند حديث رواد الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة ، وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك فقاتلهم قتيبة عند خجندة فبكسرم مراراً وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة التي هي قريبة من بلاد الصين أبياتاً في ذلك : -

فسل الفوارس في خجندة * دة تحت مرهقة العوالى
هل كنت أجمعهم إذا * هزموا وأقدم في قتالى
أم كنت أضرب هامة الـ * ماني وأصير للنزال
هذا وأنت قريع قيد * س كلها ضخم النوال
وفضلت قيساً في الندى * وأبولك في الحجيج الخوالى

تمت مروءتكم وما * غي عزكم غلب الجبال
ولقد تبين عدل حكمك * فيهم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وأهل في هذه الفروقة . وقد ذكرنا ما أورده ابن
الجوزي في منظمه أن سحبان وأهل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين فأن الله أعلم .
﴿ مقتل سعيد بن جبير رحمه الله ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن
الحجاج كان قد جعله على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ،
فلما خلعه ابن الأشعث خلعه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب
سعيد بن جبير إلى أصحابه ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب
منها ، ثم كان يعمّر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله
القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقتل سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر
ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة
من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين
من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق
ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد
بنولاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمر بن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق
فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد
ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قتله : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ! ألم أستملاك ؟ ألم أفعل
ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فما حملك على الخروج
عليّ وخلفت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم
عليّ ، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً وانتفخ حتى سقط طرف رداءه عن منكبيه ، وقال له :
ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟
قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له
ثانية ؟ قال : بلى ! قال فتشكت بيعتين لأمر المؤمنين وتقي بواحدة للأخالك ابن الخائف ؟ يا حرمي
أضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لائحة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحو
هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت أما فعلت .

قال ابن جرير : فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير ففسد رأسه هلال ثلاثاً ، مرة يفضح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفضح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شيبخ يقول : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك علي ؟ فقال : صلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين بخطيء مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم عاوده في شيء فقال سعيد : إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الافطس قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز ، فقال : والله لأأركب حتى تقبوا متعمك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود أتى على سعيد ، وقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لأقتلنك قال : إني إذا لسعيد كما سميتي أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عبد الله فم قتلتي ؟ فيقول الحجاج : مالي وسعيد بن جبير ، مالي وسعيد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفيا أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتيا ، فلما عي ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل ستة أشهر . وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسندكر طرفاً صالحاً هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وحج بالناس فيها العباس بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكهله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكمي ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان ﴾

سعيد بن جبير الأسدي الوالي مولا لم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظهر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها ، وكان بخراسان لا ينحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما همنى ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مختلفاً من الحجاج قريباً من ثلثي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى سعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ، إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلك ، قال : أنا إذاً كما سمعني أمي سعيداً ؟ قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصاري ، قال : (فأينا تولوا فتم وجهه الله) قال : إني أستعيز منك بما استعازت به مريم ، قال : وما عازت به ؟ قال : قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لا بد لك بالدينار ناراً تطفى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لآخذتك إلهاً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصاري ، فقال : (أيما تولوا فتم وجهه الله) فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فقال : اذبح فما أنزعه لا آيات الله منذ اليوم . فقال : ألا هم لا تسلطه على أحد بعدى . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير ، أحسنه هذا والله أعلم ^(١) |

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالمقوبة ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سئل عن وفاته في السنة الآتية ، فقيل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر والله أعلم .

واختلفوا في عمر سميد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقيل تسعاً وأربعين سنة ، وقيل سبعاً وخمسين والله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - والله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سميد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذكر له ، وإن أكثر منه التسبيح وتلاوة القرآن . قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكأنما ذكر ذنبه احتقر عمله ، وقال له الحجاج : ويحك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله ، فذبح من قفاد ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة أقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأتين منه فمات . وقال سميد للحجاج لما أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك ^(٢) |

ن: سميد بن المسيب

ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد اسنتين مضتا وقبل بقليل بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهم منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي ﷺ ، وروى عن عمر كثيراً ، وقيل سمع منه . وعن عثمان وعلي وسميد وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم ، قال ابن عمر : كان سميد أحد المتقين ، وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره ، وقال محمد بن إسحاق قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم . فما لقيت أعلم من سميد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري عن كحول من

أفقه من أقيمتا؟ قالوا : سعيد بن المسيب . وقال غيره : كان يقال له فقيه الفقهاء . وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب : كنت أرحل الأيالم والألبالي في طلب الحديث الواحد ، قبل مالك : وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه ، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال : إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن . وقال الإمام أحمد بن حنبل هي صحاح : قال : وسعيد بن المسيب أفضل التابعين . قال علي بن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، وهو عندى أجل التابعين . وقال أحمد بن عبد الله السجلى : كان سعيد رجلا صالحا فقيها ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعائة دينار ، وكان يتجر في الزيت ، وكان أعور . وقال أبو زرعة : كان مدنيا ثقة إماما . وقال أبو حاتم : ليس في التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم في أبي هريرة ، قال الواقدي : توفي في سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، عن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله .

[وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهدي الناس في فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعنى ، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث ، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتمن ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع ، وقال برد مولاة : مانودى للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد . وقال ابن إدريس : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة . وقال سعيد : لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة . وقال : ما يؤس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء . وقال : ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى . وقال : كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله . وقال : من استغنى بالله افتقر الناس إليه . وقال : الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل ، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها . وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه . وقال : من كان فضلا أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله .

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدبا وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحقوق الزوج - وكان فقيرا ، فأرسل إليه بخمسة آلاف ، وقيل : بعشرين ألفا ، وقال : استنفق هذه . وقصته في ذلك مشهورة ، وقد كان عبد الملك خطيبا لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجها ، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم ، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك ، ضربه نائمه على المدينة هشام بن

إسماعيل وألفاته المدينة ، وعرضوه على السيف فضى ولم يبالغ ، فلما رجفوا به رأته امرأة فقالت :
 ما هذا الخزي يا سعيد ؟ فقال : من الخزي فررنا إلى مائتين ، أى لو أحببتناهم وقمنا في خزي الدنيا
 والآخرة . وكان يعمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أني لم
 أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني
 مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفهم ، وأصل منه رحي ، وأؤدى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه
 على الأرملة والفقير والمساكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

(صلى بن حبيب المنزى)

تابعي جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه
 حميد الطويل والأعشى وطاوس ، وهو من أقرانه وأئني عليه عمرو بن دينار ، وقد أئني عليه
 غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان من خرج مع
 ابن الأشعث ، وكان يقول تقوا بالتقوى ، فقيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل
 بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال
 أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصى ، أو يقوم
 بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا ناثبين ، وأمسوا ناثبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء
 يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول
 فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك :
 قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير فيما سبق أن خالد بن
 عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن
 حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

(عروة بن الزبير بن العوام)

القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعي جليل ، روى عن أبيه وعن العبادلة ومعاوية
 والمنيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . بعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن
 سواهم . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالما ما سألنا به . وقال المعجلي : مدني تابعي
 رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان فقيها عالما حافظا ثبता حجة عالما بالسيرة
 وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المحدثين ، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ
 يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، لذي حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بساطان يتحفة بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشتراطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز . وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الرطب يثلم حائطه للناس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الرطب أعاده ، وقال الزهري : كان عروة بجرأ لا ينزف ولا تنكسر الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجمله ، وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء المشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل ، ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فمات ، فدخلوا عليه فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت] قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة . وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء المارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلمين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فاني لأحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المسكان الحى ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلى ، فما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبهم إليه ، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات ، فأثوه فمزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة . فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عافيت ، ولأن كنت قد أخذت فلما لما أعطيت . فلما قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكنا ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : (لقد لتينا من سفرنا هذا نصيباً) فلما دخل المدينة أتاه الناس يسألون عليه ويمزونه في رجله وولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنوب عظيم أحدثه . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمن بن أوس :-

لعمرك ما أهويت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجل
ولا فاذنى سمعى ولا بصرى لها * ولا دلنى رأبى عليها ولا عقل
ولست بمش ما حبيت لمنكر * من الأمر لا يمشى إلى مثله مثلى
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة * وأؤثر ضيقى ما أقام على أهلى
وأعلم أنى لم تصبنى مصيبة * من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلى

وفى رواية : اللهم إنه كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن محارب : وقعت فى رجل عروة الأكلة فقطعت ولم يمسه أحد ، ولم يدع فى تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أنى لم أمس بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلى صلاة خفيفة فدعا فقال : يا أخى أما كانت لك إلى ربك حاجة فى صلاتك ؟ إني لأسأل الله فى صلاتى حتى أسأله الملاح . قال عروة : رب كلة ذل احتملتها أو رتقتى عزاً ملو يلا . وقال البيهقي : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم [(١)] .

قيل إنه ولد فى حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر فى سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته فى سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين والله أعلم .
(إلى على بن الحسين)

ابن على بن أبى طالب القرشى الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له على أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن على ، وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبى هريرة وصفية وعائشة وأم سلامة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاووس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلمة وهو من أقرانه ، وخلقى .

قال ابن خلكان : كانت أم سلمة بنت يزيد جد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزخشرى فى ربيع الأبرار أن يزيد جد كان له ثلاث بنات سبعين فى زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبى بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكاهم بنو خالة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتيبة بن مسلم فى روز ابن يزيد جد بمث بابتنيه إلى الحجاج فأخذ إحداهما وبث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاء ، فاستبقى لصغره ، وقيل لمرضه ، فإنه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقد هم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا فنهى الله عنه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان على بالندبة محترما معظما . قال ابن عساكر : ومسجد بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالساحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره فى جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطرار القراطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أروع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم لله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يخطر بباله ، وكان يعم بعامة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث عالما رفيعا ورعا ، وأمه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زيد فولدت له عبد الله بن زيد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن فى أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هاشمى أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا . وفى رواية : حتى بمضتمونا إلى الناس . وقال الأصمعى : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلى بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو انقضت السرارى بكثر أولادك ، فقال : ليس لى ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السرارى فولدت له وكثير نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين شئ مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :
أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه احترق البيت
الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن
هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، ف قيل
له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي ؟ ولما حج أراد أن يلي فارتعد وقال :
أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك ، فشجوه على التلبية ، فلما لبى غشى عليه
حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند
الحجر يقول : عبيدك بفنائك ، سائلك بفنائك . فقهرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله ما دعوت بها في
كرب قط إلا كشف عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفي غضب
الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ،
فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فمرفوا أنه هو الذي كان يأتهم في الليل بما يأتهم به . ولما مات
وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأراذل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان
يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة
ابن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، ولم هو ؟ قال خمسة عشر
ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر
وعمر من رسول الله ﷺ في حياته بمنزلة من بعده وفاته . ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه
- يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل : إياك أغنى ، فقال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد
فسبه رجل فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنتك من عبوبنا
أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فالتقى إليه خميسة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،
فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختمهم علي بن الحسين وحسن
ابن حسن - وكان بينهما منافسة - فنال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي
ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك
والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصاحبه . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا
لنفسه قدراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : فقد الأجرة غربة ، وكان
يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ،
وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لا تصحب فاسقاً فإنه

يبيعك بأكلة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ، ولا يخيل فانه بخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه ، ولا كذابا فانه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قاطع رحم فانه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطى خلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينفع ، وإن العلم يطلب حيث كان . وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أنتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ فقلت : ما تصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زر بن عبيد ^(١) قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا العلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفیان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله ﷺ فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقعده إلى جنبه ، ثم قال : « بولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساكر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أفقه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهما قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : أنبأ علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردّها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فكرعت أن أقبلها وكرهت أن أردّها ، فابعت من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخذها فقسد طبيعتها لك ، فقبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبجل عليه بالدينا ، فاذا كان يوم القيامة

قيل لي فاذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل وأبخل . وذكروا أنه كان كثير البكاء فتقبل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلي بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسطط الأبريق من يدها على وجهه فشججه ، فرفع رأسه إليها فقاتل الجارية : إن الله يقول (والكاظمين الغيظ) ، فقال : قد كظمت غيظي ، قالت (والعافين عن الناس) فقال : عفا الله عنك . فقالت (والله يحب المحسنين) قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فقالوا منهما ، ثم ابتدئوا في عثمان فقال لهم : أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين (أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله) ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين (تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) ؟ قالوا لا ! فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتهم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم (والذين جاوزوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالاسلام ، ولستم من أهل . وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحله . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوي شيئاً في النور على رأس صبي لعلي بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيب من النذل حر النعم : ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فخرج عليه من أجل إيمرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : قارف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله ، فلما اجتمع بعلي بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهرى يقول : على بن الحسين أعظم الناس على مئة .

وقال سفيان بن عيينة كان على بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أو شك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنين على مصيبة إلا أو شك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له وأعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقمة ودونها ويتلو قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

(وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجري وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبیت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تمنع عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً ، وهو في نزوة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام هشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه - استقصا به واحتقاراً لئلا يرغب فيه أهل الشام - فقال الفرزدق - وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبیت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأيته قریش قال فائدها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يسمى إلى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والمعجم
يكاد يحسكه عرفان راحته * ركن الخطيم إذا ماجاء يستلم
يغضى حياءً ويغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتسم
بكفه خيزران ريجها عبق * من كف أروع في عرينه شمم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصرها والقيم والشيم
ينجذب نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينجليب عن إشراقها القيم
حمل أثقال أقوام إذا فدحوا * حلوا الشمايل تحلو عنده نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
من جده دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالأحسان فانقشمت * عنها الغوايب والاملاق والظلم
 كالتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يوردهما العدم
 سهل الخليفة لا تخشى بوارده * بزيته اثنتان الحلم والسكرم
 لا يخلف الوعد ميسون بغيرته * رحب الفناء أريب حين يعترزم
 من معشر حبهم دين ورفضهم * كفروا قريتهم منجى ومقصرم
 يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويستزاد به الاحسان والنعم
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل حكم ومخنوم به السكهم
 إن عد أهل التقي كانوا أئمتهم * أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يبدانهم قوم وإن كرموا
 هم النيوث إذا ما أزمته أزمته * والأسد أسد الشرى والبأس محترم
 يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كرام وأيد بالندى هضم
 لا ينقص العدم بسطا من أكرهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
 أي الخلائق ليست في رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
 فليس قولك من هذا بضارده * العرب تعرف من أنكرت والعجم
 من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا فالله الأم

قال : فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك
 على بن الحسين بعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله
 عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ﷺ في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء .
 فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صادق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها
 فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

تحسنى بين المدينة والتي * إليها قلوب الناس تهوى أمانيها
 يقلب راسا لم يكن رأس سيد * وعينين حولاًوين باد عيوبها
 وقد روينا عن على بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنائز يقول هذين البيتين :
 نراع إذا الجنائز قابلتنا * ونلهو حين تمضي ذاهبات
 كروعة ثلثة لمفار - سبع * فلما عاب عادت راقعات

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبيد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن
 الزهري قال سمعت على بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه : -

يا نفس حثام إلى الدنيا سكوتك ، وإلى عمارتها ركوك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك
ومن وارثه الأرض من الآفك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلى الثرى من أقرانك ؟ فهم
في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراضهم * وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها * وضمهم تحت التراب الخفائر
كم خربت أيدي النون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلائها ، وغيت في ترابها ،
من عشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، ثم رجعت [عنهم إلى عمل أهل الافلاس : -

وأنت على الدنيا مكب منافس * لخطاياها فيها حريص مكائر
على خطر تمشي وتصبح لاهيا * أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرءاً يسعى لدنياه دائماً * وينهل عن أخراه لاشك خاسر

فثام على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد وخطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما
يراد بك ساه وبلدة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبر والبلوى * عن الاله والذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص * وشيب قذال منسدر للكابر
كانك معنى بما هو ضائر * لنفسك عمدا وعن الرشد حائر

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الغانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ، ووافاهم الحام ، فامتحت
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا رمما في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،

أمسحوا رمما في التراب وعطلت * مجالسهم منهم وأخلي مقاصر
وحلوا بدار لاتراور بينهم * وأنى لسكان القبور النزاور
فما أن ترى الإقبراً قد ثووا بها * مسطحة تسفى عليها الأعاصر

كم من ذى منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ، وبني فيها
التصور والدساكر ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح السرارى والحرائر .

فما صرفت كف المنية إذ أتت * مبادرة تهوى إليه الذخائر
ولادفعت عنه الحصون التي بنى * وحف بها أنهاره والدساكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة * ولا طمعت في اللب عنه المساكر

أناد من الله ما لا يرد ، ونزل به من قضائه ما لا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز
القهار ، قاصم الجبارين - ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لعزه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

مليك عزيز لا يرد قضاءه * حكيم عليم نافذ الأمر ظاهر
 عني كل ذي عز لمة وجهه * فكم من عزيز المهيم صاغر
 لقد خضعت واستسلمت وقضائات * لعزة ذي العرش الملوكة الجبار
 فالبدار البدار والحدار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، وتحلت لك من
 زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواثلها وهلاكاتها ،
 وفي دون ما عابنت من فجعاتها * إلى دفعها دافع وبالزهد أمر
 فجد ولا تغفل وكن متيقظا * فمما قليل يترك الدار عامر
 فشمّر ولا تنتر فعمرك زائل * وأنت إلى دار الإقامة صار
 ولا تطلب الدنيا فان نعيمها * وإن نلت منها غبه لك ضار
 فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فنائها ، وغير طامع في بقائها ،
 أم كيف تنام عيننا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أمور الممات .
 ألا لا ولكننا نغتر نفوسنا * وتشغلنا اللذات عما نحاذر
 وكيف يلد العيش من هو موقف * بموقف عدل يوم تبلى السرائر
 كأننا نرى أن لا نشور وأتينا * سدى مالنا بعد الممات مصادر
 وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع
 فجائعها ، وكثرة عذابه في مصائبها وفي طلمبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها
 أما قد ترى في كل يوم وليلة * يروح علينا صرفها ويباكر
 تعاورنا آفاتنا وهمومها * وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
 فلا هو مغبوط بدنياء آمن * ولا هو عن تطلباها النفس قاصر
 كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تنعشه من عثرته ، ولم تنقذه
 من صرخته ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه . ولم تخلصه من وسمه
 بل أوردته بعد عز ومنعة * موارد سوء ما هن مصادر ^(١)
 فلما رأى أن لا نجاة وأنه * هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
 تندم إذ لم تكن عنه ندامة * عليه وأبكته الذنوب الكبائر
 إذ بكى على ماسلف من خطايا ، ونحصر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حتى لا ينفعه
 الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطت به أحزانه وهمومه * وأبلس لما أعجزته المقادر
فليس له من كربة الموت فارج * وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه * ترددها منه الألبا والخناجر
هنالك خف عواده ، وأسفه أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ،
فقمضوا بأيديهم عينيه ، ومد عند خروج روحه رجله ، وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق
فكم موجع يبكي عليه منجع * ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً * يعبد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته * وعما قليل للذي صار صار
فشقت جيوبها نسائه ، ولظمت خدودها إماءه ، وأحول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزقته إخوانه ،
ثم أقبلوا على جهازه ، وشمروا لأبرازه ، كأنه لم يكن بينهم العزيز المقدي ، ولا الحبيب المبدى .
وحل أحب القوم كان بقربه * بحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد أحضره لفساد * ووجه لما فاض للقبر حافر
وكفن في ثوبين واجتمعت له * مشيعة إخوانه والعشائر
فروايت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت
الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه وأحزابه : —

لما نلت من قبس المنية منظراً * يبال لمرآة ويرتاع ناظر
أكابر أولاد بهيج اكتئابهم * إذا ماتت أساء البنون الأصاغر
وربة نسوان عليه جوازع * مدامهم فوق الحدود غوازر
ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللبن ، احتوشته أعماله
وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه
والالتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب
فولوا عليه معولين وكلمهم * مثل الذي لاقى أخوه محاذر
كشاه رتاع آمنين بدا لها * بمدية بادي الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتاع قليلاً وأنجلت * فلما نأى عنها الذي هو جازر
نادت إلى مرعائها ، ونسيت ما في أختها دهاها ، أفتأفعال الأنعام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .
نوى مفرداً في لحد وتوزعت * مواريته أولاده والأصاغر

وأخنوا على أمواله يقسمونها * فلا حامد منهم عليها وشاكر
 فيها عامر الدنيا ويأساعيا لها * ويا آمنة من أن تدور الدوائر
 كيف أمنت هذه الحلالة وأنت صائر إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي معيتك إلى
 مماتك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظر حمامك ؟ أم كيف تهنأ بالشهوات ، وهي مطية الآفات
 ولم تنزود للرحيل وقد دنا * وأنت على حال وشيك مسافر
 فيالهف نفسي كم أسوف توبتي * وعمرى فإن والردى لى ناظر
 وكل الذى أسلفت فى الصحف مثبت * يجازى عليه عادل الحكم قادر
 فكم نرفع بآخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يذوثر الدنيا على الدين
 أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمادك من شدة الحساب ، وشر الحساب
 أما تذكر حال من جمع وثر ، ورفع البناء وزخرف وعمر ، أما صار جمهم بورا ، ومسا كنهم قبورا :
 تخرب ما ييسقى وتعمر قانيا * فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
 وهل لك إن وأفاك حنفتك بغتة * ولم تكن تسب خيرا لدى الله عاذر
 أنرضى بأن تنفى الحياة وتنقضى * ودينك منقوص ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين ، زين العابدين ، فاشتهر عن
 الجمهور أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلى
 عليه بالقيع ، ودفن به ، قال الفلاس : مات على بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائني
 فى قوله : إنه توفى سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على بن الحسين
 وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :
 قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبي جعفر عن على بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض
 أشرو بطار ، ولا خير فى جسد يأشرو ويبطر . وقال أبو بكر بن الانباري : حدثنا أحمد بن الصلت
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوي حدثنا أبي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال على بن الحسين : فقد
 الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فى لوانع العيون علانيى ، وتقبح فى خفيات
 الغيوب سريرى ، اللهم كما أسأت وأحسنك إلى ، فإذا عدت فقد إلى . اللهم أرزقنى مواساة من
 قترت عليه رزقك بما سمعت على من فضلك . وقال لابنه : يا بني اتقذ ثوبا للغائط فإن رأيت الذباب
 يقع على الشئ ثم يقع على الثوب . ثم اتقته فقال : وما كان نرسول الله ﷺ وأصحابه إلا ثوب واحد ،
 فروضه . وعن أبي حمزة الثمالى قال : أتيت باب على بن الحسين فذكرت أن أصوت فقامت على

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حزنه ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في نجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئيباً حزينا على الدنيا ! فليس رزق حاضراً يأخذ منها البر والفاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ؟ فليس وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، فقلت : ما على هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فسلام حزئك ؟ فقلت : ما أخوف من الفتن - يعني فتنه ابن الزبير - فقال لي : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي ! إن هذا الخضر الذي جاءك لفظ الخضر مراد فيه من بعض الرواة .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين فغسوه جماعاً ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ماهذا ؟ فقيل : كان يحمل جُرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا تناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن زكريا الغلابي حدثنا المتنبى حدثني أبي . قال قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للتحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذي مضته عليك أكثر من منفعتك لك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وتعجبوا من صبره ، فقال : إن أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحب ، ونحمد على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد يقيم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فماتلهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أمسى إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى مناد : يقيم أهل الصبر . فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة ، فماتلهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعلم أجر العاملين . ثم ينادى المنادى : يقيم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : هم استحققتهم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيقولون : كنا نتراور في الله ، ونتمجاس في الله ، ونقتبذل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فتم أجر الماملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنوب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كئيب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطفى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أروع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أروع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيكم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان . وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله ﷺ ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجحد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجحد الاضام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعتل لمن لم يجحد الهدى وصوم جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخطاة . وأما الذي صاحبها بالخيار فصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبها بالخيار . فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك . فهبت أن يصومه لرمضان . وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا باذن صاحبها ، قال رسول الله ﷺ : « من نزل على قوم فلا يصومون تطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الاباحة فن أكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر . وأما نحن فنقبل : يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر والمرض فسلبه القضاء ^(١)

﴿ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ﴾

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد القضاة السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاختوة كثير ، وهو تابعي جليل ، روى عن عمار وأبي هريرة وأسما بنت أبي بكر ، وعائشة وأُم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر ، ومولاه يحيى ، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن دينار ، ومجاهد ، والزهرى . ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قريش ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوفاً ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقہ وصحة الرواية على جانب عظيم ، قال أبو داود : وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده في طست لعلته كان يجدها . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . والله أعلم .

{ قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال : -

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمة جهراً عن الحق خارجه

نفذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفيهما توفي الفضل بن زياد الرقاشي ، أحد زهاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ، قال : لا يلهيكم الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيك وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت . وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه لذنب قديم .

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً عالماً ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفي بالمدينة .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي ، له روايات كثيرة ، وكان عالماً ، وخلف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمة ، قاضي ، مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته ، كان عالماً فاضلاً ، روى الحديث وعنه جماعة (١)

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ﴾

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصوناً كثيرة . وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم ، ثم حرقها ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين ، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المواليا (٢) من بلاد الهند ، وأخذ منها أموالاً جزيلة ، وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية وبعده الأموال على العجل تحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي ، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش ، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة ، فلما كان هناك جاءه الخبر بتوت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو ومثل بقول بعض الشعراء :

(١) زيادة من المعصية . (٢) كذا وعلما (الملتان) .

لعمري لنعم المرء من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقتة الحباثل
فان تحي لأملك حياتي وإن تم * فما في حياتي بعد موتك طائل

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويمد على ذلك
ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والعناد . وقد كان
الحجاج يستخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة
والمصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على
ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لحس ،
وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الوضاحي
بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن عباس .

﴿ وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته ﴾

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو
ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو محمد الثقفي ، سمع ابن عباس
وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه
أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحسين الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجاهد ، وقتيبة بن
مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساکر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب
قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق .
وقدم دمشق وافداً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، سمعت أبي يقول : خطبنا
الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربية ، حتى بكى وأبكى
من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته :
خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا
الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن
جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث
حسن عن رسول الله ﷺ ؟ فقلت : بلى ! فقال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول
الله ﷺ : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد
عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبة دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينهما من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرعينة دنية ، وإن كان أندي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقنطرة ، فطلقها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكر ، ولكنني باكرت ما تبأكره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فاتها خلقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقحت بالنبير .

قال ابن خنكس : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كادة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عنه هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الفلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا يتزولون لتزول ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فصر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعلت أنت ، فإن يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبديل الفلام غلامين ، ولا تكسرن في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده . قال : وبنى واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك . قال : وفي أيامه نقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليبا ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتح له مخرج ، وأنه لم يرتفع أياماً حتى سقوه دم جدي ثم دم صالح ولطخ وجهه بدمه فارتفع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتفع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه ، ويقال إن أمه هي المنسية لنصر بن حجاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة ، وكان يغضب غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساكر في ترجمة سليم بن عثر التميمي قاضي مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجارية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها ،

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عثر هذا فتمض إليه أبو

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ، تسأله أن يعزلي عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من تجيب وأنت تقف ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرجون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونهم ويخرجون عليه ويبعضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضرب عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه نفّس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك .

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً لينياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني : ذكر سليمان بن أبي منيع عن صالح بن سليمان قال قال عقبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إirاده مفضلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجرت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الأمور والجرأة والاقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يندم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره : فروي أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن كثير بن أنس بن إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينارعه رداؤه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد

فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصد الحجاج فغشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً : ما صليت بمكة صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى . وروى الريثي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخى أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني كبركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار همة الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فنزع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك أُلحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان براً بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . ورواه أبو يعلى عن وهب بن بريق عن خالد عن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة . وسمعت يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكتاب فقد رأيته ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبأ يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يعزها في ابنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني المختار - وأما المبير فأنت . وتقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد روى غير أسماء عن النبي ﷺ فقال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيعي ثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيقة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله ﷺ : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرد به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، فقال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ﷺ أن في ثقيف مبيرا وكذابا » وأخرجه الترمذى من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعى : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جرير عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : إني ابن الزبير غير كتاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت لفعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حملك على ذلك ؟ فقال : إنما نجى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق ماشئت بعد من تفتقه .

وقال الاصمعى : سمعت عوى يقول : بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله ﷺ ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال ذلك الساعة . فلما تحقق الشيخ الحد قال : والله إن هذا هو العجب يا حجاج ، لو كنت تعرفنى ماقلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبى داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عافاه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبى رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما فى صدرى على آل الزبير منذ تزوجت^(١) رملة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبى عروبة : حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتى بغدائه فقال للحاجبه :

(١) كذا بالأصول والظاهر أن فى مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يأكل ممي ، فذهب فاذا أعرا بى تأم فضر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تغسل ممي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت اليوم هو أشد حرّاً منه ، قال : فأفطر وصم غدا ، قال : إن صمت لي البقاء لقد . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طمأننا طمام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته المافية

﴿ فصل ﴾

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إليهم بفترة ، وتبديده ووعيده إليهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضائب ، وكنكك قتل كليل بن زياد صبرا ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمرء والعباد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سميد بن جبير . قال القاضي المعافى زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد السكاكي ثنا محمد بن زكريا الفلابي ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجماجم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم ، والمصعب والمسامع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الأسماخ والأفخاخ ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتفع فعمش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم نقاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائماً تطيعونه ، ومؤمناً تشاورونه وتستأثرونه ، فكيف تنفكم تجربة ، أو ينفعكم بيان ؟ أستم أصحابي بالأهواز حيث منيتهم المكر واجتمعتم على القدر ، واتفتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخلد دينه وخلقه ، وأنا والله أرىكم بظرفي وأنتم تتسللون لوإذا ، وتهزمون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراعة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كلاب الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوئ الشيع على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونحتمكم الرماح . ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت الممارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقبله ، ويذهل الخليل عن خلفه . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والغدران بعد الخلدان ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى قومكم فثانهم ، وإن أمنتم أرجعهم ، وإن خفتم نافعهم ، لا تذكرين نعمة ، ولا تشكرون مبروراً ، ما استخفكم ناكث ، ولا استنقذكم غاو ، ولا استنقذكم عاص ، ولا استنصركم ظالم ، ولا استعصمكم خالع ، إلا لبيتم دعوته ، وأجبتهم صيحته ، ونفرتهم إليه خفافاً وثقالاً ، وفرساناً ورجالا . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوثائق ؟ ألم يشدد الله عليكم وطأته ، وينفقكم حر سيفه ، وأليم بأسه ومثلاته ؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنالكم كالظلم الزامح عن فراخه ينفي عنها القدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ! أنتم الجنة والبرد ، وأنتم السلاء والجلد ، أنتم الأولياء والأأنصار ، والشمار والدثار ، بكم ينب عن البيضة والحلوة ، وبكم ترحى كتائب الأعداء ويهزم من عائد وتولى .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر النيمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته - وكان أسناب - : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأشاعهم على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهتكوها بالمساحي والمرور ، ثم أدال الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور .

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ : الرجل وكلكم ذلك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمها فقائدها بخطامها إلى طاعة الله ، وكفها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأاً ود نفسه : امرأاً اتهم نفسه ، امرأاً أخذ نفسه عدوة ، امرأاً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرأاً نظر إلى ميزانه ، امرأاً نظر إلى حسابيه ، امرأاً وزن عمله ، امرأاً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته ويراد في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرأاً أخذ بمنان عمله كما يأخذ بمنان جملة ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأاً عقل عن الله أمره ، امرأاً فاق واستغناق ، وأبفض المعاصي والتفانق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول امرأاً امرأاً ، حتى بكى مالك بن دينار .

[وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يبردكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهرها طول الأمل بقصر الأجل] ^(١) وقال المدائني عن أبي عبد الله الثقفى عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقد تقي كلمة سمعتها من الحجاج سمعتها يقول على هند الأعواد : إن امرأاً ذهب ساعة من عمره في غير ما خلق له لخرى أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة . وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوماً : من كان له بلا أعطيناه على قدره ، فقام رجل فقال :

اعطى فاني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرت به بالرمح دسرا ، وهبته بالسيف هبرا ، وما أشركت ممي في قتله أحدا . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئا . وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت المطاء وقد هدمت داري ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حنانك من تجنى عليك وقد * تعدى الصحاح مبارك الجرب

ولرب مأخوذ بذنوب قريبه * ونجا المقارف صاحب الدنوب ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصدق من هذا ، قال : وما قال ؟ قال (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا نفذ أحدنا مكانه إنا نراك من الحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون) قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان وابن داره ، وأعطه عطاء ، ومر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدي عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى برأس أسلم بن عبد البكري ، لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بظنا فتبينوا أن تصيدوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وما بلغه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما هن كسب غيري وهن بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بفتة ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟

ف قالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت : -

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعمانه يندبنه الليل أجمعا

أحجاج كم تقتل به إن قتلت * ثمانا وعشرا واثنين وأربعا

أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا إن تزدنا تضعضعا

أحجاج إما أن تجود بنعمة * علينا وإما أن تقتلنا معا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتن ترضعنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتعقدوها في كل وقت . وقيل إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفق وجهك وأفل حياءك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبت وضل سعيك ، فقال للحرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذي جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت

تجترئ على الله ولا تجترئ أنا عليك ، ومن أنت حتى لا تجترئ عليك . وأنت تجترئ على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيته ، فأطلق

وقال المدائني : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهم ، فقال أحدهما : إن لي عندك يماً ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوماً أنك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ، فسأله فقال : نعم ! فقال : ما منكم أن تفعل كما فعل ؟ قال : بغضك ، قال اطلقوا هذا لصديقه ، وهذا لعمري . فأطلقوهما . وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكاً بأرض البصرة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت تصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكاب الزمان ، ولو اختبرني الأمير لوجدني من صالح الأعوان ، وشهم الفرسان ، ولو جردني من أصلح رعيته ، وذلك أتى ما لقيت فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فان قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلت خلدنا سبيك . ثم أودعه السجن مقيداً مغلولاً يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعاراً يتحزن فيها على أمر أنه سلمي أم عمرو يقول في بعضها :

أليس الليل يجمع أم عمرو * وإيانا فنذك بنا تداني
بلى وترى الهلال كما نراه * ويماوها النهار إذا علاني
إذا جاوزتما فخلات نجد * وأودية البصرة فأنعاني
وقولا جحدر أمسى رهينا * يحاذر وقع مصقول يمانى

فلما قسم الأسد على الحجاج أمر به فجوع ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مغلولاً بحالها ، وأعطى سيفاً في يده اليسرى وخلي بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منطرة ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في مجال ضحك * كلاهما ذو ألف وضحك
وشدة في نفسه وفك * إن يكشف الله قناع الشك
فهو أحق منزل بترك *

فلما نظر إليه الأسد زأر زأرة شديدة وتطى وأقبل نحوه فلما حار منه على قدر رمح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضر به ضربة خالط ذهاب السيف لحواته ، فخر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد وشدة موضع

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جحدر يقول :

يا جمل إنك لو رأيت كريمي * في يوم هول مسدود وعجاج
وتقدمي ليلث أرسف موتقاً * كما أساوره على الأخراج
شئن برائنه كأن نبويه * ذرق الماعول أو شبة زجاج
يسمو بنظرين تحسب فيهما * لهباً أحدهما شعاع سراج
وكأنما خيطت عليه عباءة * برقاء أو خرقة من اللدياج
لعلت أنى ذو حفاظ ماجد * من نسل أقوام ذوى ابراج

فعند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختر المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبت ! فقال الحجاج : لنأثني على ما قلت بينة من كتاب الله أو لأضرب عنقك ، فقال قال الله (ومن ذريته داود وسليمان) إلى قوله (وزكريا ويحيى وعيسى) فميسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبذل إن المكسورة بان المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم) إلى قوله (أحب إليكم) فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد : فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال مفشداً :

عليك بتقوى الله في الأمر كله * وكن يا عبيد الله تحشى وتضرع
ووفر إخراج المسامين وفيأهم * وكن لهم حصناً تحجير وتمنع
فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم * قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع
كتاب أناني فيه لين وغلظة * وذكرت والذكري لذي اللب تنفع

وكانت أمور تفريني كثيرة * فأرضع أو اعتل حيناً فامنع
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم * ولم يك عندي بالمنافع مطعم
أرضى بذلك الناس أو يسخطونه * أم احمد فيهم أم الأم فأفزع
وكان بلاد جنتها حين جنتها * بها كل نيران العداوة تفع
فقاويت منها ما علمت ولم أرل * أصارع حتى كدت بالموت أصرع
وكم أرجفوا من رجفة قد سمعها * ولو كان غيري طار مما يروع
وكنيت إذا هموا بالحدى نهاتهم * حسرت لهم رأسي ولا أتقنع
فلو لم يند عنى صناديد منهم * تقسم أعضائي ذئاب وأضع

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي
قال : أتى الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنياً أن تكسب جنابة فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل
عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سحبت النفس بالمتالف . قال : صدقت
والله لو كان حسن اعتذار يبطل حتماً لكنت له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع
يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن
عبد الملك فلما انقضى غذاؤهم دعاه الوليد إلى شرب النبيذ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت ،
ولكنني أنهي عنده أهل المراق وأهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح (وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه) . وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعاتب
عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزائنه ، وسيان
منع حق أو إعطاء باطل : وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات : -

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها * وتطلب رضائي في الذي أنا طالبه
وتخشي الذي يخشاه مثلك هارباً * إلى الله منه ضيع الدر حالبه
فإن تر مني غفلة قرشية * فياربما قد غص بالماء شاربه
وإن تر مني وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تعد ما يأتيك مني فإن تعد * تقم فاعلمن يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الأموال ،

(١) ما يسمى في هذا العصر نبيذاً هو - لمر المحض ، وهو غير ما كان يسمى سلفتنا نبيذاً . والنبيذ
عندهم هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بعبد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفي
كنا الخاتين فإنه أشبه بعصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والدماء ، فوالله ما بالفت في عقوبة أهل المصيبة ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فإن كان ذلك سرفاً
فليحدث لي أمير المؤمنين حلاً أنتهي إليه ولا أنجاوز ، وكتب في أسفل الكتاب :
إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى * أذاك فيومي لا توارت كواكب
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نواديه
أسلم من سلمت من ذي هراة * ومن لا تسلمه فاني محاربة
إذا أنا لم أدن الشفيق نصيبه * وأقص الذي تسرى إلى عقاربه
فمن يتقى يوم يرجو إذا غدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه
وعن الشافعي أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغازي ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه :
هل يجد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان
أو سبيل ذهباً : نفقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

(فيما روى عنه من الكلمات النافعة والجرأة البالغة)

قال أبو دواد : ثنا محمد بن الملاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :
اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مشوية ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مشوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر خلعت لي دماؤهم وأموالهم ،
والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، وما عذيري من عبد هذيل يزعم أن قرآنه
من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلنا الله على نبيه ﷺ ، وعذيري من هذه
الجرأة ، يزعم أحدكم يرمى بالحجر فيقول لي إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدعهم كالأمس
الداير . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن
يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب خلعت لي دماؤكم ، ولا
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولا أحكمتها من المصحف ولو بضلع خنزير .
ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل
لأضرب عنقه . وهذا من جرأة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام .
وإنما نغم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي جمع
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقته والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس النوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسميت الأرض من دمه . قال وممته على منبر واسط وتلا هذه الآية (هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) قال : والله إن كان سليمان لحسوداً . وهذه جرأة عظيمة تفضي به إلى الكفر : فبجحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه .

[قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئتكم من عند رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلب ، ففرغ عمر وغضب وقال : ويحك ، انظر ما تقول . قال : ما جئتكم إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي ﷺ ثم خرجنا ورسول الله ﷺ بمشي يدي وبين أبي بكر ، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ فقام النبي ﷺ يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعتمت ، فغمزني بيده - يعني أسكت - قال : فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي ﷺ : سل نفسك (١) ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فعلمت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حسان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه النوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخذت من في رسول الله ﷺ » . وقد رواه النوري وإسرافيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة أحكمها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله ذؤابة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعيه الغنم لعقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « إنك غلام معلم » ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينزعني فيها أحد » . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زر عنه نحوه . وقال له النبي ﷺ : « إنك أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أتياك » . وقد روى هذا عنه من طرق .

وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن أهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك (١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، لكنه اختصر هذا الموضع منه .

والعلمين . وروى غيره عن ثعلبة قال : قدمت الشام فجلست إلى أبي الدرداء فقال لي : من أنت ؟
فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : اليس فيكم صاحب الوساد والسواك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة :
حدثنا عبد العزيز بن أبيان حدثنا قنبر بن خزيمة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن
مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ ، من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى
هنا عن حذيفة من طرق ، فرواه شعبه عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي
وائل فاض الأحدث وجانب بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبو سنان الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه
عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبه عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد
يقول : قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب أهدى زالممت من رسول الله ﷺ حتى نلزمه ، فقال :
ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتنا من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم
المحفوظون من أصحاب النبي ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان
صاحب سر رسول الله ﷺ ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . فكذب الحجاج وفجر ،
واقسم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي رميه له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءته : إنها شعر من شعر هذيل ،
وإنه لابد أن يحكمها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، فحصل على إثم
ذلك كله بنية الطيعة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت
أجتنى لرسول الله ﷺ سواكاً من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحك
القوم ، فقال النبي ﷺ : « ما يضحكم ؟ » قالوا : من دقة ساقه ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي
بيده لهما أثقل في الميزان من أحسد . ورواه جرير وعلى بن عاصم عن مغيرة عن أم موسى عن
علي بن أبي طالب . وروى سنة بن كميل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
« تمسكوا بعهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه الترمذي والطبراني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص
قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بمسده
مسدده . قال : إن قلت ذلك إنه كان ليؤذن له إذا خرجنا ، ويشهد إذا غبنا . وقال الأعشى : يعني
عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعشى عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن
مسعود ذات يوم وعمر جالس فقال : كيف ملي فقها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي
حدثنا المسعودي عن أبي حصين عن أبي عتبة أن أبا موسى الأشعري قال : لا تسألونا عن شيء
مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ . - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعشى

عن عمرو بن عروة عن أبي البختري قال : قالوا لعلي : حدثنا عن أصحاب محمد ﷺ ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم اتهم ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فهدأتنا الصحابة الممانون به ، العارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الخائدين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هذيانا وكذب واقتراء ، وبعضهم كفر وزندقة ، فإن الحجاج كان عثمانياً أموياً ، يميل إليهم ميلاً عظيماً . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك الدماء ، ولا تأخذ في ذلك لومة لائم ^(١) .

ومن الطامات أيضاً مارواه أبو داود : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المنيرة عن يزيد بن أبي ربيعة عن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوما يجاهدونك لأجاعدنك معهم . زاد إسحاق قتال في الحجاج حتى قتل . فإن صح هذا فظاهره كفر إن أراد تعطيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصمعي : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص الثقفى قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر . فمل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللات والعزى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شوذب عن مالك بن دينار قال : بينما الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأرباء والبقعة الشهباء . وقال الأصمعي قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا لجوج حقود حسود ، فقال عبد الملك : مافي الشيطان ترميها ذكرت . وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالحيلة فقد كان الحجاج قدمة على أهل العراق بما سلك لهم من الدنس والخروج على الأئمة ، وخذ لانهم لهم ، وعتيتهم ، ومخالفهم ، والافتيات عليهم . قال يعقوب بن سليمان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حنيفة قال : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان ، فصرى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : من هنا ، من أهل الشام ،

فقام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا ثالثاً أو رابعاً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم فلبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم . وقد رويناه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما ائتمنتهم نخائوني ، ونصحت لهم فمشوني فسلط عليهم فتي ثقيف الذبيل الميسال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أنس بن الحذاف عن علي أنه قال : الشاب الذبيل أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي : ثنا سعيد بن مسعود : ثنا يزيد بن هارون أن أبا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تدرك فتي ثقيف ، قال : وما فتي ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكفنا زانية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضماً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بن أطاعه من عصاه . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن موسى السدوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجدلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فزير فادمي أنفه فخرج علي فقال : مالك وله يا أشعث ، أما والله لو بعبد ثقيف لاقشعرت شعيرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يلهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ . وقال البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأ الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التميمي ثنا ابن يحيى الغنوي . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابذت الأمم لجاءت كل أمة بخبيئتها ، وجئنا بالحجاج لعلبناهم . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذاباً ومبيراً » وكان المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويبطن الكفر الخس ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبياً يبغيض علياً وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشمة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فإن كان

قد تاب منها وأُقلع عنها ، وإلا فهو باق في عهدها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرقوا عليه بعض السكك . وزادوا فيما يكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء ، فإله الله تعالى أعلم بالصواب وحقق الأمور وسائرهما ، وخفيات الصدور وضامرها :

[قلت : الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه منحة باعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثمانية درهم . والله أعلم .] ^(١)

وقال المصنف بن زكريا الجري المعروف بابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب السكابي ثنا عوانة بن الحكم السكابي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إني يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة ، ولأدمننك كما تدمنغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمر أصلحه الله ، قال : إياك أعنى صك الله سمك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت . ولا أي مينة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبيد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتماظم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هجراً ، واستمنى نكراً ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فغلبتني يدي ، فاني أمت بخدمة رسول الله ﷺ وصحبتني إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر . وكان مصادقاً للحجاج . فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فارفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أباحرة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمك ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خدام رسول الله ﷺ ،

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكائتك للحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته
بالإساءة إليك ، فإن عاد لئلهما أكتب إلى بذلك أنزل به عفو بقى ، وتحسن لك معونتى . والسلام .
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزى الله أمير المؤمنين عني خيراً ، وعافاه
وكفاه وكانه بالجنة ، فهذا كان ظنى به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة
إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك فى جامعة ثم دفع
إليك ، ففارق به وداره تمش منه بخير وسلام . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من
عند أنس فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحب وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :
أنا والله كنت أحب لقاءك فى غير ما أتيتك به ، فتدبر لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتنى به ؟ قال :
فارق أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بسداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً
مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويمرّق ، وينظر إلى إسماعيل
أخرى ، فلما فضضه قال : قم بنا إلى أبى حمزة نعتذر إليه ونترضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :
كيف لا أعجل وقد أتيتنى بآبدة ؟ وكان فى الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد
فإنك عبد طمت بك الأمور ، فسموت فيها وعددت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية
إذا ، وأردت أن تسمى على فان سوغتكم مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت القهقري ، فلعنك
الله من عبد أخفش العينين ، منقوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف ، وحفرهم الآبار ،
وتقلهم الصغور على ظهورهم فى المناهل ، يا ابن المستفزة بمجمع الزبيب ، والله لأغمرنك غمر الليث
الغلب ، ولصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، فلم تقبل له
إحسانه ، ولم تنجأه عن إساءته ، جرة منك على الرب عز وجل ، واستخفافا منك بالعهد ، والله
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً خدع عزير بن عذرى ، وعيسى بن مريم ، لعظمته وشرفته وأكرمه
وأحبته ، بل لو رأوا من خدع حماد المزير أو خدع حواري المسيح لعظموه وأكرموه ، فكيف وهذا
أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ثمانى سنين ، يطلعه على سره ، ويشاوره فى أمره ، ثم هو مع
هذا بنية من بقاء أصحابه ، فإذا قرأت كتابى هذا فكأن أطوع له من خفه ونفقه ، وإلا أناك منى سهم
بكل حنف قاض ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع فى هذا الكتاب
من المريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعنى ابن عدى - قال :
أنس بن مالك | شكوا إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتى عليكم عام أو زمان

أو يوم إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، ثم من نبيكم ﷺ وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام تزدلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم .

قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تزدلون . ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تزدلون تسماً خبيثاً . فيحتمل هذا أنه وقع للإمام أحمد مرفوعاً ومثلاً أحد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يتداوله الناس قرناً بعد قرن ، وحيلاً بعد حيلى ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمرانك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر أن تأمل ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد قال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله إن بقيتم لتفنون الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنقيسات .

وقال يميم بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد تم به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأتينهم ؟ قال : ماتوا . قال : فسكن الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أيوب السخيتي : إن الحجاج أراد قتل الحسن مهاداً فقصده الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج بهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نعمة فلا تقابل نعمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتفزع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثنى على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال :

الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطيئة من بعض خطاياهم . | (١)

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج باصرة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ،

فقلت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، ويقال إنه لم يقتل بعد إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم من خرج مع ابن الأشعث . وقال أبو عيسى الترمذی : ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البليخي ثنا النضر بن شميل عن هشام بن حسان قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي : ثنا أبو صم عن عباد بن كثير عن قحطم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجنون بمد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربهض مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :
إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وصليتنا بغير حساب

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر ، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثتها وجئنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا آخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العارة ، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن ثنا عمرو بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فإنه كان يصل الصلاة لغير وقته ، يأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم . قال : بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فإني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شريبت في العمل ، ففرقهم في العمل على قدر هوائهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما نفاهم . وقال الاوزاعي : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام ، وذكر حكاية . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج بن يوسف ، وقال يحيى بن عيسى الرهلي عن الأعمش : اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجبوت والطاغوت ، كافر بالله العظيم .
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : عجبا لاخواننا من أهل
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ؟ ! وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج
 أكشده من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على ^(١) الله العظيم . وقال الثوري عن منصور :
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول (ألا لعنة الله على الظالمين)
 وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عيا أن يعي عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج
 أرجى مني لمرو بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر بن عبيد أحدث للناس
 بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :
 لا تسبه لعنة قال يوماً اللهم أرحنى فيرحه ، إليك وبجالتة من يقول رأيت رأيت . وقال عوف :
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يهديه الله عز وجل فبذنبه ، وإن
 يغير له فبذنبه له ، وإن يلقى الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب ، من هو خير منه .
 فقيل له ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والایمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أكشده على
 الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار ؟ قال : لا ! إن أقرأ بالنوحيد . وقال الرياشي : حدثنا
 عباس الأذرق عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم الجمعة فسمع استغاثته فقال : ما هذا ؟
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فما عاش
 بعد ذلك إلا أقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيت وهو يأتي الجمعة وقد
 كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق ترغ الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فه ؟ ! فهل
 يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرنى أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت
 الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له (إنك من المنظرين) فأنظره إلى يوم
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال (هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأعطاه الله ذلك إلا
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال (توفي مسلماً ولحقني بالصالحين) فما
 عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأنى والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ،
 ثم قل في أنساب أكتفائه ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصت صديده ،

(١) كذا بالأصول .

وانصرف الخبيث من ولده يتسم الخبيث من ماله ، إن الذين يقاتلون يقاتلون ما أقول ، ثم نزل .
وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى النساني عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين
حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا
على بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة المناجشون عن محمد بن المنكدر . قال :
كان عمر بن عبد العزيز يفيض الحجاج بنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فإنهم
يزعمون أنك لا تفعل . قيل : وحدثني بعض أهل العلم قال قيل للحسن : إن الحجاج قال عند الموت
كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال فسا عسى . وقال أبو العباس المزي عن الرياشي عن
الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأننى رجل من ساكنى النار
أبخلفون على عبياء ويحهم * ما علمهم بعظيم العفو غفار
قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم فى ذلك : -
إن الموالى إذا شابت عبيدهم * فى رقهم عتقهم عتق أبرار
وأنت يا خالق أولى بهذا كرمًا * قد شبت فى الرق طاعتنى من النار

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى
أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتهم الأيتام ، ومرمل النساء ، ومضلق الهام ،
وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم يرحمنا من كان يفيضنا * واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
وفاته قال : (قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) وروى غير واحد أن الحسن لما
بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى ، وكان محتفياً فظهر ، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سنته .
وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبر إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن
أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن أريبع بن الحارث لأهل
السجن يموت الحجاج فى مرضه ههنا فى ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم يمت أهل السجن
فرحاً ، جلسوا يشغلون حتى يسمعوا الناعية ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان
ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل فى شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين
سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بمدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعنى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا ينشب ويحرق والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أحجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عبي قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً ومسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني عمي يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسعة مائة درع حديد ، ستائة منها لمنافق أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي . وكان قائماً على رأسه . فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم . وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلتني بكل قتلة قتلت بها إنساناً ، قال : ثم رأيتك بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظرومه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيتك ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذلك يا ماص بظرومه ! فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شاذب عن أشعث الخزاز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلتني بها . قال ثم أمرني إلى النار ، قلت ثم مه ، قال ثم أرجو ما أرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إني لأرجوه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاءه فيه . وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فقرأ في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم .

[وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأقام معه معاوية بن قرة ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبتناكم خشيتم الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنقاد إلى السند فيمكن له بها موافق ^(١) .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان ﴾

إبراهيم بن يزيد النخعي [قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأي إلا بروية ، ولا روية إلا برأي . وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به . وبكى عند موته فقل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظر ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار] ^(١) .

﴿ الحسن بن محمد بن الحنفية ﴾

كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفتنة ، قال أيوب السختياني وغيره : كان أول من تكلم في الأرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلى وطلمعة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يندمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : ويحك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

﴿ حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ﴾

وأمه أم كاثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة .

﴿ مطرف بن عبد الله بن الشخير ﴾

تقدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موت الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سميد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ﴾

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يهدده وينوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يظاً بلاده ويختم ملوكهم وأشرفهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يحتاجون إلى أن

يسافر وافي ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا
المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لقهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود
أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة [ذات أنهار وأسواق وحسن وبهاء ،
فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة] ^(١) بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟
- وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة - فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا :
نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعو إلى الاسلام ، فإن لم تفعل فالجزية ، فإن لم تفعل فال حرب .
فغضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان الغد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا
الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب
منهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا
الوشى والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف
رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيمة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم
الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبعض
وتقلدوا السيوف ونكبوا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين
فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقبل لهم : ارجعوا
- وذلك لما دخل قلوب أهل الصين ، من الخوف منهم - فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلفوا
رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا
كم هؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال
له الملك حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ،
وأنا سائلك عن أمر فان تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : سل : فقال الملك : لم صنعتن ما صنعتن من زى
أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونساءنا وطبينا عندهم ،
وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا .
فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف
راجعاً عن بلادى ، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم .
فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها
في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حر يصا من خلف الدنيا قادراً عليها ، وغزالك في بلادك ؟ وأما
نخويقتك إيانا بالقتل فانا نعلم أن لنا أجلا إذا حضرنا فأكرمها عندنا القتل ، فليسنا نكرهه ولا نخافه .

فقال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضك ويختم ملوكك ويجي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبر يمينه وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوّم ولا يدري قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يبعث صحافاً من ذهب مثسمة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليعبر بهم قتيبة ، وقيل إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحتم يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسامة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبدًا بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها ، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرقوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أفناء أبنية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التمايز المعجبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة

إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جبرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة الملوك ، ويحيط بهذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفر وأساس الجدران حتى واثقهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرّب أبداً ولا يخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحبار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده كره ، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأرادهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شملها عند برزة ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يثرونه كبراً عن كبر وإلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، وهم خصماء الخليل ، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قرنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » والله الحمد وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرّون دمشق ويبنّون فيها وفي معايلاتها من أرض حوران والبقاع وبلدات وغيرها ، البنايات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاهو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً ، ووضعت له بطاركة النصارى ديناً غفراً مريباً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشيء من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعادوا أولادهم الأمانة الكبيرة فيما يزعمون ، وإنما هي في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم

ضعيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف و بيناه . فبني لهم هذا الملك الذي ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة في دمشق وفي غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتى عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافاً دائمة ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقمامة في القدس ، بنتها أم هيلانة الغنداقية ، وغير ذلك .

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حولوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظماً عند اليونان فجعلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فكان من شأنه ما تقدم بمضه فى كتاب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بعث إلى ملك الروم فى زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعوهُ إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش ، فغزم النبي ﷺ على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضعف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول فى ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مريخا ، بحكم أن البلد فنحه خالد من الباب الشرقى بالسيف ، وأخذت النصارى الأمان من أبى عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعلوه أبو عبيدة مسجداً يصلى فيه المسلمون ، وكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده فى البقعة الشرقية منه ، التى يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محبى ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذى فتق المحاريب فى الجدار القبلى [قلت : هذه المحاريب متجددة ليست من فتق الوليد ، وإنما فتق الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يفعل شيئاً منها ، فكان يصلى فيه الخليفة ، وبقية فتقت قريبا ، لكل إمام محراب ، شافعى وحنفى ومالكى وحنبلى ، وهؤلاء إنما حدثوا بعد الوليد بزمان] ^(١) وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البدع المحدثه ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ،

وهو باب الممبد الأعلى من جهة القبلة ، وكان الحراب الكبير الذى فى المقصورة اليوم ، فيمنصرف النصرارى إلى جهة الغرب إلى كنيسةهم ، ويأخذ المسلمون يمنة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصرارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ، اجلالا للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية فى أيام ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة ، وبنى فيها قبسة خضراء ، وفرفت الدار بكملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها ، فمرم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصرارى الانجيل ، ورفع أصواتهم فى صلواتهم ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصرارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم أربع كنائس لم تتدخل فى العهد ، وهى كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبن ، وكنيسة حميد بن درة التى بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الأباء ، فقال : ائتوني بمهودكم التى بأيديكم من زمن الصحابة ، فأبوا بها فقرئت بحضرة الوليد ، فاذا كنيسة توما التى كانت خارج باب توما على حافة النهر لم تتدخل فى العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريخنا ، فقال الوليد : أنا أهديهما وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفسا ببقية هذه الكنيسة ، فأقرهم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول ، ويقال إن الوليد لما أهده ذلك وعرض ما عرض على النصرارى فأبوا من قبوله . دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقيس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الریحان تقريباً ، فاذا الكنيسة قد دخلت فى العنوة ، فأخذوها . وحكى عن المغيرة بن الوليد قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقالت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصرارى وبدأت لهم الأموال فى بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد فيقسم على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندى ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت : الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فرزوا إلى أبى عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم . وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة

بالصلح ، فنهجن نماسجهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فقول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه المنيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق ازيحان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى تجاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسره فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولاً دفعت إلينا الأموال وأقطعنا الاقطاعات فأيننا ، فن إحصان أمير المؤمنين أن يصلحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقرية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفرايس داخله فسموها صريحنا باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم ، وأخذوا شاهداً فوضعه فوق التي أخذوها بدلها فأنه أعلم . ثم أمر الوليد باحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نريد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يحن ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وهو تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسى في رأس الشاهد ، ثم كبر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر لونه سقرجل قد غرز أذيله في المنطقة ، ثم أخذ فأساً بيده فضرب بها في أعلى حجر فألقاه ، فتهادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغساني ، أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ، ففعل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جدد النصارى في ترميم هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحاً مرتبة ، ثم شرع في بناءه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها كما سنذكره .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعده أن لا يفعل ليفزون بلاد بالجيوش ، وليخرجن كل كنيسة في بلاده ، حتى

كنيسة القدس ، وهي قمامة ، وكنيسة الزها ، وسائر آثار الروم ، فبميت ملك الروم إليه صناعات كثيرة جداً ، مائى صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذى تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أفنت لوصمة عليه ، فمما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، فكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو وبحك ؟ فقال قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وسليمان هو ابن داود ، وفهمه الله ما لم يفهمه أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق فى ذلك : —

فرقت بين النصارى فى كنائسهم * والعابدىن مع الأسحار والغم
وهم جميعاً اذا صلوا وأوجههم * شتى إذا سجدوا لله والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه * أهل الصليب مع القراء لم تنم
فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا * إذ يحكى لهم فى الحرب والغم
داود وانلك المهدى إذ جزأ * ولادها واجتزاز الصوف بالجم
فهمك الله تحويلا لبيعةهم * عن مسجد فيه ينلى طيب الكلام
ما من أب حملته الأرض لعله * خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقى : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد فى مملك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى الخشنى : إن هوداً عليه السلام هو الذى بنى الحائط القبلى من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التى وسط الرواقت — وهى قبة النسر وهو اسم حادث لها ، وكانهم شبهوها بالنسر فى شكلها ، لأن الرواقت عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها — حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ، فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبنى لى أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطينى عهد الله وميثاقه على أن لا يبنئها أحد غيرى ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذوه وقمعه رؤس الناس ، فكشف البوارى عن الأركان فإذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : من هذا أتيت ، ثم بناها فانهقدت . وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص أعظم بذلك شأن هذا البناء ، فقال له المعمار : إنك لاتقدر على ذلك ، ففرض به خمسين سوطلا ، وقال له : وذاك ! أنا لا أقدر على ذلك وترغم أنى أعجز عنه ؟ وخارج الأرض وأموالها تنجى إلى ؟ قال : نعم أنا أبين لك ذلك ، قال : فبين

ذلك ، قال : اضرب ابنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه ابنة فاذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقتل : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه الابنة كذا وكذا ألف ابنة ، فان كان عندك ما يكفي من ذلك عمدناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً ، وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقبها على ما أشار به المماليك . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جمانات ، وباطنها مسطحة مقرنصاً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أقميت الناس بمسك في طين أسطحهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير . يشير إلى أن التراب يغلو والفيلة تنقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع مافي بلاده من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعاثوا فاذا عند امرأة منه قناطر مقلطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بدلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على الواحها بطابع « الله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الأمراثيلية .

وقال محمد بن عائد : سمعت المشايخ يقولون : ما تم بناء مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من القوم أو الفيلة الفلاس ورأس المسماة فيأتي به حتى يضعه في الخزانة . وقال بعض مشايخ الدمشقية : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت المنبر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد ابن مسلم عن عمرو بن مہاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفقته الوليد على الكرم^(١) التي في قبلي المسجد فاذا هو سبعمون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أنفق في مسجد دمشق أربع مائة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فعلى الأول يكون ذلك (١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

خمسة آلاف ألف دينار ، وستائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأموي
 أحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .
 قال أبووصى : وأنى الحرمى إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين
 بيوت الأموال في غير حقها . فنودى في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فحمد | الوليد | المنبر
 وقال : إنه بلغنى عنكم أنكم قدتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمر بن مهاجر ،
 قم فأحضر أموال بيت المال ، فحمت على البقال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطباع تحت قبة النسر ،
 ثم أفرغ عليها المسال ذهباً صبيهاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من
 الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جرى بالقباكين فوزنت
 الأموال فاذا هي تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، ولم
 يدخل للناس شيء بالكافية ، فقال لهم الوليد : والله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت
 المال ، وإنما هذا كله من مالى . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة
 وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد
 شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالى ، لم أرأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الوليد : يا أهل
 دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائتكم وفاكمكم وحماتكم ، فأحببت أن
 أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلا زورد ،
 في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبيينا محمد ﷺ . أمر ببنيان
 هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست
 وثمانين ، وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر
 الفاتحة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم بحيث بعد بحى المؤمنين إلى
 دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق
 الرخام كرامة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرامة الفصوص المذهبة والخضر والحر والزرى والبيض ، قد
 صوروا بها سائر البلدان المشهورة ، الكعبة فوق الخراب ، وسائر الاقاليم بمنة ويسرة ، وصوروا مافى
 البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة
 فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكن مفرقة . قال : وكان في محراب الصحابة برنية
 حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجراً من جوهر وهى الدرة ، وكانت تسمى القليلة ، وكانت إذا
 طفت القناديل تضى لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد . وكان يحب البلور وقيل

الجوهر... يست إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبيت بها إليه ، فسرقتها الوالى خوفاً من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولى المأمون ردها إلى دمشق ليشتع بذلك على الأمين . قال ابن عساکر : ثم ذهبت بعد ذلك لجعل مكانها برفية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيء ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها السور مرصاة ، وكذلك السور على سائر جدرانها إلى حد السكوة التى فوقها الفصوص المنهبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التى يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطاولة ، وقد كان فى كل زاوية من هذا المبنى حومة شاهقة جداً ، بفتحها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعائة ، فنقضت وجدد بناءها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بنايتها وهى والله أعلم الشرفة التى ينزل عليها عيسى بن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان .

[قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها فى آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالحجارة] (١)

والمقصود أن الجامع الأموى لما كل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلمحات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من المتارب ، ولا الخنافس ولا العناكب ، ويقال ولا المصافير أيضاً تعيش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس . وأكثر هذه الطلمحات أو كلها كانت مودعة فى سقف هذا المبنى ، مما يلى السبع ، فأحرقها فى ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، فى دولة الفاطميين كما سبأنى ذلك فى موضعه . وقد كانت بدمشق طلمحات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا والله أعلم .

فمن ذلك العمود الذى فى رأسه مثل الكرة فى سوق الشمير عند قطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلميين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لمسر بول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه قبالة ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

[قال ابن تيمية عن هذا الممود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالخيران حوله سمع المذاب فرأى وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المعدنين انطلق بولها . والممود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشاً . وقيل إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرحمة إلى الدنيا كما قال تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمعمودين) والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

وما زال سلمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، وجدت له فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجهل مكان ذلك كله طيناً ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكلت لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ! فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكفارة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كفرة فقد ولدت رجلاً مؤمناً ، فقال : صدقت ، واستمعوا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لميت المال ، فأطرق عمر . قالوا : وافق في ذلك الزمان قنوم جماعة من بلاد الروم رسلاً من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثلهما ، صعد كبارهم وخر مقفياً عليه ، فخلعوه إلى منزلهم ، فبقى أياماً مدنفاً ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدنتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن الغيظ أهلك الكفار ، دعوه . وسألت النصارى ، في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلساً في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلاً ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم ، فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتب له من الصحابة ، مثل كنيسة دير مران بسفوح قايسون ، وهي بقريّة المعظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي بقريّة الحواجز ، فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويظلموا أنفسهم المسلمين بهذه البقعة ، فانفتحت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمن بها ،

و يطيبوا نفساً بهذه البقعة ، فكتبت لهم كتاباً آمناً بها .

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن نوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدنا . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبئبل الموالى ، وبعمير ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المستصم ، وقاضيه يحيى بن أكرم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكرم : الرخام وهذه العقدة ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم التمار : أخبرني باسم حسن أسمى به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أسمن شيء . وقال عبيد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذي القرنين بامكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة مرآة بباب الأندلس على باب مدينتها ، يحبس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتفاق عليه ، والخامس الرخام والفسساء ، فإنه لا يدري لما موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه يذوب على النار .

قال ابن عساکر : وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قدم دمشق سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزفته أرجة ، وشوارحه فرجة ، خيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سمعت رأيت منظرًا عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الراي أن يعرفه ، وجملة أنه كثير الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريرة الأوقات ، وقد أثبت الله عز وجل به ذكرنا يدرس ، ويخلف به أمراً لا ينحى ولا يدرس . قال ابن عساکر : وأنشدني بعض المحمدين في جامع عمره الله بذكره وفي دمشق فقال :

دمشق قد شاع حسن جامعها * وما حوته ربي مرابعها

بديعة الحسن في الكمال لما * يدركه الطرف من بدائعها

طيبة أرضها مباركة * باليمن والسند أخذ طالعها
 جامها جامع المحاسن قد * فاقته به الممن في جوامعها
 بنية بالانقان قد وضعت * لاضيع الله سبي واضعها
 تذكر في فضله ورفعته * آثار صدق راقته لسمعها
 قد كان قبل الحريق مدهشة * فغيرت ناره بلاقمها
 فأذهبت بالحريق بهجته * فليس يرجى إياب راجعها
 إذا تفكرت في الفصوص وما * فيها تيقنت خلق راصعها
 اشجارها لا تزال مشمرة * لا ترهب الريح من مدافعها
 كأنها من زمرد غرست * في أرض تهر تمشي بنافعها
 فيها ثمار تحالها ينعت * وليس يخشى فساد بالنعها
 تقطف باللحظ لا بجارحة الـ * أيدي ولا تجتنى لبايعها
 وتحتها من رخامة قطع * لا قطع الله كف قاطعها
 أحكم ترخيمها المرخم قد * بان عليها إحكام صانعها
 وإن تفكرت في قناطره * وسقته بان ستفق رافعها
 وإن تبينت حسن قيمته * تحير اللب في أضالعها
 تحترق الريح في منافذها * عصفا فتقوى على زعازعها
 وأرضه بالرخام قد فرشت * بنفسج الطرف في واضعها
 مجالس العلم فيه مؤنقة * ينشرح الصدر في مجامعها
 وكل باب عليه مطهرة * قد آمن الناس دفع مانعها
 يرتقى الناس من مراقبها * ولا يصدون عن منافعها
 ولا تزال المياه جارية * فيها لما شق من مشارعها
 وسوقها لا تزال آهلة * يزدحم الناس في شوارعها
 لما يشاؤون من فواكهها * وما يريدون من بضائعها
 كأنها جنة معجالة * في الأرض لولا مسرى نجائعها
 دامت برغم العدى مسلة * وحاطها الله من قوارعها

﴿ فصل ﴾

(فيما روى في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار)
 روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى (والتين) قال : هو مسجد دمشق (والزيتون) قال : هو
 مسجد بيت المقدس (وطور سينين) حيث كلم الله موسى (وهذا البلد الأمين) وهو مكة ^(١) . رواه
 ابن عساکر . وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس
 السكلابي قال قال كعب الأخبار : ليدنين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال
 الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى
 الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل فأوحى الله إليه
 أما إذا فعلت فاني سأبني لى في خطتك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب
 الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع .
 وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق
 فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعنى أنه رفع الجدار فعلاه من حديد الرخام والكرمة إلى فوق -
 وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في
 قوله تعالى (والتين) قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامى الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان
 سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن
 أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها قربان ، فما تقبل منه جاءت نار
 فأكلته ، ولم يقبل منه بقى على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي
 موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من
 أحدهما ولم يقبل من الآخر ، والله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسنى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به « صلى
 في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساکر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لامن هذا
 الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البرامى : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة
 المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد
 أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تتركوا أحداً يصلي الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في الأصل « قال دمشق » . وصححه من حديث قتادة في تاريخ ابن عساکر ١ : ٩٦

الخطير يصلي في المسجد في كل ليلة ، وفي رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فاذا رجل قائم بين الساعات وباب الخطير الذي يلي المقصورة يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخطير منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلي في المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخطير يصلي كل ليلة في المسجد . في إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بثبوتها وجود الخطير بالكلية ، ولا صلاته في المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر في الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبيلية عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخطير ، وما أدري ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التي صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يديره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسمين ، وهو يبنى فيه الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدمنا ذلك في ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسمين ، وسيصلي فيه عيسى بن مريم إذا نزل في آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعت البلى به ، وانحصر الناس منه بدمشق : فينزل مسيح المهدي فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فيأتي وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصلي عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي فانه أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب لد فيقتله بيده هناك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور ومحض من الدجال ، فينزل على المنارة . وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى . ثم يكون نزول عيسى حنفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملوكهم وأرضاً يديه على مناكبهم ، وعليه مهر وذنان ، وفي رواية مختصرتان ^(١) يقطر رأسه ماء كأنما خرج من ديباس ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

(١) المصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة .

وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع . وما وقع في صحيح مسلم من رواية النواس بن سمعان السكلابي : فينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق ، كأنه والله أعلم صرّح بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى ، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك ، في بعض ألفاظ هذا الحديث ، في بعض المصنفات ، والله المسؤل المأمول أن يوقفني فيوقفني على هذه اللفظة ، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أنبهى ولا أعلى منها ، والله الحمد والمنة [قلت : نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموى غير مستسكّر ، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد ، ويحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعا للدجال ، أو مأسورا معه ، فان دمشق في آخر الزمان تكون معقل المسلمين وحصنهم من الدجال ، فاذا كان الأمر كذلك فمن يصلى خارج البلد ، والمسلمون كلهم داخل البلد ، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلّى مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقته ، وبعض العوام يقول : إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب شرقى . وبعضهم يقول : إنها المنارة التي على نفس باب شرقى . فالله أعلم بمراد رسول الله ﷺ ، وهو سبحانه العالم بكل شئ ، المحيط بكل شئ ، القادر على كل شئ ، القاهر فوق كل شئ ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] ^(١)

(الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام)

وروى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال : وكفى الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل واقانا وبين يديه الشمع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فاذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام . مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكريا ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود الذى فوقه مغيرا من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسطّر الرأس ، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان القبة - يعنى قبل أن تبنى - قال : وكان على الرأس شعر وبشر . وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة ، فوضع تحت عمود السكاسة ، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو العمود الرابع المسطّر . وروى أبو بكر بن البرامى عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشعنابيين عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة (١) زيادة من المصرية .

في مسجد دمشق ثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساکر من طريق أبي مسهر عن المنابر بن تافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قد سماه - أن واثلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جبرون فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصغر الذي يخرج منه الوالي - يعني الخليفة - إلى الحنية - يعني القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنه لمجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبشوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط بناء هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت بسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طول ما ترجو من أملاك ، وإنا تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب وأسلمك الصاحب والقريب ، ثم صرت تدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك . وتززع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعه ، ولا ولد ولده ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ النرى ، وبجواردة الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن^(١) داود عليهما السلام .

وقال ابن عساکر : قرأت على أبي محمد السلمي عن عبد العزيز النخعي أنباء تمام الرازي ثنا ابن البرامي سمعت أبا حروان عبد الرحمن بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأغلقوا به الوليد ، فخرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخل مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فارس من حجارة ، في يده التمثال الواحدة الدرة التي كانت في الخراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها جبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرهما لم يسوس في هذا البلاد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حمدان الوراق - وكان قد عمر مائة

(١) كذا بالأصول ، ولعل سقط منه لفظ « سليمان بن » .

سنة - : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط
 - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنما ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فاذا في يده حبة قمح ،
 فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكاء اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى
 لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا في هذا
 السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين
 والمطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ،
 وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي
 عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في
 سقف الجامع طلسم عملها الحسكاه في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلسم للصنونات ،
 لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للغار والحيات
 والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الغار ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم
 للعنكبوت حتى لا ينسج فيه ، وفي رواية فيركبه الغبار والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت
 جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة
 في السقف فوق البطائن مما يلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق .
 فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين
 وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين
 الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لعسبول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات
 انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هنالك
 يعذب ، فإذا سمعت الدابة صراخه فزعت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى
 مقابر اليهود والنصارى إذا منلت فتطلق طبايعها وتروث ، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون
 والله أعلم .

﴿ ذكر الساعات التي على بابه ﴾

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زهر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك
 بسكار الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار : عليها عصافير من نحاس ، وحية من
 نحاس وغراب ، فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصمرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في
 العلى فاعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرها . قلت : هذا يحتمل أحد شيئين
 إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد
 قيل إنه أحدث بعد بناء الجامع ، ولا ينبغي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زهر ،

وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرق منه في الحائط القبلي باب آخر في محاذ باب الزيادة ،
وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .
[قلت : باب الوراقين قبلي أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع
والله أعلم ، أو لجارته للجامع ولبابه] ^(١)

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس
فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة . وأما
القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسميت شيخنا الذهبي يقول : إنها
إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن منصور العباسي ، وجعلوها لحواصل الجامع
وكتب أوقافها ، وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي
في حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف نقر الدولة أبو علي
حزرة بن الحسن بن العباس الحسني ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجعل إليها قطعة من حجر كبير من
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة
وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحت ،
وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعنتها وما عليها من حريق اللبادين
والحجارة في شوال سنة اثنين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصعة التي كانت في الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب
حريق النصاري في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، ثم استوفى بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما
كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذي شرقي فوارة جيرون ، بعد
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي)

قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر المري ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال
أبو عمر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي ، في
قعدة قدمها على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال :
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرأ بقراءة
هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يديه من أهل المسجد فقرأوا بقراءته . وقال هشام

ابن عمار خطيب دمشق : ثنا أيوب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجده دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة الحزومي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشى . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو الذى ضرب سيده بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزاه عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السمع جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، وغير بن أوس الأشمري ، ويزيد بن أبي الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد ابن عبد الله بن لبيد الأسدي . ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولى معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن عراك ، وعبد الرحمن بن عامر اليحصبي - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الحارث الدماري ، وعبد الملك بن نعمان المزرى ، وأنس بن أنس العنبري ، وسليمان ابن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخشني ، وعمران - أو هران - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد ابن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أوردتهم ابن عساكر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولاوجه لانكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب يشكر الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عساكر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ^(١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

﴿ فصل ﴾

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذى القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلها أخوه سليمان كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد

(١) كذا بالأصول ، والصواب : في سنة تسع وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم انا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة
الداخلية صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلية - قال فرضوا أن يهدم
كنيسة الداخلية وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذى يصلى
فيه ، قال : وهدم الكنيسة فى أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا فى بنائها سبع سنين حتى
مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتته هشام من بعده ففهم فوائده وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا فى بناءه
سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فإنه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفى فى هذه السنة - أعنى
سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذى أتم ما بقى من
بنائه أخوه سليمان لهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[قلت : نقل من خط ابن عساكر وقد تقدم ، وقد جددت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القباب
الثلاث التى فى صحنه . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت فى أيام المستنصر العبيدى فى
سنة خمسين وأربع مائة وكتب عليه اسمه واسم الأئمة عشر الذين تزعم الرافضة أنهم أئمتهم ، وأما
المودان الموضوعان فى صحنه فجعلوا للتشوير ليلالى الجمع ، وصنعا فى رمضان سنة إحدى وأربعين
وأربع مائة ، بأمر قاضى البلد أبى محمد ^(١)]

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق وذكر وفاته فى هذا العام
هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
أبو العباس الأموى ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعد منه فى شوال سنة ست وثمانين . وكان أكبر
ولده ، والولى من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسى . وكان مولده
سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر
جدرى خفى ، أفطس الأنف سائلاً ، وكان إذا شئ يتوكف فى المشية - أى يتبختر - وكان جميلاً
وقيل دميماً ، قد شاب فى مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سألته
ما سمع فى أشراط الساعة ، كما تقدم فى ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيب وحكى عن الزهري وضميره
وقد روى أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة
من أهل النحو عنده فاقاموا سنة ، وقيل سنة أشهر ، فخرج يوم خرج أجهل مما كان ، فقال عبد الملك :
قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا الفينك إذا مت تجلس تعصر
عينيك ، وتحن حنين الأمة ، وليكن شمر وا ترز ، ودانى فى حفرتى ، وخلقى وشائى ، وادع الناس إلى
البيعة ، فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . وقال الليث : وفى سنة ثمان وتسعين ^(٢) غزا الوليد
(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٩٦ هـ .

بلاد الرعم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ميطية وغيرها ، وكان نقش خاتم أو من بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يوليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عملة قال لي الوليد بن عبيد الملك يوما : في كم نحت القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يخطمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس .

وروى ابن عساكر بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المئذنة الشرقية يأكل شيئاً ، فأنه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراًباً ، فقال له : ما حالك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حملاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زرمي البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صبيب ، فلأت منه غراراً ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخلصة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إني سأتى الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك الخلقة من ذلك المال فلم أهد إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فلما أليست رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام ، فأليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وتراًباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، فقرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلتك فخذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقيته وعياله . وقال تميم بن عبيد الله الشعماني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر .

[قلت : فنفي عن نفسه هذه الخصلة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المنهومة ، التي عنب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثالب ، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات ، وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعوام والكتاب ، والفقهاء والقضاة ونحوهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في اللواط من المفسد ما يفوت الحصر والعدد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره ، فانه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، ويندب خبر المفعول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه ، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاحين ، الذين اعنهم رسول الله ﷺ .]

وقد اختلف الناس : هل يسئل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاحاً ، وبذل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص مآمته له به ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله يغفر الذنوب للنائبين إليه (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) . وأما مفعول به صار في كبره شراً منه في صفره ، فهذا توبته متعذرة ، وبعد أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاتمة ، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بدكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخلل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولاً) بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة الواط ، وقد كانوا مثلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبس الحق الإشبيلي ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ومن له جرأة على الكبر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة الواط من أعظم المفاسد ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فلها قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكرها يعلو ذكراً . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواد أهل السنن ومصححه ابن حبان وغيره . وقد لعن النبي ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقاءهما بين الناس ، لغساق طويتهما ، وخبيث بواطنهما ، فمن كان بهذه المنابة فلا خير للخلق في بقاءه ، فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما اللعنة فهي الطرد والبعد ، ومن كان مطروداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قومه . ومن رزقه الله تعالى توبتها وفساداً ، ونوراً وفساداً عرف من سجن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال الدال بالئة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم .

وقد ذكر الله التلوطينة وجعل ذلك آيات للمتوسمين فقال تعالى : (فأخستهم الصيحة مشرقيين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للمتوسمين) وما بعدها . وقال تعالى : (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلمعرفتهم بسيماهم ولنعرفتهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فالأولى قد عكس الفطرة ، وقلب الأمر ، فأتى ذكر آية قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وخصال التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : (التائبون العابدون) فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة ، وإلا فالنفس هامة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق والاشتغال بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ لحظاته وخطواته ، ولفظاته وخطراته . قال رجل للجنيد : أوصني ، قال : توبة تحمل الأصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلب . فهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى : (السائحون الزاكمون الساجدون) الآية فهذه خصال التائب كما قال تعالى : (التائبون) فكأن قائلاً يقول : من هم ؟ قيل هم العابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم يتبلس بعد توبته بما يقر به إلى من تاب إليه فهو في بعد وإدبار ، لاقى قرب وإقبال ، كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحذورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقدورات ، والله سبحانه وتعالى هو المعين الموفق ، وهو عليه بذات الصدور ^(١)

قالوا : وكان الوليد خاناً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته (يا ليتها كانت القاضية) فضم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لو لا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثناء على - يعني ابن محمد المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلانهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجنومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرب قائداً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ، ففتح الهند والسند

والاندلس وأقاليم بلاد المعجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يمر بالبقل فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبسح ههنا ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فانك تربح . وذكروا أنه كان يمر حملة القرآن ويكرمهم ويقضى عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همة الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلقى الرجل الرجل فيقول : ماذا بقيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همة أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقى الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم تقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .

إِذِ الناس يقولون : الناس على دين ملئكمهم ، إن كان خماراً كثر الخمر ، وإن كان لوطياً فكذلك وإن كان شحيحاً حرىصاً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كرماً شجاعاً كان الناس كذلك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك . وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم ^(١) .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجوجاً كثير الأكل والجماع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك بنى الجامع والله أعلم .

قلت : بنى الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبني صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبني مسجد النبي ﷺ ، ووسمه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، لحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر . وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز] ^(٢) . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزله غير موسى ولا محمد ، قد خلفت الأسلاب وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقبراً إلى ما قدمت ، غنيا عما أخرت . وجاء من غير وجه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتبكض في أكتفائه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتعام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصلبة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى . قام عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقدرناه جريز فقال : -

يا عين جودي بدمع هاجه الذِّكر * فما لدمعك بعد اليوم مدخر
إن الخليفة قد وارت شمائله * غبراء ملحة في جوفها زور
أضفى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من يديها القمر
كانوا جميعاً فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك (زياد بن حارثة التميمي) الدمشقي ، كانت داره غربي قصر القفطين ، روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة لمن له ما يفسديه ويمشيه ، وفي النقل . ومنهم من زعم أن له صحبة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس ابن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، وثقه النسائي وابن حبان ، روى ابن عساكر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرج الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبيا بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

﴿ عبد الله بن عمر بن عثمان ﴾

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدحاً والله أعلم .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت لانيصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاووعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، فخاف قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فعزله سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعادته إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . والسمع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتاباً يعزبه في أخيه ، ويهنئه بولايته ، ويندكر فيه بلاءه وعنايه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يدكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، وينم يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلفن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكيفية ، وبث بها مع البريد وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد ابن المهلب فادفع إليه الثالث ، فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - وافق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد فقرأه ، فنقله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فنقله البريد الكتاب الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بانزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرده عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع بريد سليمان الكتاب الذي معه إلى بريد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع بريد سليمان .

﴿ ذكر سبب مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله ﴾

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم هتته وفتوحه وعمله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقالته لم يجبه أحد منهم إلى مقالته ، فشرع في تأنيبهم وذمهم ، فبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسموا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود ، فجمع جموعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذي الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن سعد بن زرارة ، فحتمت أخواله ، وعمر بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح وإسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم فقتلهم كلهم وكيع بن سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوى الجروب والفتوحات السميمة ، والآراء الحميدة ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم السكبار والمدن المقام شيئا كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سميه ولا يخيب تيممه وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حتمه ، وفعل فملة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، ويضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً ، وقد رثاه عبد الرحمن بن جحانة الباهلي فقال : -

كان أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش إلى جيش ولم يمل منبرا
ولم تحفق الرايات والقوم حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح إلى الجنات عفا مطهرا
فما رزئ الاسلام بعد محمد * بمنزل أبي حفص فبكيه عبّرا

ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبره ولد له . وقال الطرماح في هذه الواقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارس مدحج ابنة مدحج * والازد زعزع واستبيح العسكر
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب * منهم إلى أهل العراق مخبر
واستضلعت عقد الجماعة وازدرى * أمر الخليفة واستحل المنكر
قوم هموا قتلوا قتيبة عنوة * والخليل جاححة عليها العنبر
بالمرج مرج الصين حيث تبينت * مضر العراق من الأعز الأكر
إذ حالفت جزعا ربعة كلها * وتفرقت مضر ومن يتمضر
وتقدمت ازد العراق ومدحج * للموت يجمعها أبوها الأكر
فقطان تضرب رأس كل مدحج * تحمى بصائرهم إذ لا تبصر
والازد تعلم أن تحت لوائها * ملكاً قراسية وموت أحر
فبمرنا نصر النبي محمد * وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطا كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال ابن خلكان

وقال جرير يرثي قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :

ندمتم على قتل الأمير ابن مسلم * وأنتم إذا لا قيمتم الله أندم

لقد كنتم من غزوه في غنيمة * وأنتم لمن لاقيم اليوم مقم
على أنه أفضى إلى حورجنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
قال : وقد ولى من أولاده وذريته جماعة الأمرة في البلدان ، فمهم عمر بن سعيد بن قتيبة بن
مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رثاه حين مات أبو عمرو وأشجع بن عمرو السلمي المرى نزيل البصرة يقول :

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا أنه فيه مادم
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبتهم الصنائع
وأصبح في لحد من الأرض ضيق * وكانت به حيا تضيق الضعاضع
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ما نجر الجوانح
فما أنا من رزئي وإن جلي جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح
كأن لم يميت حتى سواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المرائي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

قال ابن خلدكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة
عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض الجاميع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أنتسكافاً
دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك » . وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل
الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلاً من
أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرتى له قال : وأريدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم .
فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في
الدنيا إلا ليعوضك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي أمير مصر وحاكها . قلت :
هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذي بنى جامع الفيوم . وفيها حج بالناس
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن
عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن
عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء المكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سود
والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ﴾

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

ففتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي [بناء] الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة ففتح حصوناً وبرجة وحصن الحديد وسررا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزارى فى البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبى عبيد الفهرى ، وفيها ولى سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبى سود لما قتل قتبية بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتبية إلى سليمان فخطى عنده وكتب له بامرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأتهم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب فى إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأتهم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهد مع ابن الأتهم ، فسار فى سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها ، وبعث يزيد ابنه مخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتبية بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيده وابعث به إلى ، فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه قبل أن ينجى أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبى سود الذى قتل قتبية تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلب فتسلم خراسان وأقام بها ، واستناب فى البلاد نواباً ذكروهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإتمامها جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له صول ، فتحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة فى بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأمسروا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون فى التى قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، وولياها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة مع العراق . ومن توفى فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ❦

أبو محمد القرشى الهاشمى ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن على فى دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبد الله وجماعة ، وقد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة على ، وقد ترجمه ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فاذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قائلاً . فأرسل خلفه فعمله علي بن الحسين ^(١) كلمات الكرب فقلها حين دخل عليه فنجاه الله منهم ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزارى . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لأقرب إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، فقال : والله ما هذا منى بمزح ولكنه الجد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ؟ . فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس أعلموا أن هذا ولي أمركم من بعدي ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه على لسان أول من نزل أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباء وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يملكونا بذلك قد ظلمونا وكنتموا عنا أفضل الأمور ، والله إنى لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أنى لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطمعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

﴿ موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي رحمه الله ﴾

ولاهم ، كان مولى لا امرأة منهم ، وقيل كان مولى لبنى أمية . افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من عين التمر ، وقيل إنه من أراشة من بلى ، سبى أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصرأ فصغر ، روى عن نعيم الدارى ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي ، وولى غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبني هنالك حصونا كما لما غوصه وحصن بالنس وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأى وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال البيهقي ^(٢) . ولى موسى ابن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة سبع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه ^(١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة علي بن الحسين قبل هذا . ^(٢) في المصرية الفسوى .

افتتح بلاد الاندلس ، وهى بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسي منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنى أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسبى من الغلمان الحسنان والنساء الحسنات شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على العجل لكثرتها وعجز الدواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح فى بلاد المشرق ، فجزاها الله خيراً ، فكلها فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، واسكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : ابعت معى رجالاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجالاً فأتى بهم إلى مكان فقال : احفروا ، فحفروا ، فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لواوين حسنة ، فوجدوا هناك من البواقيت والجواهر والنزبرجد ما أبهرتهم ، وأما الذهب فشئ لا يعبر عنه ، ووجدوا فى ذلك الموضع الطنافس ، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالؤلؤ الغالى المفتخر ، والطنفسة منظومة بالجواهر المثلن ، والبواقيت التى ليس لها نظير فى شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ مناد ينادى لا يرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فخذوا حذرکم . وقيل إنهم وجدوا فى هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التى كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره وما جرى له فى حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيرى .

ودرى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شئ رأيت فى البحر ، فقال : اتهمنا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مخطومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فتبقت فإذا قد خرج منها شيطان ينفذ رأسه ويقول : والذى أكرمتك بالنبوة لأعود بعدد أفسد فى الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأرى بهاء سليمان وملوكه ، فانسأخ فى الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقى فرددت إلى مكانهن .

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التى بقرب البحر المحيط الأخضر ، فى أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرافوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطاتها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقبل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم

يبلغوا أعلى سورها ، فأمر فمهل سلاط فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصعود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدتها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحدا خارجا من هذه المدينة أو دخلا إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياما ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهد على من ذكر ذلك أولا .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقبلوا بأفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس وبين أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهايم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضعيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرمهم ، والأسبان ، وقد أنبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخاطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أبدته به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشيء كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خليطين ذهب وقضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لى لقدمهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهي المدينة العظمى في بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدي إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه ثلاني ألفاً من السبي غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كان غنمه في آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلات والجواهر ما لا يحذولاً يوصف ، ولم يزل مقيماً بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتباً على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل في يده حتى حج بالناس سليمان في هذه السنة وأخذ معه فمات بالمدينة ، وقيل بوادي القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفي في سنة تسع وتسعين فله أعلم ورحمه الله وعفا عنه بمنه وفضله آمين .

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين)

ففي هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراه الجيش الذين هم بها ، فسار إليهما ومعه جيش عظيم ، ثم التف عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليهما جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه في بلادهم ، وازرعوا في أماكن الزرع واستغلوه ، وابنوا لكم بيوتاً من خشب ، فانا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتتحها إن شاء الله . ثم إن مسلمة داخل رجلاً من النصاري يقال له اليون ، وواطاه في الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح في بادئ الأمر ، ثم إنه توفي ملك القسطنطينية ، فدخل اليون في رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفاً شديداً ، فلما دخل إليهم اليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فأعمل الحيلة في القدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذي للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تضاهوهم في القتال ، فلو أحرقته لتحتقوا منك العزم ، وسلموا إليك البلاد سريعاً ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر اليون في السفن وأخذ ما أمكنه من أمتة الجيش في الليل ، وأصبح وهو في البلد محارباً للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتحصن واجتمعت عليه الروم ، وضاق الخيال على المسلمين حتى أكلوا كل شيء إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، فسكر وراجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهداً شديداً ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجداً بالقسطنطينية شديد البناء محسباً ، رحب الغناء شاهقاً في السماء .

وقال الواقدي : لما ولي سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة بببيت المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والساتيق والحصون ،

حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع ماديونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمضى ما فتحت فان باقى ماديونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الرأى ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والإقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومى المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاورة ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك وتملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تنجى عنهم ، فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فخلف له أنه يدفع إليه مفااتيحها وما فيها ، فلما تنجى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار : وغدر إليون بالمسلمين قبيح الله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فعزل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه محمد بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ونعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلعة من الناس في هذه السنة ، فبعث إليه سليمان جيشاً فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستعجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي - وكان فارساً شجاعاً باهراً - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضر به التركي بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضر به ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرًا أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نسّم الرجل لولا انهما كه في الشراب . ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صلحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف ثوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس : على الترس طيلسان وجام من فضة وسرفة من حرير ، وهذه المدينة كان سميد بن العاص فيها فتحتها صلحا على أن يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ، ويخمنون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جلة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلب وردها صلحا على ما كانت عليه في زمن سميد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالا كثيرة جداً ، فكان من جملة ما تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحدا يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نسلمه ، فقال : والله إنني لأعلم رجلاً لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مغازياً - فعرض عليه أخذ التاج فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلاً أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فمر بسائل فطلب منه شيئاً فأعطاه [التاج] بكاله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالا كثيراً

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ، ثم استدعى الذي وشى به فشتمه ، فقال في ذلك القطامي الكلابي ، ويقال إنها لسنان بن مكمل النخعي

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بمدك ياشهر

أخذت به شيئاً طفيفاً وبمته * من ابن جونموذان هذا هو الغدر

وقال مرة بن النخعي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ * لولاك كان كصالح القراء

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أنابهم الله ، وقد تمهدت تلك البلاد بفتح جرجان وسلمت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزم يزيد على المسير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف إن الله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صلحه صاحبها - وهو الأصمعيدي - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق . ومن توفي فيها

من الأعيان : (عبيد الله بن عبد الله بن عتبة)

كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روایات كثيرة عن جماعت من الصحابة .
أبو الحفص النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه
وتعالى أعلم . (ثم دخلت سنة تسع وتسعين)

ففيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر ماضين ، وقيل بقرين من صفر
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت
خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقيت من رمضان
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيمة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الافك ، ورواه ابن عساکر من طريق ابنه عبد الواحد
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيذ أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت
فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أتمنى . فقال ابن عمر : فما تمنى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال
لي : لو أن لي أحداً ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرمت ذلك . أو قال : ما خشيت أن
يفسر بي . ورواه محمد بن يحيى التميمي عن أبي صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن
الزهرى عنه .

قال ابن عساکر : وكانت داره بدمشق موضع مiazza جبرون الآن في تلك المساحة جميعها ،
وبني داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الامارة ،
وعمل فيها قبة صفراء تشبهها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للغزو ، وقد أخذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوه على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلموا أو يحكموا شعر الأعشى ،
فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا يفحش ، هات
يا وليد ، فقال الوليد :

ما ركب وركوب الخيل يعجبني * كركب بين دماوج وخلخال

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ، هات يا سليمان ، فقال :

حبيبتنا رجعت يديها إليها * في يدي درعها تحمل الأزارا
فقال : لم تصب ، هات يا مسامة ، فأشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربني * بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما يغني
للماشق أن يغني^(١) منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن
أتاني به فله حكمه ، أي مهما طلب أعطيته ، فمضوا من عنده فبينما سليمان في مركب إذا هو بأعرابي
يسوق بالله وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في موتها * لئلا يهوى سريعا نحوها رأسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ،
فأشده البيت فقال : أحسنت ، وأني لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس
صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعدك لأوليد ، وإني أحب أن أكون ولي
العهد من بعده ، فأجابته إلى ذلك ، وبمئة على الخيل في إحدى وثمانين ، وأطلق له مائة ألف درهم ،
فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي أن الذي قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين
وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع
دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان
سليمان بالردة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه
هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس ، فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس
في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقيم
فيهم الأموال ، ثم عزم على الحجى إلى دمشق . فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة وأخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له :
إننا قد ولينا ما ترى وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فرب به فليكتب ، وكان من
ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأقطاع بالعراق ،
ورد الصلاة إلى مقامها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمعها
من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر
نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، ومث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر ،
عليهم عمر بن هبيرة . وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، وبمعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك
(١) يغني الجفاء أي يغني عنه . ولعله « يغني » بمعنى يخالج ، في مقابل قوله « ويكسوها »

في جماعته من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب ،
والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم النكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال :
أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء
رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، وزينة تقلب ،
تضحك باكيا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمن وتؤمن خائفا ، وتفر مبها وتفرى فقيرا ، وميلة لأعبة
بأهلها . يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما ، وأرضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما
قبله ، وإن يفسخه كتب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحجوا كيد الشيطان وضغائنهم كما
يحجوا ضوء الصبح إذا تنفس أدهار الليل إذا غمس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن
أبي مشر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على
سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن
عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما عل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم ليلة
ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله وعنده وهم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجائتها ولا
تبقى من شر أهلها ثم ياتو (أفرايت إن متعتهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا
يمنون) وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان كان | : آمنت بالله مخلصا ، وقال أبو مسهر عن أبي
مسلم سلمة بن العمار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترجم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول :
افتتح خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بأجوبة الصلاة لمراقبيها ، وختمها باستخلافة عمر بن عبد العزيز .
وقد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين ، وهو خليفة ، قال الهيثم
ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز :
ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين
هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غدا خصماؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال : بالله أستمع .
وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن
عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأساء بهم السماء برعد وبرق ، فظلمة وريح شديدة ، حتى
فرغوا لذلك ، فجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ، أما ترى ما نحن
فيه ، فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمة فيها شئ أمد ما ترى . فكيف بأفكار سخطه وغضبه .
ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : ألفت من أمتل والامتلئ يقظته ، ولا يتر عذا إلا بها . ودخل
عليه رجل فكلمه فأعجبته منطقته ثم فتشه فلم يحمد عقله . فقال : فضل منطلق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقده على منطقة الخنة ، وخير ذلك ما أشبهه بعضه بعضاً وقال : الماقل أحرص على إقامة لسانه منه على طاب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تمكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال :
وهوّن وجدى في شراحيل أنى * متى شئت لاقيت امرأة مات صاحبها
ومن شعره أيضاً :

ومن شيعى ألا أطارق صاحبي * وإن ماى إلا سألت له رشدا
وإن دام لى بالود دمت ولم أكن * كآخر لا يرعى ذمماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناء في مسكره فلم يزل يفتحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس ليصل فتستودق له الرمكة ، وإن الجمل ليهدير فتضيق له الناقة ، وإن التيس لينب فتستخذى له المنزلة وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوهم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين إنها مثله ، ولكن أنفهم ، ففهم . وفي رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة : فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من عنده من المغنين الخنثين .

وقال الشافعى : دخل أعرابي على سليمان فدعاه إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد في الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [رأس] البغل . وذكروا أن سليمان كان نهما في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة إشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة في السباط العام^(١) . ودخل ذات يوم بستاناً له وكان قد أمر قيمه أن يحثى ثماره ، فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلأ ذريماً من تلك الفواكه ، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بسجاجةتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوءاً سويقاً وممناً وسكراً فأكله ثم عاد إلى دار الخلافة ، وأتى بالسباط فما فقدوا من أكله شيئاً^(٢) . وقد روى أنه عرضت له حتى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربع مائة بيضة وستين تيناً فأنه أعلم .

وذكر الفضل بن أبي المهلب أنه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء

(١) هذا وامثله من مبالغات الاعاجم التي كانوا ينقرونها إلى بني العباس . وسيأتى في ص ١٨٣ أن سليمان رحمه الله أنه كان يحيا بجميلاً ، وعلى صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه (٢) الذي اخترع هذه الأكاذيب نسي أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً

وأعظم بهامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرأة فأعجب حسنه ، وشكر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقة إلى قادمة ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حبيباً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حرم شرع يتوضأ فغداً بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أشتدته :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من العيوب ومما * يكره الناس غير أنك فان

قالوا : فصاح بها وقال : عزتني في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القعقاع العنسي^(١) أن يصيب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليد فانما * دينك هدى بلغة ومتاع

فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً * فالدهر فيه فرقة وجماع

ويروى أن الجارية لما جاءت بالطست جمعت تضطرب من الحمى . فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محبومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محبومة ، وكان بمرج دابق من أرض قنسرين ، فأمر خاله فوضأ ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه أصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يرجع بمرج دابق حتى يرجع إليه الخيل بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه ، قالوا : وجعل يلهج في مرضه ويقول :

إن بنى صفار * أفلح من كان له كبار

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول :

إن بنى صبية صيفيون * قد أفلح من كان له ربيعون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك من قبل ما كرمك . ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة . وكان وزير صليق ابنى أمية . قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم ، فقلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحى هو أم ميت ، فقال : من ترى ، فقلت : رأيتك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن اتخوف عليه إخوانك أن لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك وأشار رجالاً ^(١) أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الخلافة من بسدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطيع فيكم عدوكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حاتم الميسري صاحب الشرطة ، فقال له : اجتمع أهل بيتي فرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مخطوماً ، فمن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجل منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي وهو دقي إلا أعلتني إن كان كتب لي ذلك حتى أسمع فيه إلا أن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيه على ما أقدر عليه الساعة ، فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يارجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان لي علمت ، وإن كان لا يرى لها مثلي قصرت به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرته إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السكره من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فإذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يارجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات رحمه الله . قال : ففطيت بقطيفة خضر وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حاتم فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا من في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام ^(٢) بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبايعه أبداً ، فقلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تعهده رجلاً حتى أخذوا بنصيبه فاصعدوه على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال : رجاء بن حاتم : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فبايعوه ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايعهم ، ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت

(١) في النصيرية : وأشار سليمان بن رجاء . واهله : وأشار رجاء (٢) كذا بالأصول ، والذي تقدم في كتاب العهد وما قبله أنه يزيد بن عبد الملك .

تتنازع هذا الأمر . ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبليدة ، فكان مما قال في خطبته : أيها الناس ، إني لست بمبتدع ولكني منيع ، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأتوا واليكم ، وإن هم أبوا فلست لكم بوال ، ثم نزل ، فأخذوا في جهاز سليمان ، قال الأوداس : فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب ، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب ، ثم صلى على سليمان ودفن بهد المغرب ، فلما انصرف عمر أتى بمراكب الخلافة [فأتى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق ، فقالوا بهنحو دار الخلافة فقال : لا أنزل إلا في منزلي ^(١) حتى تفرغ دار أبي أيوب ، فاستحسنوا ذلك منه ، ثم استدعى بالكتاب فجعل يملئ عليه نسخة الكتاب الذي يبيع عليه الأمصار ، قال رجاء : فما رأيت أفصح منه .

قال محمد بن إسحاق : وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قيسرين يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين ، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من توفى الوليد ، وكذا قال الجمهور في تاريخ وقاته ، ومنهم من يقول : لعشر بقين من صفر ، وقالوا : كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم . وقول الحاكم أبي أحمد : إنه توفى يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من رمضان سنة تسع وتسعين ، حكاه ابن عساكر ، وهو غريب جداً ، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله ، وعندهم أنه جاوز الأربعين فقليل بثلاث وقيل بخمس والله أعلم . قالوا : وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً ، حسن الوجه ، مقرن الحاجبين ، وكان فصيحاً بليغاً ، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله ، واتباع القرآن والسنة ، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله ، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قرية من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية ، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت ، فمات هنالك كما ذكرنا ، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله ، فهو إن شاء الله ممن يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما ضوفه : إن مسامة ابن عبد الملك لما ضيق محاصرته على أهل القسطنطينية ، وتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك ، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان ^(٢) يستنصره على مسامة ، ويقول له : ليس لهم

(١) كان منزله في موضع مدرسة السيمساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمالي . أما قصر الخلافة الذي يسمى (الدار الخضراء) فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية . ويسمى موضعه الآن (المصبغة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار ، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية .

هبة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم ظلاً أقرب ، و إنهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فهمنا
 كنت صانعاً حينئذ فاصنع الآن . ففعل ذلك شرع لعنه الله في المنكر والحديرة ، فكتب إلى مسلمة
 يقول له : إن إليون كتب إلى يستعصمني عليك ، وأنا معك فرتي بما شئت . فكتب إليه مسلمة :
 إني لا أريد منك رجلاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إليسا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزداد . فكتب
 إليه : إني قد أرسلت إليك بـ ١٠٠ عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها .
 فاذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن ينهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير
 فوجدوا هناك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا
 بذلك ، ولا يشعرون بما أُرصد لهم الخبيث من الكائن بين تلك الجبال اني هناك ، فخرجوا عنهم
 بغلة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأمسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ،
 فأناب الله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل
 جيشاً كثيراً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يهزوا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك
 البرجان ، ثم يهودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك السلجوقيان ، فاقتتلوا معهم
 قتلاً شديداً ، فبهم المسلمون باذن الله ، وقتلوا منهم مئة عظيمة ، وسبوا وأمسروا خلقاً كثيراً ،
 وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم تعجزوا إلى مسلمة فكانوا عندهم حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً
 عنهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أنابهم الله .

في هذه خلافة عمر بن عبد العزيز أشجع بني مروان رضي الله عنه وأكرمه .

قد تقدم أنه يرفع له بالخلافة يوم الجمعة ثمان مئتين ، وقد قيل يقين من حضر من عامة السنة - أعني
 سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدمنا ،
 وقد ظهرت عليه مخاضات الورع والدين والتقشف والصيانة والزاهدة ، من أول حركة بادت منه ، حيث
 أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وعن الخيول الحسان الجياد المسداة شاء ، إلا جترأ به ركوبه الذي
 كان يركبه ، وسكنى منزله دغيسة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها
 الناس ، إن لي نفساً توافقه لا تمطى شيئاً إلا تافت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة
 تافت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعجبوني عيها يرحمكم الله . وسألتى ترجمته عند وفاته
 إن شاء الله ، وكان مما بادر إليه عمر في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من
 المسلمين وهم بأرض الروم يحاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ،
 لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير
 وخيول كثيرة تتناق : يقال خمسمائة فرس ، وفرح الناس بذلك ،

وفيها أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين ، فوجه إليهم عمر حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو محاصرة . وقد كان المؤذنون يدركونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن مرد لهم بذلك والله أعلم . فروى ابن عساكر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استمناه فأعفاه ، واستقضى مكانه إياس بن معاوية الذكي المشهور ، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبي . قال الواقدي : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحنكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل أفتياً إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فغولاء الذين كانوا يقتولون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

عبد الحسن بن محمد بن الحنفية

تابعي جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الإعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد

القرشي الجهمي المكي ، نزيل بيت المقدس ، تابعي جليل ، روى عن زوج أم أبي مخنف المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سميد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهرى ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفتخر علينا أهل المدينة بما بهم ابن عمر ، فانا نفتخر عليهم بما بهنا عبد الله ابن محيريز . وقال بعض ولده : كان يختم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

قالوا : وكان صموئيل معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة ، ورأى علي بن ابي بصير الأثرأ حلة من حرير فأبكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين . فقال له ابن محيريز : لا تمدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين . وقال الاوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فان الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حائوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له . فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لئشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه . ﴿ محمود بن لبيد بن عقبة ﴾

أبو نعيم الأنصاري الأشجلى ولد في حياة النبي ﷺ ، وروى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الارسال . وقال البخاري : له صحبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسمين ، وذكر الذهبي في الاعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين ﴿ نافع بن جبير بن مطعم ﴾

ابن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني ، روى عن أبيه وعنه وعن العباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً بحج ماشياً ومركوباً به يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسمين بالمدينة .

﴿ كريب بن مسلم ﴾

مولي ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بالخبر والديانة .

﴿ محمد بن جبير بن مطعم ﴾

كان من علماء قریش وأشرافها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل حجة مجها النبي ﷺ في وجهه وعمره أربع سنين . توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

﴿ مسلم بن يسار ﴾

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد ، له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في داره حريق فأطفاؤه وهو في الصلاة لم يشعر به . وله مناقب كثيرة رحمه الله . قلت : وانهدمت مرة ناحية من المسجد ففرع أهل السوق لها ، وإنه أتى المسجد في صلاته فما التفت . وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك

وأنت عني راض ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته

﴿ حنش بن عمرو العسفي ﴾

كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبافريقية توفي غارياً وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة.

﴿ خارجة بن زيد ﴾

ابن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ، كان يفق بالمدينة ، وكان من فقهائها المعدودين ، كان عالماً بالفرائض وتقسيم الموارث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

﴿ سنة مائة من الهجرة النبوية ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا علي بن حفص أنبأ و رقاء عن منصور عن النبال بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة » ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة من هوى ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة » . تفرد به أحمد . وفي رواية لابنه عبد الله أن علياً قال له : يا فروخ أنت القائل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف من هوى اليوم ، وإنما رخاء هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله ﷺ : « لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ، أخطأت أستمك الحفرة ، وإنما أراد من هو اليوم حي » . تفرد به (١) وهكذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر ، فوهل الناس في مقال رسول الله ﷺ تلك ، وإنما أراد انحرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالمرأق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسبرهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلووه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفروا الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك علي ؟ فإن كنت خرجت غضباً لله فأنا أحق بذلك منك ، وأنت أولى بذلك مني ، وعلم أنا ظرك ، فإن رأيت حقاً اتبعته ، وإن أبديت حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسألهما : ماذا تتعمدون ؟ فقالا : جعلك يزيد بن عبد الملك (٢) من بعدك ، فقال : إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري . قالا : فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال إن بني أمية دست إليهم سماً فقتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولعله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد » (٢) نسخة : هشام بن عبد الملك

وفيهما غزا عمر بن الوليد بن هشام الميظني ، وعمر بن قيس السكندی من أهل حمص ، الصائفة
وفيهما ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الجزيرة فسار إليها . وفيها جهل يزيد بن المهلب إلى عمر
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر ينفذ
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها حاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب
الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . فقال له عمر : لا أسمع
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدى أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بعث على إمرة
خراسان الجراح بن عبد الله الحنكي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، مغلط بن يزيد ، فقال :
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد من على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكون نحن أشقى الناس بك
فعلام تجبس هذا الشيخ وأنا أقوم له أوصالتي عنه ؟ فقال عمر : لا أصالحك عنه إلا أن تقوم بجميع
ما يطلب منه ، ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بينة عليه بما تقول وإلا فاقبل عيته أو فصالحني عنه ، فقال : لا آخذ منه إلا جميع ما عنده .
فخرج مغلط بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات مغلط . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف ويركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي
إليها الفساق ، فشنعوا فيه فرده إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي (١) ، وأظنه
كان عالما أن عمر قد سقى سما .

وفيهما رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحنكي عن إمرة خراسان ،
بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما
تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن
الله إنما بعث محمداً ﷺ داعياً ، ولم يبعثه جابياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم
عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضح لهم ، يعظهم فيما بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان
فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله ناصحاً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أهلى بك
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولاتولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المروق بالضرورة لهم ،

والتوفير عليهم . وأدنى الامانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون ميلك إلى تغيير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهب عن الله مذهبا ، فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال . وقال البخاري في صحيحه : وكتب عمر إلى عدي بن عدي : إن للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسلما ، من استكملها استكمل الايمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فإن أعش فسا بيننا لكم حتى تمناوا بها ، وإن أمت لها أنا على صحبتكم بحر يص .

(وفيها كان بدو دعوة بني العباس)

وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلا بأرض الشراء - بعث من جهته رجلا يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن حنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها ومثد الجراح ابن عبد الله الحكي قبل أن يعزل في رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من اقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة الذي بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن علي ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إتمامه ، وأول رأى قد أحكم الله إتمامه ، أن دولة بني أمية قد بان عليها غايل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتي بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق محمد بن علي اثني عشر نقيباً ، وهم سليمان بن كثير الخزازي ، ولاهر بن قريظ التميمي ، وقصطنطين بن شبيب الطائي ، وموسى بن كعب التميمي ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والتمام بن جعاش التميمي ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي مغيط - ومالك بن الهيثم الخزازي ، وطاحنة بن دريق الخزازي ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - ، وشبلي بن طهمان أبو علي الخروزي - مولى لبني حنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن علي كتاباً يكون مثالا وسيرة يتسمون بها ويسرون بها .

وقد خرج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نزم ، نائب المدينة ، والنواب على الأمصار هم المذكورون في الف قباهم ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يخرج عمر ابن عبد العزيز في أيام خلافته لشغل بالأموال ، وأما كتب كان يبرد البريد إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله ﷺ ، وسألتني باستناده إن شاء الله .

ومن تولى فيها من الأعيان :

(سالم بن أبي الجهم الأشجعي) مولاهم السكوني . أخو زياد وعبد الله ، وعبيد الله وعمران

وأسلم ، وهو تابعي جليل ، روى عن ثوبان^(١) وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان بن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلاً .

﴿ أبو أمامة سهل بن حنيف ﴾

الأصمعي الأومى المدني ، ولد في حياة النبي ﷺ ، ورآه وحدث عن أبيه وعمر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عملية الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا . وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خروجه خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حصبه الناس وحالوا بينه وبين الصلاة ، فصلى بالناس يومئذ أبو أمامة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم

﴿ أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي ﴾

تابعي جليل ، سمع أبا أمامة صدى بن عجلان ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء والصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتيبة : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقتوا عليّ الباب ، فما انتبهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فاذا الملائكة صفوف ، فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره : مات سنة مائة .

﴿ أبو الطفيل عامر بن واثلة ﴾

ابن عبد الله بن عمرو الليثي السكناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي ﷺ يستلم الركن بمحجنه ، وذكر صفة النبي ﷺ ، وروى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتادة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن تقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكالك علياً ؟ فقال : تكمل المعجوز المقلدة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى . وإلى الله أشكو التقصير . قيل إنه أدرك من حياة النبي ﷺ عثمان بن عفان ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة والله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقاً ومات سنة مائة .

﴿ أبو عثمان النهدي ﴾

عبد الرحمن بن مولى البصري ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة

(١) في خلاصة تذهيب السكال « قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه »

النبي ﷺ ولم يره ، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي ﷺ ، ومثل هذا يسره الله
الحديث مخضرمًا ، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب ، فسمع منه ومن علي وابن مسعود
وخلق من الصحابة وصحب سلمان الفارسي ثقي عشرة سنة حتى دفعه ، وروى عنه جماعة من التابعين
وغيرهم ، منهم أيوب ، وحيد الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقال عاصم الأحول : سمعته
يقول : أدركت في الجاهلية يفتو صفا من رصاص يحمل على جمل أجرد ، فاذا بلغ وأديا برك فيه
فيقولون : قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فيبتلون فيه ، قال : وسمعت وقد قيل له أدركت النبي
ﷺ ؟ فقال : نعم ! أسلمت على عهده ، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات ، ولم ألقه ، وشهدت البردوك
والقادسية وجولاء ونهاوند . كان أبو عثمان صوامًا قوامًا ، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه ، وكان
يصلى حتى يفتش عليه ، وحج سنين مرة ما بين حجة وعمره ، قال سليمان التيمي : إني لأحسبه
لا يصيب ذنبًا ، لأنه ليله قائمًا ونهاره صائمًا ، وقال بعضهم : سمعت أبا هنيان التميمي يقول : أتت
على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا ألي فاني أجده كما هو . وقال ثابت البناني
عن أبي عثمان . قال : إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل ، قال فيقول : من أين تعلم ذلك ؟ فيقول
قال الله تعالى (فاذكروني أذكركم) فاذا ذكرت الله ذكرني . قال : وكنا إذا دعونا الله قال : والله
لقد استجاب الله لنا : قال الله تعالى (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) قالوا : وعاش مائة وثلاثين
سنة ، قاله هشيم وغيره . قال المدائني وغيره : توفي سنة مائة ، وقال الفلاس : توفي سنة خمس
وتسعين ، والصحيح سنة مائة والله أعلم .

وفيها توفي عبيد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، وكان يفضل على والده في العبادة والافتقار
عن الناس ، وله كلمات حسان مع أبيه وعظه إياه .

(ثم دخلت سنة إحدى ومائة)

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز ، فواعد غلمانا
يلقونه بالخيال في بعض الأماكن ، وقيل بابل له ، ثم نزل من محبسه ومعه جماعة وأمر أنه عائكة بات
الفرات العامرية ، فلما جاء غلماناه ركب رواحله وسار ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله
ما أخرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك ، ولودرجوت حياتك ما أخرجت ، ولكنني خشيت من
يزيد بن عبد الملك فانه يتوعدني بالقتل ، وكان يزيد يقول : لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب
طائفة ، وذلك أنه لما ولي العراق عاقب أصحابه آل عقيل ، وعم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان
يزيد بن عبد الملك مزوجا ببنت محمد بن يوسف ، وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول في سياني .
ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال : اللهم إن كان يزيد بهذه الأداة

سوءاً فأكفهم شره وارده كيده في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بهمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بخصاصة ، من دير صمان بين حماد وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الأربعاء ، خمس بقين من رجب من سنة السنة - أعني سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فآله أعلم .

وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً ديناً ، لا تأخذه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى .

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأموي الأمام المعروف المشهور رحمه الله وأكرم مثواه .

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطائب رضي الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعدلا بن مروان . فهذا هو الأشج وسيأتي ذكر الناقص . كان عمر قاصياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف عجمي صغير . وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الأمام أحمد بن حنبل : لا أدرى قول أحد من التابعين حججه إلا قول عمر بن عبد العزيز . يروي له بالخلافة بعد ابن عمر سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، فآله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة والسكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم وعهد ، وقال أبو بكر بن أبي خزيمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن ناديا بين السماء والأرض ينادى : تأنم الآن بالدين وإظهار العمل الصالح في المسلمين ، قتلت : ومن هو ؟ قتل فيكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إياس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اسمعيل أبيه ففصر به فرس فشججه ، فجعل أبو بكر يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بن أمية إنك إذا سمعت . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال لعيم بن حماد : ثنا ضمام بن اسمعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبأن أمه فأرسلت إليه فتأت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضمعاك بن عثمان الخزامي : كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يودبه ، فلما حج أبوه اجتاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ما خبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام . وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت درجتي تسكن شمري ، فقال له : قدمت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبو ديسولا فلم يكلمه حتى حنق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسبح منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر عرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مضطرباً وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضوا عنهم ؟ قال فهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ثنا المفضل بن عبيد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب . وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ﷺ . فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابه هذا يعلم القرائض والسنن ، ويؤمن أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني العتيبي قال : إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى قتها وأتأدب بأدائهم . ففعل ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدم ، فقدمهم مشايخ قریش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذ عمر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخطبه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنت الخليفة والخليفة جدها * أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال : ولا تعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتيبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز يقيم عليه شيئاً سوى متابعتها في النعمة ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأحنف بن قيس : السكامل من عدت هفواته ولا تمداً إلا من قلته . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والديار هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما أعلم ، كما تقدم ذلك ، ودخل يوماً على عمه عبد الملك وهو يتجاف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحاً ، فقال : دأين هو من جسدك ؟ قال : بين الرائقة والصفى - يعني بين طرف الالية وجودة الخصية - فقال عبيد الملك لروح بن زنياع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعمين يوماً ، ولما ولى الوليد عاد به بما كان أبوه يعامل به ، وولاد المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

و بنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي ﷺ وسماه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر النبي ﷺ ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر منهم ، وهم عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خزيمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سميد بن المسيب ، وقد كان سميد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ، وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأى

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البربري أنه ذا كر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسى بيده ، أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا النقي . يعني عمر بن عبد العزيز . حين كان على المدينة . قالوا : وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع والسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المدني ، قال : رأيت سليمان ابن يسار^(١) خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ، قلت : تعلمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر فمنا حتى تعلمنا منه . وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال عبد الله بن طائوس : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ، فلما افترقا قالت : يا أبا من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء إقامتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لي فقال لي : اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة (١)

وقال الامام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى في سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مزاحم ، نخشى أن نكون من نفت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبير خبث الحديد - وينصف طيبها . قلت : خرج من المدينة فنزل مكان قريب منها يقال له السويداء حيناً (٢) ، ثم قدم دمشق على بنى عمه . قال محمد بن إسحاق عن يسماعيل بن أبي حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى ، فلما قدمت الشام نسيت . وقال الامام أحمد : حدثنا عثمان بن أحمد بن زيد عن وهب عن الزهرى قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت . وقال ابن وهب عن الليث عن عقيل عن الزهرى قال قال عمر بن عبد العزيز : بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو نابس ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست فقال : ماتقول فيمن يسب الخلفاء أيقول ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، فقلت : يشكك به ، فغضب وانصرف إلى أمه . وقال في ابن الريان السيف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردني إليه . وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أدير المؤمنين ودمه عمر بن عبد العزيز على مسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأبقار والرجال ، فقال سليمان : ما تقول يا عمر في هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المشغول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة في فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها ، وأنب أمية ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدرى ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبك ؟ فقال عمر : أعجب من عرف الله فمصاد ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بمروة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيتك

(١) بالأصول « يوماً صبيحتها يعنى يوم القيامة » ووجهه من سورة نصر بن عبد العزيز لابن الجوزي صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستقطب فيها من عطائه عين ماء ، وله فيها قصر مبنى . ولما تنازل البيت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبى (السويداء) و (خير) لأنه اطمأن إلى أنها حلال خالص ليس فيها أية شبهة ، وكان هو خليفة يأكل من غلتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مسئول عنهم غدا ، وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان وقال : بالله نستعين .
وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان ومخحك عمر فقال له : أترضحك ؟ فقال : نعم هذه
آثار رحمته ونحن في هذه الحال ، فكيف بأثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك
أن سليمان وعمر تمالوا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله
ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه
سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمرهم مني إلا خطرت على بالي . وقد ذكرنا أنه
لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك والله الحمد .

﴿ فصل ﴾

وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الملقبون ثنا عبد الله
ابن دينار قال قال ابن عمر : يا عجبا ١١ يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر
يعمل بمثل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجهه أثر ، فلم يكن
هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وقال البيهقي :
أنبا الحاكم أنبا أبو حامد بن علي المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عفان ثنا
عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال :
إن من ولدي رجلا بوجهه شجان يلى فيملا الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر
ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليت
شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟ قال وهيب بن الورد : بينما
أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول : يا أيها الناس ! ولى عليكم كتاب الله .
فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفرك فاذا مكتوب عليه عمر ، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال
بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزاز عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في
روضة خضراء فقال له : « إنك ستلى أمر أمتي فزع عن الدم فزع عن الدم » ، فان اسمك في الناس
عمر بن عبد العزيز ، واسمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن الحسين بن
محمد بن مودود الحراني ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رباح بن
عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن
(١) وزعه يزعه فأنزع ، أى كفف عنه

هذا الشيخ جاف ، فلما سأل ودخل لحقته فقلت : أصليح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتى بك
يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذلك أخي
الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عذيس . قال :
كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عايبه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل
عندينا من عين ؟ فقال أبو عذيس : فقلت عليكم من الله عين بصيرة ، وأذن سميمة ، قال : فترقت
عيننا الفتي . فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز بن أخي
أبى المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن
معاوية شيء جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر في النجوم والعلب . وقد ذكرنا في ترجمة
سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يهدي إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح
رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء
فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها ولم يشمر بذلك عمر ولا أحمد من بني مروان سوى سليمان
ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بالحضار الأشرار ورؤوس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبأيدهم
سليمان على ما في الصحيفة المحترمة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبأيدهم
ثانية قبل أن يعلوها ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فإذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ،
فأخذوه فأسجسوه على المنبر وبأيدهم فأنفذت له البيعة .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب يشهد على ما فيه
من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال
القاضي أبو الفرج المسافى بن زكريا الجريدي : أجاز ذلك وأضاه وأئذ الحكم به جهراً وأهل الحجاز .
وروى ذلك عن سفيان بن عيينة الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسleme الخواري ومكحول ، وغيرهم
أوس وزرعة بن إبراهيم ، والأول هو أسبق وسعيد بن عبد العزيز . ومن أفتهم من فقهاء الشام . وحكى
نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاه جندب ، وهو قول الألبان بن سعد فيمن وافقه
من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاهم . وهو عن قتادة عن سوار
ابن عبد الله وعبد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ المنبري فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ به هذا عدد
كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد أحسن به البخاري في
تحيته . قال المسافى : وأبي ذلك جماعة من فقهاء العراقي . منهم إبراهيم وجهاد الحسن ، وهو مذهب
الشافعي وأبي ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر . وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب

إلى القول الأول ، قال الجري : وإني القول الأول فذهب . وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أكراماً كعب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلا التقي لهم الذبي خشية الردى * لعماسيت في حب الصبا كل زاجر

فضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى * نه صبوة أخرى الأيالي الغواير

ثم قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فنهوا إلى بغلق ، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفة فيمن يريد ، وكانت من الخيول الجياد المئونة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجلاء ، وزيد إليه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له مولاه : مالك ما كذا وما كذا بهوما وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أولم يكتب ، طلبه مني أرمي بكتاب ، قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تطلق بأهلها ، فبكت وبكى جوارها لبعائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحبها الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل * وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فوا * غ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز سنة الثمانين وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس : لا فيفراقنا ، يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما نبتدى إليه ، ولا يفتننا عننا أحدا ، ولا يعرض فينا ليعنيه . فاقشع عنه الشعراء والخطباء مشيت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعدنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : أجمل الشيخ أيها الناس ، بالصاب أخاه ، والصغير ولدا ، وبر أباك وصل أخاك ، وتعطف على ولدك . وقال رجاء : ارض بالدين ، وبشيئ نفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأته إليهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت . وأجمل سالم : أجمل الأمر واحدا وصم فيه عن شهوات الدنيا ، وأجمل آخر فطرك فيه الموت . فكان عمر بن عبد العزيز يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال أبو حمزة : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال : وقد خنته العبرة - أيها الناس ا
توبوا إلى الله فليصنع الله ديناكم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علايتكم ، والله إن عبداً ليس

بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمعرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عامر موفى عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظن . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قرير العين فيها يافع ، إذ دعا الله بقدره ورماه بسهم حنقه ، فسلبه إثارة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصالمة ومقناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهياجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا تنفع بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكفي منفعة ، وإني لست بمتبع ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو السامى ، لا لاطاعة الخلق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنني أثقلكم حملا ، ألا لاطاعة المخلوق في معصية الله ، ألا دل اسمعت .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الخولاني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن السعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم لم تخلقوا عبدا ، ولم تتركوا مدي ، ه إن لكم ما إذا نزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وبجرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع قافيا بريق ووافه ، فناداه ، وقليلًا بكثير ، وخوفا بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وبينكم وبينهم ما بينكم والباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيرون فاديا ، وأما إلى الله ترجع قد قضى نحبته حتى تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غدير ويرسد بلا نهد . قد طاف الأحاب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك ، فقير لما قد سرق ، فاقب الله قبل القضاء ، وراقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرفه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وإيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الغائب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سنن من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته . فما عاد لجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول : « ادن يا عمر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فاعمل ليعلموا من عمل هذين » فإذا كهان قد اكتنفاه ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر . وروينا أنه قال : لسلم بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها ، فقال له سلم : إنك لا تستطيع ذلك .

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجهد على الخير أعوانا ، وأنت لا تجهد من يمينك على الخير . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية أنت بالله ، وفي رواية الوفاء عزيز . وقد جمع يوما رموس الناس فخطبهم فقال : إن فديك كانت بيد رسول الله ﷺ يضمها حيث أراد الله ، ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدري ، قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أفضنها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ . قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال وسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم يجمع فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني ولا ذهبت إلى مكة فتزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين عاما ما أقت فيكم إلا ما أريد من المعدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الامام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كل في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طادوس : هو مهدي وليس به ، لأنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسئء من إساءته ، وزيد المحسن في إحسانه ، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، فقليل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشجع بني مروان . وقال عباد السماك وكان يجالس سفيان الثوري : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الأئني عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد وحسد الله في مدة ولايته مع قصرها حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، فكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أشي كل من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعادته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : نعيم شهادة معاوية من رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز وأباه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جوارى زوجته فاطمة بذت عبد الملك ، فكان سألها إياها إماماً أوهبة ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها إليه ووهبتها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنها ، فتمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لباقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جالوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادته موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبعث بي إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إن الله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاذ واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فتفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعماري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي عز وجل سيأني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحت نفسي فبكيت . وقال ميمون بن مهران ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى مظالمه ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للأسلام سناً وفرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيتها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بمرخص . وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بحزوماً به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فاتها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يناب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمل قل كلامه إلا فيها يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يعد كلامه من عمل كثرت خطاياها . ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال للرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بعزة السلطان فأنا لك منك ماتمته مني غشياً ؟ قم عافاك الله لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة ، والعمو في المقدرة ، والرفق في الولاية ، وما رفق عبد

بعبد في الدنيا إلا وفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشبهه صبي منهم ،
فاحتواها الصبي الذي شيخ ابنه وجاؤا به إلى عمر ، فسمع الجارية تفرج اليهم ، فإذا مربية تقول : إنه
أبني وإنه يتيم ، فقال لها عمر : هوني عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ، قال :
فاكتبوه في النورية . فقالت زوجته فاطمة : أنفعل هذا به وقد شيخ ابنك ؟ فبعل الله به وفعل ، المرة
الأخرى يشج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفرغتموه . وقال مالك بن دينار : يقولون
مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أته الدنيا فاعرة فاهها فتركها جملة .
قالوا : ولم يكن له سوى قبض واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى يلبس ، وقد وقف مرة
على راهب فقال له : ويحك عظمي ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

نجرد من الدنيا فانك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : وكان يمجبه ويكرهه وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألتها أن تترضه
درهما أو فائسا يشتري له بها عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في
خزانتك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غدا في نار جهنم .
قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، قالوا : وبعت يوماً غلامه ليشوى له لحمة
لجاء بها سريعاً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال :
نعم . فقال : كلها فاني لم أرزقها ، هي رزقت . وسخنوا له الماء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم
خطبا . وقالت زوجته : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام
الأسود أنه يحدث عن ثوبان بحديث الخوض فبعت إليه فأحضره على البريد وقال له : كلمت وجمع
له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافني بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت
ثوبان يقول قال رسول الله ﷺ : « خوضي ما بين عدن إلى عمان بالقاء مأود أشد بياضا من اللبن ،
وأحلى من العسل ، وأكوابه عسود نجوم السماء » من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وأول
الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤساء ، اللدس ثياباً ، الذين لا يشكحون المستعانت ،
ولا تفتح لهم السدد . فقال عمر : لكنني تكلمت بالشفقة ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لا أغسل
رأسي حتى يشعث ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج
لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف
كل يوم أول النهار ، ولا يعطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل
من أهل بيته ثياباً فاشتبه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محالها ، فقال له رجل :
يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ كان يتقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية

كانت لرسول الله ﷺ هدية ، فأما نحن فهي لمارشوة . قالوا : وكان يوسع على عماله في النفقة ، يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقت على غيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجل من ولده على : إني لأستعجى من الله أن تقف بياني ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم : إني لأستعجى من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن وبنو عشنا بنو هاشم مرة لنا ومرة علينا ، نلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق ، وأخرست كل منافق ، وأسكنت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أبي خطاب ثنا خالد بن حسداش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي . وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة . قال : كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشارة منها ذئب فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال لحسيناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نعوذ ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيتك إياهم كن قبل طاعتهم إياك ، فوقتي . ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، متلوئماً بالخطايا ، أتمنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة . وإنما لك يا أمير المؤمنين كذا قال الشاعر ^(٢)

وإذا الدهر زان حسن وجوده * كان للدر حسن وجهك زيناً

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فمشى السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أتبه هذا الفلام أصاحه ؟ فقال : لا ادعني إياهم ، لا أحب أن أجمع عليه عملين . فقلت : أفلا أقوم أصاحه ؟ فقال : لا ! ليس من المروءة استخدام الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه وصحب فيه زينا ثم جاء فقال : قلت : أنا عمر بن عبد العزيز . وجلست ، وأنا عمر ابن عبد العزيز ، وقال : أذكروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : الله لي معنى من كثرة ذكرها مخافة المبالغة . ثم بان له أن رجلاً من أصحابه توفي . ثم إلى العهد ليخرجهم فخره . فصرخوا في وجهه .

(١) هو بلال بن أبي بردة حفيد بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه (٢) هو مالك بن أمية .

بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا ^(١) لم يسد شيئاً من جفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لسكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالقضاء ، وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم با كيا فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلاث ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم من صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتى قبور الأحبة ، فاتاهم فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : يا عمر ألا تسأني ما فعلت في الأحبة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مرقت الألف كنان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الخدقتين ، ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من العضدين ، والعضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن يذهب قال له : يا عمر أدلك على أكناف لا تبلى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكراً ، قال : وفيه يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وسأكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قر به بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بيننا تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان ، ويجرى فيه الصديد ، مع تغير الريح ، وبلى الأكناف بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شفق شهقة خرو مغشياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقراً (وقمؤهم إنهم مسؤولون) فجعل يكرها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض المصفور في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه الراحات رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز .
وقال بعضهم : رأيت يميني حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ (إن ربكم الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام) الآية ، ويقرأ (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون)
ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ،
ثم يبكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزود مما كان يجمعه * سوى حنوط غداة البين في خرق
وغير نفحة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لمنطلق
بأعما بلد كانت منيته * إن لا يسر طائعا في قصدها يسق

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس وانحازوا إلى
الظل فبكى وأشد :

من كان حين تصيب الشمس جهته * أو الغبار يخاف الشين والشعنا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته * فسوف يسكن يوما راغما جدنا
في قعر مظلمة غبراء موحشة * يطيل في قعرها نحت النرى اللبنا
تجهزي بجهاز تبلعين به * يا نفس قبل الردى لم تخلق عبثا

أ هذه الأبيات ذكرها الأجرى في أدب النفوس بزيادة فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا
أبو حفص عمر بن سعد القراطيسي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح
القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال :
أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعث رسولا إلى اليون طاغيسة الروم يدعوهم إلى الاسلام ، فقال له
عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئذن لي في بعض بني بخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من
الله كور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيت ابنك
عبد الله يمشي مشية كرهتها منه ووقتته عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيته
تلك فغريزة فيه ، وأما الشعر فأنما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيني وخذ
معك غيره ، فراح عبد الأعلى بإبنة عبد الله إليه ، فاستندبه فأشده ذلك الشعر المتقدم :

تجهزي بجهاز تبلعين به * يا نفس قبل الردى لم تخلق عبثا
ولا تكدي أن يبقى وتفتري * إن الردى وارث الباقي وما ورننا
واخشي حوادث الدهر في مهل * واستيقظي لا تنكبي كالذي يحشا
عن مديّة كان فيها قطع مدته * فوافقت الحريث موغورا كما حرننا

لا تأمنى شبح دهر متارف فتمل * قد استوى عنه من طلب أو خبتا
 يارب ذى أمل فيه على وجل * أضهى به آملنا أمسى وقد جدنا
 من كان حين نصوب الشمس جبهة * أو الغبار يخاف الشين والشمنا
 وبألف الظل كي تبقى بشاشته * فكيف يسكن يوما راحنا جدنا
 قمرنا موحشة غبراء مظلة * يطيل تحت الثرى من قمرها الابهنا
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فذكر أنشد لها عنه : والله سبحانه وتعالى أعلم .

وكان عمر يشتمل بها كثيرا : يكي (١)

وقال الفضل بن عباس الطائي : كان عمر بن عبد العزيز لا ينجف فوه من هذا البيت :
 ولا خير في عيش أسرى لم يكن له * من الله في دار القرار نصيب
 زاد غيره : مع بيتا حسنا وهو قوله :

فان لم يصيب الدنيا أناسا فانها * متاع قليل والزوال قريب
 ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أنا ميت وعز من لا يموت * قد تيقنت أني ساموت
 ليس ملك يزيد الموت ملكا * إنما الملك ملك من لا يموت
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول (٢) : -

تسر بما يقضى وتفرح بالثنى * كما اشكر بالذات في النوم حلم
 لم يترك يدبره سهم وغفلة * عليك نوم والردى لك لازم
 وسميت فيها سوف تذكر غيبة * كذلك في الدنيا تعيش البهائم
 وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يوم نفسه :

يقظان أنت اليوم ثم أنت نائم * وكيف يطيق النوم حيران هائم
 فلو كنت يقظان الغداة لحركت * حاجرا حديدك الدروع الدائم
 بل أصبحت في النوم الدائم وقد كنت * إليك أم ر منظمات عظام
 وتكسح لها سوف تذكر غيبة * كذلك في الدنيا تعيش البهائم
 فلا أنت في الله يوما بسلم * ولا أنت في الاقفاظ يقظان حالم

وعلى ابن أبي الدنيا : سمعت من طائفة من عبد الملك قالت : أنت خير ذات أيلة وهو يقول :
 لا بأس لي بالآلة : ولا عيبية : قلت : أنت خير في بهاة قتال : حتى تصبح : فلما صلى بالمسلمين دخل

(١) سقط من نسخة الاستاذ (٢) هي من نظم عبد الله بن عبد الأعلى .

فسأله فقال : رأيت كأني دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساتين الخضراء وإذا فيها قصر كأنه
الفضة تفرج منه خارج فننادي أين محمد بن عبد الله ، أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله ﷺ ، حتى
دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فننادي : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي
أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي أين عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم
خرج آخر فننادي أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادي أين عبد العزيز
فقدت فدخلت فجاست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله ﷺ ، وأبو بكر
عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله ﷺ رجل ، فقالت : لابي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ،
ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز نسلك بما أنت عليه ،
وأنبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أخذني في المروءة فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان معه
خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي أخرجني مني ، وإذا علي في الزمان وهو يقول : الحمد لله
الذي أخرجني مني .

فصل في

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله ﷺ قال : « إن
الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . فقال جماعة من أهل العلم منهم
أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى .
وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحقه بالأمة وعمره مائة ، وقيل ما يجابده في تنبيه الناس .
فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج
ابن الجوزي سيرة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أوردنا سيرة عمر بن الخطاب في
جلد على حدة ، ووردناه في جلد ضمهم ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا لها جلدًا خاصًا
هنا ، يستعمل به على ما لم تذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يعطى من التقاع إلى انسحاب الجميع من بلاده وغيره ، اللغة وانكر ما لم
وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار . وكان يكتب إلى عهده أن يأخذوا بالسنة ،
ويقول : إن لم تصالحهم السنة فلا أصلهم الله ، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذمي من اليهود
والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قبله ولا يلبسوا ولا يلبسوا ، ولا يشرب أحد منهم إلا
برنار من جلد ، وهو مقر من الناصية ، ومن وجد من سرق في منزله سراج أخذه منه ، وكتب أيضًا أن
لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن . فإن لم يكن عندهم غير فقيرهم إلى أن لا يكذبوا عنده
خير . وكان يكتب إلى عماله : اجنبوا الأشغال عند حوض الصلاة . فإن من أضافها فهو لما سواها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعدة إلى العامل من عماله فينتزع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تنتفع موعدته منه ، وذلك أن الموعدة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعد . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسنة ولو تفصيلاً ذلك لطال هذا الفصل ، ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة فصبها القيامة ، فيلها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرة . وكتب إلى آخر : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خالد الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانهطاع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

﴿ فصل ﴾

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا ، حتى أنه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعم في الخيل والمأكول والمشاع ، حتى أنه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعين ديناراً في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، مات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان يمد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفرواة الغليظة ، وكان سراجده على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يكن شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالي بشيء من النعم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بعبادتها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ أيس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروحته ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها وجعل

يروحها ويقول : أصابك من الطر ما أصابني ، وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً ، فقال : بل جزى الله الاسلام عني خيراً ، ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحة غليظة من شعر ، و يضع في رقبته غسلاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وشمه في مكان وختم عليه فلا يشرب به أحد ، وكانوا يظنونونه مالا أو جوهراً من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غل ومصح .

وكان يبيكي حتى يبكي الدم عن البسوع ، ويقال إنه نكس فوق سطح حتى سال عنه من المازب ، وكان يأكل من السمسم ليرق قلبه ، ولما رزق دمه ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله ، وقرأ رجل عنده (وإذا أتوا منها مكانا ضيقا مقرنين) الآية ، فيبكي بكاء شديداً ثم يتم فدخل منزله وتفرق الناس عنه ، وكان يكثرون أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كل في صلاحه صلاح لأمة محمد ﷺ ، وأهلك من كان في هلاك صلاح أمة محمد ﷺ . وقال : أفضل العباد أداء الفرائض واجتناب المحرم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبالواغظون والسامعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عبادة أولياء الله ، وولاية أعداء الله ، وما الأولياء فموتهم وأحرقتهم ، وأما الأعداء فموتهم وشقتهم وأبعدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من غلب من المراء والغضب والعاطس . وقال لرجل : من نسب قومك قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تنسب . وقال : أهد الناس في الدنيا على بن أبي طالب . وقال : لقد برزنا أمية في ساحة أكثر فيها سؤال دية ، وأدلى : منع . وقال : قيدوا العلم بالكتاب ، قال لرجل : علم بملك الفقه الأكبر : الشناعة وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فاعسن فقال : هذا هو السحر الحلال . وقصته مع أبي حازم : فلو أنه حين رأى خليفة وقد شجب وجهه من النقش : وتغير حاله ، فقتل له . ألم يكن نوبك قتيلاً ، ووجهك وضياً ، وطعامك شيباً ، ومركبك وطياً ؟ فقال له : ألم تنهني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن من رءائكم عقبة كنود لا يجوزها إلا كل ضامر بهزول » ، ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفلق فذكر أنه اتقى في شيد تلك أن القبانة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة . ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى فمؤمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمرهم فأخبره ، ثم قال السائل : فمن أنت ؟ قال : أنا أبو داود بن يوسف ، فتابعني في بكل قتلة قتل ، ثم ها أنا أنظر ما ينتظرونه الواحدون . وفشا الله وما كثر من كثرته ، وفيها ذكرنا كثرة والله الحمد والمناجحة ، وحيم حسيداً وأعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(ذكر سبب وفاته رحمه الله)

كان سببها السلي ، وقيل سببها أن مولى له محمد في سام أو شرب ، وأدلى على ذلك أن

دينار ، فجعل له بسبب ذلك مرض ، فأخبر أنه مسموم ، فقال : لقد علمت يوم سقيت السم ، ثم استدعى مولاه الذي سقاه ، فقال له : ويحك !! ما جعلت علي ما صنعت ؟ فقال : ألق دينار أعطيتها ، فقال : فأتاها ، فأحضرها فوضعها في بيت المال ، ثم قال له : اذهب حيث لا يراك أحد قهلك . ثم قيل لعمري : تدارك نفسك ، فقال : والله لو أن شغفائي أن أمس شحمة أذني أو أوتني بطيب فأشمه ما فعلت ، فقيل له : هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشئ فانهم فقراء ؟ فقال : (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) والله لا أعطيهم حتى أحد وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح فإنا كنت لأعينه على فسقه . وفي رواية فلا أبالي في أي وادهاك . وفي رواية أقادع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكاً فيما يعمل بعد الموت ؟ ما كنت لأفعل . ثم استدعى بأولاد فودعهم وعزاهم بهذا : وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال : انصرفوا عصمكم الله وأحسن اخلاقكم عليكم . قال : فلقه رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله ، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتساطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز ، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل ، وسليمان وغيره إنما يكافون أولادهم إلى ما يدعون لهم ، فيضيئون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قيل لعمري بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة ، فإن قضى الله موتاً دفنت في النهر الرابع مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ، فقال : والله لأن يستدني الله بكل عذاب ، إلا النار فإنه لا صبر لي عليها ، أحب إلي من أن يعلم الله من قلبي أني لذلك الموضع أهل . قالوا : وكان مرضه بدمر سمعان بن قري حصى وكانت مدة مرضه عشرين يوماً ، ولما احتضر قال : أجلسوني فأجلسوه فقال : ألقى أنا الذي أمرتني فقهرت ، ونهيتني ففعلت ، فلا أنا ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحد النظر ، فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، فقال : إني لأرى حضرة ماعز بن انس ولا جان ، ثم قبض من ساعته . وفي رواية أنه قال لأهل : اخرجوا عني ، فخرجوا وجلس على الباب . سمعت بن عبد الملك وأخته فاطمة ، فسمعه يقول : سرحنا بهذه النور التي ليست بوجود انس ولا جان ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة لله) ثم هذا الحديث فدخلوا عليه فمسيهوه قد فاض وسوى إلى القبلة وتجهض .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسمعت صمغاً بأحسن كتاب

فقرأوها فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساکر في ترجمة عبد السميد بن إسماعيل بسند عن عمير ابن سبيب السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم يشرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذالة ابنة مثل الشمس ، فمرضها على أن يقاتني لسمته وأدخل معه في دبره فأبيت ، وعلقت في ابتداء فمررت نفسها على فامنت ، فقالت : ما يمنعك من ذلك ؟ قلت : يمتني دبري ، فلا أترك دبري لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سر على هذا النجم بالليل إذا كان بالنهار ، فانه يلقيك إلى بلادك ، قال : فسمت كذبا ، قال فيئد أنا في اليوم الرابع مكن إذا بجعل مقبلة خشيت أن تسكن في طلي ، فاذا أنا بأصحابي الذين قالوا زعمهم آخر من على حواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ قلت : عمير . فقلت : لهم أليس قد قتلتهم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا . فمنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عمير ، فأردفني فمسرنا يسيرا ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون الحنفي شرب . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أئسده وأكفنه ، فاذا حلت ساعة السكون أن أنظر في وجهه فادلى ، ففعلت فاذا وجهه مثل القراطيس بيضا ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفته قبله من الخلفاء وكان يحل عن وجوههم فاذا هي مسودة . وروى ابن عساکر في ترجمة يوسف ابن مارك قال : بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فافقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن مارك عن كره ، وفيه شهادة شديدة والله أعلم . وقد وثقت له منامات سالحة ، وتأسف عليه أناسا والعلماء والاساقفة والسلاة والزهاد والعباد . ورتاه الشعراء ، فمن ذلك ما أنشده أبو عمر الشيعي في كثير من عمر بن عمر :

عمت صنائعهم فمهم هلاكهم فالتاس فيهم كاهم ما جاور
والناس منهم عليه واحد في كل دار رقة ، زفير
يتلى عليك لسان من لم نوله خيرا لأنك بالثناء يندرج
ردت حسنة عليه حبيته فلكأنت من أمة عا شوق

وقال جرير يرقى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : —

يضي النعمة أمير المؤمنين لسانا يا خير من منح بيت الله واسمرا

جاءت أمراً عظيماً فاضطربت به ، وسرت فيه بأمر الله يا شعرا
الشمس كالمسقة ليست بطالفة ، تيمكي عليك نجوم الليل والقمر
وقال محارب بن دثار رحمه الله يرقى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : -

لو أعظم الموت خلقاً أن يراقبه * لعادله لم يصيبك الموت يا عمر
كم من شريعة عادل قد نهشت لهم * كادت تموت وأخرى منك تنظف
يا لطف نفسي رافق الواجدين معي * على المدلول التي تاملها بالبر
ثلاثة حارات عيني لهم شهباء * انضم أعظمهم في المسجد الحنفر
وأنت قههم لم تأل مجتهداً * ستيا لنا سنن بالحق تهتفر
لو كنت أملك والاقدار غالبة * تأوى رواحا وتبيناها وقد كر
سرفت عن غير الخيرات مصرعه * بدير سمعان لكن ينسب القدر

قالوا : وكانت يد يرسمان من أرض خمس ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة خمس مضمين ، وقيل
بقين من رجب ، وقيل له شر بقين منه ، ستة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة
ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،
وكان عمر يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بستة ،
وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل
ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، ولم يبلغها . وقال أحمد بن عبد الرزاق
عن حمير : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول
تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،
وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه جسد خفيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بوجهه أثر شجرة
وكان قد شاب فحجب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

فصل ٤

لما إلى عمر بن عبد العزيز خلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحرية على عادته مع
الخلق قبله ، فقال له عمر : مالي ذلك : اتع عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه
حتى دخل المسجد ، فجمع المذنب واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس إني قد ابتدأت بهذا الأمر
عن غير رأيي فإني فيه ، فلا طلبية له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم
من ديني ، فأخبروا الأئمة والأمر لم من تريدون . فسلح المسلمون سيوفهم بالحدود : قد اخترناك

لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم - حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف عن كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتابها ولا في نبينا ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وحببت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل قصر بالستور فنهكت والسياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يتبعوا متبعين ، فأتاه ابنه عبيد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قال : تعيل ولا ترد المظالم إلى أهلها ، فقال : إني سمهرت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : أدن مني أي بني ، فدننا منه فقبل بين عينيهِ وقال : الحمد لله الذي أخرج من صليبي من يعصني على ديني . ثم قام وخرج وترك القائلة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلمة فليرفسها ، فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : المباس بن الوليد بن عبيد الملك اغتصبني أرضي . والمباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمي ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فاردد عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فاردفت إليه مظلمة لإردوها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بشير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئاً ، فأتوا عتبه فاطمة بنت مروان - وكانت عمه - فشكوا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويستقصون عندهم ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرهونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثها ، فראها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ فقالت : بنو أخي عبيد الملك وأولادهم يهانون في زمانك وبلايتك ، وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويسبون عهذتك فلا تتذكر ، فضحك عمر وعلم أنها متحملة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والعنقب لا يمتحن عنها ، فلما رأى ذلك أخذ منها في الجدة ، فقال : يا عمه ! أعلم أن النبي ﷺ

(١) في الأصل من أهل حمص - وسجدة من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صفحة ١٠٤

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستمقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعده ذلك الرجل رجل آخر فلم يستمقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر ففكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وإيم الله لأن أبقاني الله لأردته إلى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يسبوا نفسك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظالمه فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسعدة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فإذا عليه قيض وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تسبوا قيض أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قيض غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم الهيرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصرف الخصال من بين يدى الله ، فريقي في الجنة وفريقي في السير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسأله أنفه حتى وضع ، فقبل له في ذلك قتال : وهل ينفع من المسك إلا بريحه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفقية . وكان عمر بن عبد العزيز يمثّل كثيراً بهذه الأبيات : —

يرى مستكيناً وهو لا قول ، ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغل
وأزعجه علم عن الجهل كله * وما عالم شيئاً كان هو جامل
عبوس عن الجهال حين يراهم * فليس له منهم خدين يهزل
تذكر ما يبتى من العيش فارغوى * فأشغل عن عاجل العيش آجل

وروى ابن أبى الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى وهو ينشد شعراً ، فأنتهى في شعره إلى هذه الأبيات : —

فكم من صحيح بات للموت آمناً * أنته الدنيا بغتة بعد ما شمع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة * فراراً ولا منه بقوة امتنع
فأصبح تبكيه النساء متنعاً * ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من حشد فصار مقبل * وفارق ما قد كان بالأس قد جمع
فلا يترك الموت الفنى لله * ولا ممدماً في المال ذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة ، أتاه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد يا أمير المؤمنين ! إن هذا المرأى - يعني عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودرهمين ، في بيتين في داره مملوئين ، وهما مفعولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغني أن عمر خلف جوهرًا ودرًا في بيتين مفعولين . فأرسلت إليه : يا أخي ما ترك عمر من سبد ولا لبد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فخله فوجد فيه قميصا غليظا مرقوعا ، ورداء قشبا ، وحبية محشوة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد لارسل : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلت تقول له : والذي تجعني بأمر المؤمنين ما دخلت عشرين البيتين منذ ولي الخلافة ، لم أرى بكرهته لذلك ، وعنده مفاتيحهما فتعال فحول ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد و معه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من آدم وأربع أجرأت مبسوطات عند الكرسي ، وقدم . فقال عمر بن الوليد : استغفر الله ، ثم فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجداً مفروشا بالحصا ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبتها ، وربما كان يضربها إذا نسي شيئا يشام ، ووجدوا صندوقا مقلدا ففتح فوجدوا فيه سبطا فتمنحه فإذا فيه فراشة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : يرحمك الله يا أخي ، إن كنت لنتي السريرة ، نقي الملاينة . وخرج عمر بن الوليد وهو مخشع وهو يقول : استغفر الله ، إنما قلت ما قيل لي .

وقال رجاء : لما احتضر جمال يقول : اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب لما عملت تأخيرا ، ولا لما أخرت تمجيلا . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت ومالي في الأمور هوى إلا في مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمرو بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة : أما بعد يا عمر فإنه قد ولي الخلافة والمالك نبلك أقوام ، فأتوا على ما قد رأيت ، وأتوا الله فإدى بهد الجوع والخفة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذي كانوا منه يفرّون ، فانهقات أعينهم التي كانت لا تنفأ تظفر لذاتها ، وانفذت رقابهم غير مومنين بعد ابن الوصائد ، وتظاهر الفرس والمرافق بالسرور والخدم ، وانشقت بطونهم التي كانت لا تشيع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا يجيئون بعد طيب الروائح العطرية ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين من كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، وانفرت منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من العليب والثياب الفاخرة الآتية ، كانوا يشقون الأموال إسرافا في أغراضهم وأهوائهم ، ويقترنون في حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتبون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتين بشئ فافعل ، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك عي قليل بسائم * ولو كثرت أحراسه ومواكبه

ومن كان ذاباب شديد وحاجب * فما قليل يهجر الباب حاجبه

وما كان خير الموت حتى تفرقت * إلى غيره أعوانه وحبابه

فأصبح مسروراً به كل حاسد * وأسلمه أصحابه وحبابه

وقيل إن هذه الأبيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وهو عظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقالت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فاني أرجو أن يمن الله به علي من سمعه أو بلغته ، فقال : إليك عني يا أبا أوب ، فان في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالؤمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواءاً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، فأنهم الله ، أما كانوا يعيشون على القبور ! : وروى عبد الرزاق قال : سمعت ممرأى يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : وبلغه عنه بعض ما يكره : أما بعد فانه غرت بك جمالستك القراء ، وعجاستك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت العلانية فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فمالك لزوم السنة ، فانه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحق والخطأ والتميق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإنما كان علمهم على الأئمة ، ولو كان فيها يحملون أنفسهم فضلى لسكانوا فيه أخرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد

قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون ففلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز ، ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة ومحبة ما كان عليه الصعابة ، من الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيب البغدادي عن طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سميد بن أبي مرجم عن رشيد بن سميد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : من رسول الله ﷺ وخلفاؤه بعده سنننا ، الأخذ بها تمديدك الكتاب الله ، واستعمال طاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأي من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خلفها واتبع خير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاد جهنم وساءت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فتنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعدل لذلك ويستبد له أحق ، والمكذب له كفر . ثم تلا قوله تعالى (ألا إنهم في مرة من لقاء ربهم) وقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بئس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيبا لم يعرف النية ^(١) - أولم تدخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الزكاة والبكاء ، عن مولى عمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قبيد غفلات عن ربك عز وجل ثم أطعته ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل من الناس ولا يفهمون عني ، فقل له مولد : رأيك البارحة بكيت بكاء ما رأيك بكيت مثله ، قال فبكيت ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشي عليه فلم يفق حتى علا النهار ، قال : فما رأيته بعد ذلك منبها حتى مات .

وقرأ ذات يوم (وما تكون في شأن وما تأمل منه من قرآن ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائه ، فجاء ابن عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبا ماريك ، فقال : يا بني خير ، ودأب لك أنه لم يعرف الدنيا فلم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله المنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز

(١) كنا بالأصول والظاهر أن فيه نقصا .

خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، وراءه حبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمكم الله ، حتى صعد المنبر فخطب قتراً (إذا الشمس كورت) فقال : وما شأن الشمس (وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت) فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلثمائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقها حتى تخرج أعطيات المساكين فتأخذ منهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين أذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشمل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن عادلك بأذربيجان عبداً عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شائبة ، فجملت أصطلى على كائوت هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلى معي على ذلك الكائون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قص عليّ ، قلت ما أنا بقاص ، فقال : تكلم ، فقلت زياد ، فقال : ماله ؟ فقلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكائون .

وقال له زياد العبدى : يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف وأعمالها في المخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ما حاله ؟ قال : سيئ الحال ، قال : فان كانا خصمين ألدن ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فان كانوا ثلاثة ؟ قال : ذلك حيث لا يهتبه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فان من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويغشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحوالهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فمن انتبه فلا ينتبه إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله عما حرم ، فانا من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استعنف بما حرم الله عليه فآله أشد عقوبة له وأشد تسكيلا ^(١)

﴿ خلافة يزيد بن عبد الملك ﴾

بويع له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أغنى سنة إحدى ومائة - بإيعة الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فمزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولي عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فحرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة أخيه حين فيها

وفيها كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جنود الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تنكسرهم ، فنادموا بينهم فطعنوا الخوارج طعنًا عظيماً ، وقتلوا عن آخرهم ، فلم يبقوا منهم نائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب ليلحق يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتل طويل ، فلما ظهر عليها بسطام المدل في أهاليها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى ابن أوطاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمارة أئى بعدى بن أوطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإني كنتي وأنت تثل كما يثل العبد . فقال عدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك : وأن من ورأى طالبا لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أدية بالشام ، ولا يتركوك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأموالهم ، فقلب الاقالة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواباً ، وقال : ثم سجنه كما سجن أهله ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان . ومعه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خيرة الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمه بين يدي عمه مدرك بن عبد الملك ، وهم في جنود الشام . فقدم بن البصرة لقتله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليه أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء ، فيما ذا يعتمد ؟ فاختاروا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رؤس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن تجعلوني طائراً في رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها بأحسن حصن فيها ، ويجمع

عليه أهل الجزيرة فيقتاتل بهم أهل الشام ، واستلخت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصده .
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحك بن قيس أمير المدينة ، وعلى هككة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى
قضاها عامر الشامي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب . قد استمخوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد
ابن عبد الملك . وفيها توفي عمر بن عبد العزيز ، ورأس بن حراش ، وأبو صالح السمان وكان عابداً
صادقاً ثبته ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين ومائة ﴾

فيها كان اجتماع مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من
واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ،
حتى بلغ ، كانا يقال له العقر ، فالتقى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد
التقت المقدمةان أولاً فافتنوا قتلاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تماس أهل الشام
فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً
مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل . قتل في ذلك الفرزدق : -

نبكى على المنتوف بكر بن وائل * وتنبى عن ابني مسمع من بكاهما

فأجابته الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي
ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد : -

نبكى على المنتوف في نصر قومه * وليتنا نبكى الشائد بن أباهما

أرادا فناء الحى بكر بن وائل * فسر تميم لو أصيب فئسهما

فلا نفيا روحا من الله ساعة * ولا رقات عيننا شحى بكاهما

أفى الغش نبكى إن بكينا عليهما * وقد نفيا بالفش فينا رداهما

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطب يزيد بن
المهلب الناس وحرّضهم على القتل - يعنى قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ،
وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أن
لا يعاد الجنود بالأدهم ، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، ومن بايعنا على ذلك قبلنا
منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة .
وينهاهم أشد النهي ، وذلك لما وقع من القتال الطويل العريض في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب

ذلك من النفوس المدينة ، وجمال الحسن يخطب الناس ويظهرهم في ذلك ، وبأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبيد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي سولم يسمه - يثبط الناس ، أما والله ليكنن عن ذلك أولاً فممان ولا فملن ، وتوعد الحسن ، فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرهني الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجدت تبارز الناس قليلاً ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فر أهل العراق سريراً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهم ساءوا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ، ولم يكن من الأمر ما يفتر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : قبحهم الله ، ثم رام أن يرد المنزعين فلم يمكنه ، فثبت في عصابة من أصحابه وجمال بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شردة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتصاورون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب . فازداد حنقا وغضباً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السمينع ، وكان من الشجمن ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له القميل بن عياش ، فقتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستحوذ مسلة على ما في مسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلة فنزل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عهد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . عدى بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبد الملك ابنا مسيع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة معه الخزان من الأموال ، وجاء معه عمه المفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن وتجهزوا ثم الجهار واستعدوا للهرب ، فساروا يسلمهم وأتباعهم حتى أتوا جبال كرمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعة من قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقتلوا عليهم المفضل بن المهلب ، فأرسل مسلة جيشاً عليهم هلال بن ملحور المخاري في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمروا عليهم رجلاً يقال له مدرك بن ضب السكابي ، فلاحقهم بجبال كرمان فاقبلوا غشاك قتلاً شديداً ، فقتل جماعة من أصحاب المفضل وأسر جماعة من أشرافهم والمنزعين بقيتهم ، ثم لحقوا المفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخفوا لهم أماناً من أمير الشام

منهم ملك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأثقال والأموال والنساء والذرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث مسلمة بالرؤس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحلف مسلمة بن عبد الملك لبيهم ذراري آل المهلب ، فاشترهم بعض الأمراء إبراراً لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وخلي سبيلهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك إلا مير شيئا وقد رثا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

﴿ ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان ﴾

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستجاب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان ختله - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بفخذية ، فسار إليها فخرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالا من كان ينوب لآل المهلب ، وأخذ منهم أموالا جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

﴿ ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين ﴾

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشا إلى الصفند لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم فائب سمرقند - وهو عثمان بن عبد الله بن مطرف - على أن يمين ألفا ، ودفع إليهم سبعة عشر دهنقا رهائن عندهم ، ثم نذب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [خطبهم] فحثهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقى في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غالق جيش الأتراك ، وهم محاصروا ذلك القصر ، وقد عزم المسافون الذين هم فيه على قتل أسائهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يشبههم يومهم ذلك ، فثبثوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جعلوا شعارهم يا محمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وهربوا دواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلوا قتالا شديدا ، حتى فر أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالا عظيما ، والتفت الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يبارون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب :

أن لا تتبعوا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهل : فاحتلواهم وساروا مائى ميسر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وأنصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المساهين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الغد فلم يجدوا به داعياً ولا مجيباً ، فقتلوا فى أنفسهم : هؤلاء الذين اقونا بالأمس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفى فيها من الأعيان والسادة :

(الضحاک بن سراجم الهلالي)

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون يبلخ وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاک إماما فى التفسير ، قال الثوري : حدثوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاک ، وقال الامام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضميماً . وذكره ابن حبان فى الثقات . وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وجمعت به أمه سفتين ، ووضعته وله أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

(أبو المتوكل الناجي)

اسمه على بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر . مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى (ثم دخلت سنة ثلاث ومائة)

فيها عزل أمير المراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خديجة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجريشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفا شديداً ، وتقهقروا من بلاد الصغد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاک بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرم عبد الرحمن ابن الضحاک بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

(يزيد بن أبي مسلم)

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد القاص المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، ووفقه غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفى سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفى قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

﴿ مجاهد بن جبير المكي ﴾

أبو الحجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطاؤوس ، وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركابي وقال : وددت أن ابني سالما وغلامي نافعا يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين ، أقفه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثلاثين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

[﴿ فصول ﴾]

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمرو وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجهدا يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامن إلا على وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) قال : يسلم عليه إذا لقيه وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبه عن أبي أمامة عن الأعشى عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئا ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولا . وروى ابن أبي شيبه عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحا . وقال : فلا أنفسهم يهدون . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عتبة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بلغوا أرواف الحرم دخلوا ثم دخلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : (يا مريم اقنتي لربك) قال : اطأبي الركود . وفي قوله تعالى : (واستغفر من استغفرت منهم بصوتك) قال المزاهير . وقال في قوله تعالى : (أنكالا وججيا) قال : قيود . وقال في قوله : (لا حجة بيننا وبينكم) قال لا خصومة . وقال : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال : عن كل لذة في الدنيا . وروى أبو الليث عن جرير ابن عبد الحسيب عن منصور عن مجاهد . قال : من إبليس أربع رنات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحيث بث النبي ﷺ وحيث أنزلت (الحمد لله رب العالمين) وأنزلت بالمسيرة . وكان يقال : الرنة
والخبرة من الشيطان ، فلما من رن أو نخر . وروى ابن نجيب عنه في قوله تعالى (أتنبئون بكل
ربيع آية تعبثون) قال : بروج الحسام . وقال في قوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) قال :
التجارة . وروى ليث عن مجاهد قال (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال : استقاموا فلم
يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي عمير عن طلق بن عمار عن مصرف عن مجاهد
(ولم يكن له كفوا أحد) قال : صاحب . وقال ليث عن مجاهد قال : الكلمة التي كلمت سليمان كانت
مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيب عن مجاهد . قال : كان الغلام من قوم عاد لا يحلم حتى يبلغ
مائة سنة . وقال : (سأل سائل) دعا داع . وفي قوله (ماء غدق انفسهم فيه) حتى يرجعوا إلى عالمي
فيه (لا يشركون بي شيئا) قال لا يحبون غيري . (الذين يتكبرون السيئات) قال هم المراءون .
وفي قوله تعالى : (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) قال عمر الذين لا يدرون أنهم
الله عليهم أم لم ينعم . ثم قرأ (وقد كرهم بأيام الله) قال : أيام نعمه ونعمه . (فردوه إلى الله والرسول)
فردوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سلفه . (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة) قال : أما الظاهرة فلا سلام والقرآن والسنة والرزق ، وأما الباطنة فبما ستر من الميوس
والذنوب . وروى الحليم عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأيت خطبا
جزلا فقالت الغلام ساميان : هل يعرف مولايكم ؟ زن دخان هذا الخطب ؟ فقال الغلام : دعى مولاي
أنا أعرفكم وزن دخانه ، فكيف مولاي ؟ قالت : فكم وزنه ؟ فقال الغلام : هو وزن الخطب ثم يحرق
الخطب ويوزن وماذا فدا نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : (ومن لم يقب فأولئك هم الظالمون)
قال : من لم يقب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم يقضى من الدنيا إلا قال
ذلك اليوم : الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأشأها ، ثم يطوى عليه فيعظم إلى يوم القيامة ، حتى
يكون الله عز وجل هو الذي يقض دخانه . وقال في قوله تعالى : (يوفى الخسرة من يشاء) قال : العالم
والعند ، وقال إذا دلى الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)
قال : البدع والشبهات . وقال : أفضل العبادة التي الحسن . يعني اتباع السنة . وقال : ما أدرى أي
المتعدين أفضل ، أن يداني الإسلام ، أو ينافي من الأهواء . وقال في رواية : أو الأمر منكم ،
أصحاب محمد ، وربما قال : أبو العقل والمفضل في دين الله عز وجل (يا مناعوا فارسا) قال السريته .
(ويضاق بالآل المعادن) . قال : السهم في الثياب . (ومن الله فقام بني) قال : الأخراس . (حفيّا) قال
رحيّا . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد . قال : لو أن رجلاً أتفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى (وهو شديد المحال) قال : العداوة (بينهما برزخ لا يبغيان) قال : بينهما حاجز من الله فلا يبغي الحلو على المالح ولا المالح على الحلو . وقال ابن منبه : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمع بأحجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بشر برهوت . قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها وال صديق لمجاهد : فقبل مجاهد : تعرض علي هاروت وماروت ، قال : فدنا رجلا من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجراً ثم قال : خذ رجلي ، فهو بي حتى انتهى إلى حوطة ، فاذا هما مملكتين منكسين كالجليلين العظيمين ، فدا رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطربا فكان الدنيا قد تدكنت ، قال : فمشى على وعلى اليهودي ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كنت أن تهلك نفسك وتهلكني .

وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر ، بالغنى ، والمرضى ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للغنى : ما شغلك عن عبادتي التي إنما خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكثر لي من المال فطقت . فيؤتى بسلامان عليه السلام في ملكه فيقول لهما : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فإن هذا لم ينعمه ما أوتي من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرضى فيقول : ما منعك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أنت كنت أشد ضرا ومرضا أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضربه ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت على أربابا فملكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رقه وعبوديته فيقول الله له : أنت كنت أشد في رقتك وعبوديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فإن هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي . وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أردت أن أركب مراكبي ، فاذا ركبت سوى علي شابي فرآني مرة كأي كرهت ذلك في ، فقال : يا مجاهد إنك لضيق الخلق ، وفي رواية : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدعه فيكون يخذني .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جعلت الأرض الملك الموت مثل العاست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للنماء . وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد . (وياهمم اللاعنون) قال : تلصص عصاة بني آدم دواب الأرض وما شاء الله حتى أحيات والمقارب ، يقولون : منما القطر بذنوب بني آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في قبورهم ولما كان ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم ، فتلصص الحشرات من المقارب والحيات هي السميات التي كانوا يملأونها في الدنيا ويستلذونها ، صارت غذاء عليهم . نسال الله العافية . وقال : (بن الإنسان لربك كنود) لكفور . وقال الإمام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن ذروق : حدثنا شعبة عن الحسن بن الحسن بن مجاهد . قال (فظن أن لن نقدر عليه) أن لن نعاقبه بذنبه . وهذا الإسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى سمعتها في قراءة عبد الله بن عيسى . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خزيمة عن ليث عن مجاهد : إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده . قال : وبلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى المؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بخير . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله تعالى (وتطاعت بهم الأسباب) الأصول التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : (لا يقربون في مؤمن إلا ذمة) قال : إلا الله عز وجل . وقال في قوله تعالى : (بقية الله خير لكم) طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى : (ولن خاف مقام ربه جنتان) قال : هو الذي يذكر الله عند الهم بالعلماء . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : (سيأثم في وجوههم) الخشوع . وفي قوله تعالى : (وقوهوا لله فأنتم) قال الثوري والبخاري والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رغبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقاب الخضا أو يمشي بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا . إلا خلتها مادام في صلاته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو حدثنا ابن إدريس حدثني عتبة بن إسحاق وأثنى عليه خيراً . حدثنا ليث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت العرب استعفتها وجنتها من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة السكف ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قبض هكناً . وضم الخضر حتى ضم أصابعه كلها أصبعاً أصبعاً . قال : ثم يطبع ، فكأنوا يرون ذلك الزمان : قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وروى قتيبة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : (إلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) قال : الذنوب تعبط بالقلوب كالحائط المبني على التراب المحيط ، فلما عمل ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب حتى تكون هكناً . ثم قبض يده . ثم قال : هو الزمان . وفي قوله : (بما

قدم وأخر) قال : أول عمل السبد وآخره (و إلى ربك فارغب) قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فمهمت إلى الصلاة فأجمل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور عن مجاهد (النفس المطمئنة) قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربهما وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبيد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه : إن كان من أهل الذكر فن أهل الذكر ، وإن كان من أهل اللهون فن أهل اللهون . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يعجزني ابن آدم فإن يعجزني من ثلاث خصال : أخدمال بشيرتي ، وإفراقه في غير حق . (١)

وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حر عندك قد ضل حمارة فرسهم . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . قال شعبه عن الحكم عن مجاهد قال قال لي : يا أبا النازي كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأبسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي شيبة عن ليث عن مجاهد قال : ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياء منه ينمعه من المساوي لكان في ذلك خير . وقال : الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه ، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : (وثيابك فطهر) قال : عمالك فأصلح . (واسألوا الله من فضله) قال : ليس من عرض الدنيا . (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للعبد إني معك ما اتبعني ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك . (ولا تنس نصيحتك من الدنيا) قال : خذ من دينك لا آخرتك ، وذلك أن آمول فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحصير عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أي حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقة من حلال ، فقد كرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال فماذا يضره قلة عقله ؟ فقال : يا أبا حجاج ، سألتني عما سألت عند رسول الله ﷺ فقال : « والذي نفسي بيده ما أطاع العبد الله بشيء أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبده ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً فاق المجتهد في العبادة ، كان ما يفسد أكثر » (١) كذا بالأصل . . .

فما يصلح . قلت : ذكر العقل في هذا الحديث ورضه إلى النبي ﷺ من المنكيات والموضوعات ،
والثلاث انحصال موقوفة على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس
صدق ، والباقي لا يصلح رفعه إلا وقفه ، وداود بن الجبر كذبت أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث به قناد
عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة ، حدث بها عن الطائفة بن أبي أسامة ، وله كتاب العقل ،
وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله ﷺ ، وذكر العقل في غيره في هذه الرواية
لأنه من جهتها ، والله أعلم . وقد كذب أحمد بن حنبل ^(١)

بإعصاب بن سعيد بن أبي قحاص :

تأبى جليل القدر . موسى بن طلحة بن عبيد الله الحبشي ، قال يلقب بالمعنى الصلابة ، قال
تأبى جليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

ثم دخلت سنة أربع مائة :

فيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الهند وسامير أهل خيبرية وقتل خلقا
كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة . وأمر رقيقا كثيرا أجبا ، وأتسب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك ،
لأنه هو الذي ولاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الخرمين عبد الرحمن
ابن الضحاك بن قيس ، وكان سعيد أنه ضارب طاعة يزيد الخرمين فاستدعت من يقول ذلك ، فألق
عليها وتوعدوا ، فأرسلت إلى يزيد تشكرا ، وفيه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب
الطائف فولاه المدينة ، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسبح مائة أمير المؤمنين
وهو متكئ على فراشه يمشي ، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن وكب
إلى دمشق واستجار بمسدة بن عبد الملك ، فدخل على أخيه فقال : إن لي إليك حاجة ، فقال : كل
حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك ، فقال نعم والله طعني ، فقال : والله لا أقبلها ولا
أعقر عنه ، فردد إلى المدينة فأسلمه عبد الواحد ، فجلس به وأخذه ، والله حتى تركه في جيرة سوق ، فسأل
الناس بالمدينة ، وكان قد باشر زيارة المدينة ثلاث سنين وأشهر ، وكان الزعم في هذا أشد عليه برأى
سعيد ، وهو أن يسأل الملوك إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل ، ولم يفعل . فأبغضه الناس ، فذهبت الشراء
ثم كان هذا آخر أموره

وفيها عزل عمر بن عمرو سعيد بن عمرو الحرشي ، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة ،
فلما عزله أحضره بين يديه بطيخة وأكسبه منه أمالا كثيرة ، وأمر بقتله ثم دفنه عنه ، وعلى علي
خراسان سليم بن سعيد بن أسلم بن زينة الكلبي . فاستأجر إليها فاستخلص أموالا كانت منكمرة في

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصنف وفي بعض النسخ لم يرد إلى صوابه

أيام سميد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحسكي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وخراريسم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر ، وأجلى عامة أهلها ، والتقى هو والحقان الملك فحرت بينهم وقمة هائلة آل الأمر فيها إلى أن انهمز خلقان ، وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصى . وحينئذ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سميد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

(خالد بن سديد السكلاعي)

له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين المحدثين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في مراد الحق ، قلب الله تلك الحمد عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عينا في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينا في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بالعبد خلافا ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا يفتفع ، فإذا نظر بقلبه نفخ : وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى (١)

(عمار بن سعد بن أبي وقاص البجلي)

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

(عمار بن شراحيل الشعبي)

توفي فيها في قول (كان الشعبي من شجب همدان ، كنية أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافضا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة ، وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضا روى جماعة من التابعين ، قال أبو جعفر : ما رأيت أقف من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ما ضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي ههنا حتى أفيذك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا أعلم فقل : الله أعلم ، فانه

علم حسن . وقال : لو أن رجلاً سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من سفره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لو رأيت سفره عقوبة وضياعا وقال : أعلم أكثر من عدد الشجر ، نخلة من كل شيء أحسنه (١) .

(أبو بردة بن أبي موسى الأشعري)

تولى قضاء الكوفة قبل الشامي ، فان الشامي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، وأما أبو بردة فإنه كان قاضياً في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة قاضياً حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة .

(أبو قلابة الجرمي)

عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة من جملة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب القضاء فرب منه ولحق به ، قدم الشام فازل دارياً وبها مات رحمه الله . قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكن هلك ما تحدث به الناس ، فلمل غيرك ينفع ويستغنى وأنت في الظلمة تتمتع ، وإنى لأرى هذه المجالس إنما هي مناهج البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تذكره فاقبس له عذراً جهلك . فإن لم تجد له عذراً فقل : لعل لأخي عذراً لا أعلمه (٢) . (ثم دخلت سنة خمس ومائة)

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحسكي بلاد العراق ، وفتح حصونا كثيرة ، وبلاداً مقبلة الأكناف من وراء بلخ ، وأصاب غنائم جمّة ، وسبي خلقاً من أبلاد الأتراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصفد ، فصالحه ملكها على مال كثير يحمله إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً . وفيها شمس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وعنه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، قيل إنها دفنت بقر عاتكة فاسميت الخلة إليها (٣) . والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بم عهد من أخيه سليمان . أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، لحس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان حدثني الزهري قال : كان لأبي بكر السكاف ولا السكاف في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلفاء معاوية وقت المسلم من السكاف . ولم يزل السكاف من

(١) (٢) (٣) زيادة من المصرية (٣) قبر عاتكة محقة من شملات دمشق معروفة . بهذا الاسم إلى اليوم

المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبمه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ سنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فمعنا أن نوسم له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، ينعم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من محاسبة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأسي بعمر بن عبد العزيز ، فما ترك قرناه السوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال : ما يروا بسيرة عمر ، فكثرت كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيعياً فشهدوا له أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عتاب ، وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بهد جميع ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتي ، أما هذا فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بسيد فاني لا أراي إلا ملماً بي ، وما أرى إلا امرئ لا سيفضى إليك ، والله الله في أمة محمد ، فإني لما قليل ميت فتدفع الدنيا إلى من لا يفتنك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بان لك استبطنات حياته ونجس وفاته وورثت الخلافة ، وكتب في آخره

مضى رجال أن أموت * فلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * متى ما التبغى على بخله
منيته تجري لوقت وحده * يصادفه يوماً على غيره وعد
فقل للذي بقي خلاف الذي مضى * نبياً لأخرى مثلها وكان قد

فكتب إليه هشام : جعل الله يميني قبل يمينك ، وولدي قبل ولدك ، فلا خير في العيش بمالك

وقد كان يزيد هذا يحب حظيرة من حظائمه وشال لها حبابه ... بتشديد الباء الأولى ... والصحيح تخفيفها ... واسمها العالي ، وكانت بحيرة جداً ، وكان قد اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف . فقال له أخوه سليمان : لقد هدمت أحجر على يديك ، فباعها ، فلما أخذت إليه الخلافة قالت له امرأته ممددة يوماً : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : نعم ، حبابه ، فبعت امرأته فاشتريتها له وبستها فوجدت بها من وراء الستارة ، وقالت له أيضاً : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : لو ما أخبرتك ؟ فقالت : هذه حبابه - وأمر زبانه وأخلصها ونزكتها وإياها ... فحلبت الحلاوية عنده ، وكان ذلك زوجته أيضاً ، فقال يوماً اشتبى أن الخلو بحبابه في قصه مدة من الدهر ، لا يكون عندنا أحد ، ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابه ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له أنواع الفرش واللبط المذلل ، والخدمة الكثيرة السابعة ،

فبينما هو فيها في ذلك القصر على أسر حال وأنعم باله ، وبين يديه عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت ، فسكت أياما يقبلها وبرشها وهي ميتة حتى أنقست وجيفت فأمر بدفنها ، فلما دفنها أقام أياما عندها على قبرها دائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فإن تسل عنك النفس أو تسع الصبا * فباليأس تسلو عنك لا بالتجدد
وكل خليل زارني فهو قاتل * من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

ثم رجع فصار خرج من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل . وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهرا على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة . وقيل خمسا وقيل ستا وقيل ثمانيا وقيل تسعا وثلاثين . وقيل إنه بلغ الأربعين فأنه أعلم .

وكان طويلا جسيما أبيض مدور الوجه أفخم الفم لم يثب ، وقيل إنه مات بالجولان ، وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاما ثم خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان .

وبيع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه خمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فسماه منصور اتقاؤا لا ، ثم قدم فوجد أمه قد أسجدت باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه بالخلافة وهو بالديوثنة في منزل له ، فجاء البريد بالعصا والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فعزل في شوال عنها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ، وقيل إنه استعمله على العراق في سنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحنظلي ومي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواء حتى طلقها ، لأنها كانت حقة . وفيها قوى أمر دعوة بني العباس في العراق ، وحصل لدعوتهم أموال جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، وما هم بصدد . وفيها توفي من الأعيان :

(أبان بن عثمان بن عفان)

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، قال عمرو بن شعيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقہ ، وقال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدهم ، وخارجة بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . عامر الشعبي . في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

﴿ ثم دخلت سنة ست ومائة ﴾

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحزمي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقية عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الجراح الحسكي في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج . وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليلتقاه ويكتب له مناسك الحج ، ففعل ، فتلقيه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب ، فالعنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : فشق ذلك على هشام واستنقله ، وقال : ما قدمت لستم أحد ، ولا لعنة أحد . إنما قدمنا حجاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بمحادثته وما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فتظلم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظمئني ، قال : فالوليد ؟ قال : ظمئني ، قال : فسليمان ؟ قال : ظمئني ، قال : فعمرو ابن عبد العزيز ؟ قال ردها علي ، قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لضربتك ، فقال : بلى في مضرب بالسوط والسيف ، فأنصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عمرو القتيبي ، أحد الفقهاء وأحد العلماء | وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العباد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكمة فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سالم ؟ ^(١) سئلت حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سلم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسئلت حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم أن لا يملكها ؟ وكان سالم حشن العيش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يبالغ بيده أعضائه وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير .

(وطائوس بن كيسان البجلي) من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فلما طائوس فهو أبو عبد الرحمن طائوس بن كيسان البجلي ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طائوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثروا روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمر بن دينار ، وإبراهيم ابن ميسرة ، وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر ، والزهرى وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم . وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الحارثي وهب بن منبه ، والمغيرة ابن حكيم الصنعاني ، وعبد الله بن طائوس ، وغير هؤلاء .

توفي طائوس بمكة حنجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها رحمه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طائوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالخرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي ﷺ : « الايمان بمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، وهب وكعب وطائوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طائوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حج أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طائوس بالمزدلفة - أو يعني - حاجا ، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سيره . فما زالوا حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق (١) كذا بالأصل ولعل المراد بسالم .

قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقبل طاوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيتك
قال : مالي إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون : وقال ابن جرير قال لي
عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل
دونه حجاباً . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعدك
الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طاوس (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال : بعيد من
قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لي طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك ، فان الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد
عن الصلت بن راشد . قال : كنا عند طاوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ،
فسأله عن شيء فأنهره طاوس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذاك
أهون له علي . وقال طاوس : إن منزلك قد استرم ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس في قوله تعالى (وخلق الانسان ضعيفا) قال : في
أمر النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن
بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن أبيه قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس
فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف
بذروة هذا الجبل فتد من . فانظر أتعيش أم لا . قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربني
عيسى ، فاني أفعل ما شئت . وفي رواية عن الزهري عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ،
ولكن الرب يختبر عبده ، وفي رواية أخرى : إن العبد لا يبتلي ربه ، ولكن الرب يبتلي عبده .
قال : فخصه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حج الأبرار
على الرجال ، رواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو ثعلبة عن ابن أبي داود . قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صاوا
العصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى في الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم
يل مال يقيم لم ينله جهد البلاء . روى عنه أبو داود الطيالسي ، وقد رواه الطبراني عن محمد بن
يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبي داود فذكره . وقال لابنه : يا بني صاحب العتلاء
تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن
لكل شيء غاية . وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن
إني أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ . وفي رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال :
إني أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلمهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أيوب قال : سألت

رجل طاوساً عن شيء فأنهروه ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنق جبار ثم يطاف بي ؟ ورأى طاوس رجلاً مسكيناً في عينه عشم وفي نوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن الفقر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ وروى الطبراني عنه قال : إقرار بعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فلق الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فترى الناس يميناً وشمالاً فآلقوا أنفسهم ، وقام طاوس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية فقال ابنه - : ألا تنام فمالك قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينام السحر . وروى الطبراني عن طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قالوا : حدثنا ابن طاوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت الثعلبي بن الربيع الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طاوس بسبعائة دينار وقال الرسول : إن أخذتها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : نخرج بها حتى قدم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك . فقال : مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، فغفل طاوس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذتها ، فمكثوا حيناً ثم بلغهم عن طاوس ما يكرهون - أو شيء يكرهونه - فقالوا : ابشوا إليه فليبعث إلينا مالنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعث إليك الأمير ردّه إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المال الذي جئت بك به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فوجد فيها كفاً ، وقد بنت عليها العنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى فقيرها أسأله عن بعض المناسك ، قال : نخرج الحاجب يلتمس له ، فرطاوس فقالوا : هذا طاوس البصري ، فأخذته الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخله عليه ، قال طاوس : فلما وقعت بين يديه قلت : إن هذا المقام يسألني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! ! ! ويلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه بخاره . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جمال وكال . فقال : من هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدركه عدة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان فأثابه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحسن الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعمل فيهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً - قال : دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قریش ، ثم قال : « إن لكم على قریش حقاً ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحوا رحوا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : (وائتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو ميمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طاوس مالى إليه من حاجة ، فكأنه عجب من ذلك ، قال : سفيان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس . قال : وجاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يعلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرجنا حججاً فنزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبى من الحكام لشدة بغلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف - أخى الحجاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيع ، وكان من أخبت عمالههم كبيراً وتجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيع قد أخبر بطاوس فجاء فقعده بين يدي طاوس ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قمت إليه وأخذت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك ، فقال طاوس : بلى إني به أعرف ، فقال الأمير : إنه بي أعرف ، ومعرفة بي فعلت بي ما رأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لي أبى : يا لكع ، بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تدبس عنهم لسانك .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ! أنا ابنه ، فقلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ، فقال : إن العالم لا يخرف ، فدخلت عليه فقال طاوس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أوجزت لك .

فقال تريد أن أجمع لك في مجلسي ههنا التوراة والانجيل والفرقان ؟ قال : قلت نعم ! قال : خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وارجع رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : بقاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيحتاجان ، فيقول صاحب المال للمال : جمعتك في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا ، فيقول المال : ألم أقض لك الخواش ؟ أنا الذي جلت بينك وبين أن تصنع فيما أورك الله عز وجل من حبك إياي . فيقول صاحب المال إن هذا الذي نمد على حبال أوثق بها وأقيد ، وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الصريس عن أبي سنان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي من غيرهم قط ، عطاء وطاوس ، وبجاهد وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والمساء ، وكان طاوس يدخل مع الشاذلي ، وقال حبيب : قال لي طاوس إذا حدثت حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة ، حدثنا الأعمش عن عبيد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت حسين من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة ، قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابي ، وغسلت رأسي ، وادهنت ، فلما رأيته في تلك الحال قال : اجلس فلا تذهب . وقال عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مسكة سار شهراً ، وإذا رجع رجع في شهر ، فقلت له في ذلك ، فقال : بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة عن هلال بن كعب . قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية ، وقال له رجل : ادع الله لي ، فقال : ادع نفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل فيما خلا من الزمان ، وكان عفا لبيبا ، فكبر فقام في البيت ، فقال لابنه يوما : إني قد اعتمدت في البيت ، فلو أدخلت على رجلا يكلموني ، فذهب ابنه فجمع نفراً فقال : ادخلوا على أبي فحدثوه ، فإن سمعتم منه منكر فاحذروه فإنه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التي ، وأعجز العجز الفجور ، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح ، فإذا اطلعت على نخرة رجل فاحذروه فإن لها أخوات

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري عن أبيه قال قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فإن لم تجدني فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فانا لله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد في قبره شيئا ، ورؤي في وجهه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سميد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم احرمي كثرة المال والولد ، وارزقي الإيمان والعمل . وقال سفيان عن معمر حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خالد الخزامي . قال كنت جالسا عند عطاء فجاء رجل فقال : أبا محمد إن طاوسا يزعم أن من صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك كتب له مثل وقوف عرفة وليلة القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركتهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان ربما داوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فجئ بها إليه ، فترلت عنده فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها افتضحت ، فاقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصلاحه ومنزله ، فجاءهم الشيطان فقال : إنها لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ماتتكم ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ، فأخذوه فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فنبشوا منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، وكان فقيرا وله عيال ، فأتى في اليوم فقتل له : إيت مكان كذا وكذا فاحمره تجد فيه مائة دينار نخذا ، فقال للآتي في المنام : ببركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب نخضا فان من بركتها أن تكسوني منها ولعيش منها . فأتى وقال : لا آخذ شيئا ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا نخذا

منه عشرة دينار ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لاسرائيل فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقبل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال : نعم إذا ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صيادا يحمل حوتين فقال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقالت تصادحهما ، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثله ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثله ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأتاه بها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عنقه ، فقال : بمنيتها ، فقال : لا أتقصها عن وقر ثلاثين مثقالا ذهب ، فقال الملك : ارضوه ، فخرجوا به فوق رؤاه ثلاثين مثقالا ذهب ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجابا عظيما ، فقال : ما تصالح هذه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأتوه فقالوا له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيتك ؟ قال : وتعملون ، قالوا : نعم ، فأتى الملك بها ، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه ، فأضفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطاوس : أدع بدعوات ، فقال : لا أجيد لذلك حصة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما في يده . والشح أن يحب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يفتح : وقيل الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يده غيره ، وهو مرض من أمراض القلب يلحق للعبد أن يعزله عن نفسه وينفيه ما استطاع ، وهو يأمر بالبخل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم » أمرهم بالبخل فبخلوا وبالقطيعة فقتلوا وهذا هو الخرص على الدنيا وحباها ، وقال ابن أبي شيبة : حدثنا الحارثي عن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتبية بن سعيد : حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نساك الشاب حتى يزوج . وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : تشكح أن لا أقول لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزهراء : ما نملك من التشكح إلا عجز الجور . وقال طاوس : لا يجر ذنب المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلا كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غرابا يعيب ، فقال : خير . فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصحبنى ولا تمس مني . وقال بشر بن موسى : حدثنا الجهمي حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان أتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فسلم فكفى الشيطان

وقال : لا مقيل ، فاذا أتى بفدائه فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدركنا المقيل ، فاذا أتى بفدائه ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي المشاء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة ليكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت نفثة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لطاوس : يا أبا عبد الرحمن ! رأيتك تصلي في الكعبة والنبي ﷺ على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن طاوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! من قال وأتى الله خير ممن صمت وأتى . وقال مسعر عن رجل إن طاوسا أتى رجلا في السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طاوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان طاوس يصلي في غداة باردة معتمة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطاوس ساجد ، والأمير زاكب في مركبه ، فأمر بساج أو طيلسان مرتفع القبة فطرح على طاوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فألقاه عنه ، ولم ينظر إليه وخصى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطية عن طاوس عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أيقنه في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن فقيل له : إن طاوسا كان يكره أن ينال المرض فتركه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شاور . قال : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجدر بقايا خشية فأدعوك . وقال ابن طلوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مررت بطاوس بروس قد أخرج رؤسا فوشى عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرأس المشوية لم يتمش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال طاوس إن الموتى يفتنون في قبورهم سغيا ، وكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت أينا يذكر عن طاوس وذكر النساء فقال : فبين كفر من مضى وكفر من بقي . وقال

أبو عاصم عن بقيقة عن سلمة ابن وهرام عن طاووس قال : كان يقال : اسجد للقرء في زمانه ، أي
أطعمه في المعروف . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة حدثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم .
قال قال طاووس : ما رأيت مثلي ^(١) أحد آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلاً لو قيل لي : من أفضل من
تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكشمت على ذلك حينئذ ثم أخلته وجع في بطنه ، فأصاب منه شيئاً
استنضح بطنه عليه ، فاشبهاه ، فرأيت في نطح ما أدرى أي طرفيد أسرع حتى مات عرقاً . وروى
أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاووس أنه رأى فتية من قریش يرفلون في مشيتهم ،
فقال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباءكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها .
وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طارماً قام على رفيق له مرض حتى فاته الحج - لعله
هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم قال طاووس
قال ابن عباس : سئل النبي ﷺ : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى
الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضاً من طريق ابن أبي عمير عن عمرو بن دينار عن طاووس قال قال
ابن عباس : إن النبي ﷺ قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يحجزون به » . وعنه عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأيت رسول الله ﷺ وعلى ثوبان مصفران فقال : « أملك
أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » . رواه مسلم في صحيحه عن داود بن راشد عن
عمر بن أبوب عن إبراهيم بن نافع عن سليمان الأحول عن طاووس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عمرو قال قال رسول الله
ﷺ : « الجلاوذة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطائفي .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن الأنطاقي البغدادي حدثنا عبد المنعم بن إدريس
حدثنا أبي عن وهب بن منبه عن طاووس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
أبلى بن أبي طالب : « يا علي استكن من المعارف من المؤمنين فيكم من معرفة في الدنيا بركة في
الآخرة » . فظني على فأقام حيناً لا يلقى أحداً إلا اتخذته للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له
رسول الله ﷺ : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قد فعلت يا رسول الله ، فقال له النبي ﷺ :
إذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ وهو منكس رأسه ، فقال له النبي ﷺ : اذهب
فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي ﷺ تبسم | فقال : ما أحسب يا علي ثبت معك إلا أبناء
الآخرة ؟ فقال له علي : لا والذي بعثك بالحق . فقال له النبي ﷺ (الأَخْلَاءُ) يومئذ بعضهم لبعض
عدو إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم) يا علي ! أفبلى على شأنك ، وإمالك لك ، وأخف من
(١) كذا بالأصل ، ولعله : ما رأيت مثلي أحداً آمن .

تعاشر من أهل زمانك تكن سالماً غانماً » . لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم ^(١) .

﴿ ثم دخلت سنة سبع ومائة ﴾

فيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعيني فدعا إلى مذهب الخوارج واتبعه فرقة من الناس وحلوا قضايتهم يوسف بن عمر فقتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميمون بن مهران ، فقطعوا البحر إلى قبرص وغزا مسامة في البر في جيش آخر . وفيها ظفر أسد بن عبد الله القسري بجماعة من دعاة بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القرقيسيان ، مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد الغوري - وهي جبال هراة - فعمد أهلها إلى حواصلهم وأموالهم وأثقالهم فجعلوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستعل جدياً ، فأمر أسد بالرجال فجعلوا في تواييت ودلائم إليه ، وأمر بوضع ما هنا لك في التواييت ورفعهم فسلخوا وغنموا ، وهذا رأى سديد . وفيها أمر أسد بجمع ما حول بلخ إليها . واستناب عليها برمك والد خالد بن برمك وبنائها بناء جيداً جديداً محكماً وحصنها وجعلها مقعداً للمسلمين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ سليمان بن يسار أحد التابعين ﴾

[وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، توفي بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزلها وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم . وقيل إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبعثه إلى سوق الحجاج ليشتري شيئاً فالتحطت على سليمان امرأة من الجبل حسناء فقالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكاءً فلما رأت ذلك منه ارتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال خير ، فقال : لعلك ذكرت بعض ولدك أو بعض أهلك ؟ فقال : لا ^(٢) ، فقال : والله لتخبرني ما أبكاك أنت . قال : أبكاني حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه كما تقدم والله أعلم ^(٣) .

﴿ عكرمة مولى ابن عباس ﴾

أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والسادة الربانيين ، والرحالين الجوالين . [وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفق في حياة مولاه ابن عباس ،

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصل وفيه نقص بظهر بعض تأمل . (٣) زيادة من المصرية

قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والمراق وخراسان ، وبث عنه هنالك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأمراء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجمل في رحلي السكبل يعلمني القرآن والسنن ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدا ، طاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلقبان على عكرمة التفسير فلم يسألوا عن آية إلا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما جمل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلا . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسررت ما بين اللوحين . وقال ابن عذبة عن أيوب : سألت رجلا عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل - وأشار إلى سلع - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمة الجند حمل طاوس على نجيب فقال : ابتعت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طاوسا حمل على نجيب فمضى ستون دينارا وقال : ألا تشتري علم هذا العبد بستين دينارا !

ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات أفقه الناس وأشعر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفقت الناس فن سألنا عما يعنيه فأفقه ، ومن سألنا عما لا ينبغي فلا تفقه ، فأفك تطرح على ثلثي مؤنة الناس . وقال سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغزى كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمرأ يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال فاني اني سوق البصرة فإذا رجل على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فما قدرت أنا على شيء أسأله عنه ، ذهبت مني المسائل ، وشردت عني فقممت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحتفظه . وقال شعبة عن خالد الخذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخيل ؟ أي فنت . وقال زياد بن أبي أيوب : حدثنا أبو ثعلبة حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بن يسابور : الرجل يريد الخلاء وفي إصبعه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجعل قصه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الخذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمعته من عكرمة ، ففيه أيام الخندق بالكوفة . وقال سفيان الثوري : خذوا الناسك من سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضا : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت اثنين من أصحاب رسول الله

ﷺ في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف النرياني : حدثنا إسرائيل عن سميد بن مسروق عن عكرمة : قال : كانت الخليل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فقهرها ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة : (الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال : الدنيا كلها قريب وكلها جهالة . وفي قوله : (الذين لا يريدون علواً في الأرض) قال : عند سلاطينها وملوكها . (ولا فساداً) لا يملكون بمصاحي الله عز وجل . (والمأقبة) هي الجنة . وقال في قوله تعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا (بمذاب بتيس) أي شديد (فلما عتوا عما هموا عنه) أي تبادوا وأصروا . (خاسئين) صاغرين . (فجعلناها نكالا لما بين يديها) أي من الأمم الماضية (وما خلفها) من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم (وموعظة) تبقى من تعظ بها الشرك والمصاحي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ويحاسب الذين تركوا الأمر والنهي كان المستخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أصروا ونهوا نجوا ، والذين لم يأصروا ولم ينهوا هلكوا فيمن هلك من أهل المصاحي . قال : وذلك أهل أيلة - وهي قرية على شاطئ البحر - وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوقة . وذكرنا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتهم يوم السبت ولا تأتهم في غيره من الأيام ، وذكرنا احتيالهم على صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوهم . فجاء قوم آخرون مداهنون فقالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً) قال الناهون (ممدرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون) أي ينتهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس إن المداهنين هلكوا مع الغافلين ، كساد ثوبين . وقال حوثره عن مغيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يعني في بني إسرائيل - مات واحد فجعل الآخر مكانه ، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا فبعث الله ملكاً على فرس فر على رجل يسقى بقرعة معها عجل ، فدعا الملك العجل فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله ! عجلي وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسي ، فخاصمه حتى أعيا ، فقال : القاضى بيني وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتعفا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له : مر بي على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده . قال : ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلهما ، فأعطى القاضى درة وقال : اقض لي ، فقال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال : نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له . فقال

صاحب المعجل : لأرضي ، يعني وبينك القاضي الآخر ، ففعلنا مثل ذلك ، ثم أتينا الثالث فقصص عليه قصتهما ، وناولته الملك الدرة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أقضي بينكما اليوم ، فقالا : ولم لا تقضي بيننا ؟ فقال : لأنني حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحيض ؟ فقال القاضي : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس عجلا ؟ فقضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى في مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشي ؟ فقالت : كيف أتصدق عليك والمالك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشي ، فمصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها فقطع يديها ، ثم إن الملك قال لأمه : دليني على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مثلها ، لولا عيب بها . قال : أي عيب هو ؟ قالت : مقطوعة اليدين ، قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبه . وكان لها جمال . فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك ، قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فذهب إلى الملك غدو فخرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصي بها خيرا وافعلي وافعلي معها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها فحسنتها فأحسن الكتاب فقيرته وكتبت إلى أمه : انظري فلانة فقد بانتي أن رجلا يأتونها فأخرجها من البيت وافعلي بانتي ، فكتبت إليه الأم إنك قد كذبت ، وإني لا امرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فنزل بين فأحسن الكتاب فقيرته فكتبت إليه : إني فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتبت إلى أمه : انظري فلانة فاجعلي ولدها على رقبتي واضربي على جيبها وأخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : اخرجي ، فجعلت الصبي على رقبتي وذهبت ، فمرت بنهر وهي عطشانة فنزلت لتشرب والصبي على رقبتي فوقم في الماء فغرق ، فجلست تبكي على شاطئ النهر ، فمر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ فقالت : إني كان على رقبتي وليس لي يدان فسقط في الماء فغرق . فقالا لها : أنجبين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها ، ثم قالا لها : أنتدين من نحن ؟ قالت : لا قال : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال في قوله : (طيرا أبابيل) قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جردت بلودهم ، وما رؤى الجندري قبل يومئذ وما رؤى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفي قوله تعالى : (ويوفى المشركين الذين لا يؤتون الزكاة) قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفي قوله (قد أفلح من تزكى) قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : (هل لك إلى أن تزكى) إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفي قوله : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله . وفى قوله : (أليس منكم رجل رشيد) أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفى قوله : (وقال صواباً) قال : لا إله إلا الله . وفى قوله : (إنك لا تخلف الميعاد) من قال : لا إله إلا الله . وفى قوله (لا عدوان إلا على الظالمين) على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفى قوله : (واذا كررتك إذا نسيت) قال : إذا غضبت (سيماهم فى وجوههم) قال : السهر وقال : إن الشيطان ليزين للمبىد الذنب ، فإذا عملته تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتمسك له ويبيكى حتى يغفر الله له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربي ليضعني إلى الشيء لا مضيه فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فان منع الرجل غراباً أو قدراً أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فبذ الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزجاة التي فيها تجوز . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم . وقال : (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) قال : إذا دخل الكفار القبور وعانوا ما أعد الله لهم من الخزي ، ينسوا من نعمة الله . وقال غيره : (ينس الكفار من أصحاب القبور) أى من حياتهم وبعضهم بمعد موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنسكالا ، أى قيودا . وقال فى كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم العذاب : من أراد سفراً بعيداً وحلاً شديداً ، فعليه بيمان ، ومن أراد الحجر والحجير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببصرى - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات فى الوحل ، والمقبات فى المحل فعليه بيثرب ذات النخل . فخرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وهم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وهم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذات النخل ، فلما كانوا ببطن مرّ قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا تريد به بدلاً ، فنزلوا ، فمن ثم سميت خزاعة ، لأنهم نزلوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقتل الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف ! بعفوك عن إخوانك رفعت لك ذكرك مع الله كربين . وقال : قال لقمان لابنه : قد ذقت المرار فلم أذق شيئاً أمر من الفقر . وحملت كل حمل ثقيل فلم أجهل أثقل من جار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح عن سفيان عن أبيه عن عكرمة : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال : ما وقع شيء منها إلا فى عين رجل منهم . وقال : فى قوله تعالى (زعيم) هو اللثيم الذى يعرف اللؤمة كما يعرف الشاة بذنبتها . وقال فى قوله تعالى (الذين يؤذون الله ورسوله) قال : هم أصحاب التصاوير ، (وبلغت القلوب الحناجر) قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإنما هو الخوف والفزع . (فتنتم أنفسكم) أى بالشهوات (وتربصتم) بالتوبة (وغرتكم الأمانى) أى التسويف (حتى جاء أمر الله) الموت (وغرکم بالله الغرور)

الشیطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحکیم لم یزل ذلک الیوم فی سرور حتی یمسی .
قال سلمة بن شعيب : حدثنا ابراهيم بن الحکم عن ابان عن ابيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة
عند البحر فذكروا الذين یغرقون فی البحر فقال عكرمة : الذين یغرقون فی البحر تقسم خوارهم
الحیةان فلا یبقى منهم شیء إلا العظام ، حتى تصیر حاکلا نخرة فتمر بها الابل فذاکها ، ثم تسیر الابل
فتبهرها ، ثم یجئ بعدهم قوم فینزلون ذلک المنزل فیاخذون ذلک البحر فیمقدونه ثم یصیر رمادا
فتجئ الريح فتنأخذه فتذریه فی کل مکان من الأرض حیث یشاء الله من بره وبحره ، فاذا جاءت
النفخة - نفخة المبعث - فیخرج أولئك وأهل القبور المجدوعین سواء . وهذا الاسناد عنه قال : إن
الله أخرج رجلین ، رجلا من الجنة ورجلا من النار ، فقال لصاحب الجنة : عبدی ! کیف وجدت
مقيلک ؟ قال خیر وقیل . ثم قال لصاحب النار : عبدی ! کیف وجدت مقيلک ؟ فقال : شر وقیل قاله
القنائون ، ثم ذکر من عقاربها وحیاتها وزنا بیرها ، ومن أنواع ما فیها من العذاب والوانه ، فیکول الله
تعالی لصاحب النار : عبدی ! ماذا تعطینی إن أفا عقیقتک من النار ؟ فیکول المعبد : إلی وماذا عنسی
ما أعطیک ، فقال له الرب تعالی : لو کان لك جبل من ذهب أ کنت تعطینی فأعطیک من النار ؟ فقال
نعم : فقال له الرب : کذبت لقد سألتک فی الدنیا ما هو أیسر من ذلک ! تدعونی فأستجیب لک ،
وتستغفرنی فأغفر لک ، وتسالنی فأعطیک ، فکنت تنولی ذاعبا

وهذا الاسناد قال : ما من عبد یقر به الله عز وجل یوم القيامة للحساب إلا قام من عند الله
بعفوه ، وبه عنه : لکل شیء أساس ، وأساس الاسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شکا نبي من
الانبياء إلی ربه عز وجل الجوع والعری ، فأوحى الله إلیه : أما ترضی أنى سددت عنک باب الشر
الناسئ ؟ وبه عنه قال : إن فی السماء مائة الف ملک یقال له إسماعیل لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه
یسبح الرحمن عز وجل مائة من فی السموات والأرض . وبه عنه قال : سمعة الشمس سمعة الأرض
وزیادة ثلاث مرات ، وسمعة القمر سمعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بعراً تحت
العرش تسبح الله حتی إذا أصبحت استعفت ربها تعالی من الطلوع فیکول لها : ولم ذاک - وهو أعلم -
فتقول : لئلا أعبد من دونک ، فیکول لها : اطعنی فایس عبدک شیء من ذلک ، حسبهم جهنم أبوها
إلیهم مع ثلاث عشرة ألف ملک تمودها حتى یدخلوها : وهذا خلاف ما ثبت فی الحديث الصحيح
« إن جهنم یلقى بها تقاد بسبعین ألف زمام ، مع کل زمام سبعون ألف ملک » . وقال مسلم عن أسد
ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ : « لا یقمن أحدکم علی رجل یضرب
ظلمة فان الملائمة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفوا عنه . ولا یقمن أحدکم علی رجل یقتل
ظلمة فان الملائمة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفوا عنه » . لم یرفعه إلا منسل هنا .

وروى شعبة عن عمارة بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ « كان إذا عطس غطى وجهه بشوبه » ووضع يديه على حاجبيه « هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقية عن إسحاق بن مالك أنضري عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « من حلف على أحد يمينا ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فأنما إثمه على الذي لم يبره » . تفرد به بقية بن الوليد مرفوعا . وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر الأنوار يري حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمارة بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثنا عائشة أن النبي ﷺ كان عليه بردان قطريان خششان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين غليظان خششان ، ترشح فيهما فيمقلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقدم أناء برد من الشام فاشتم منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إليك لتبسه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبي ويغسلني بهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ : كذب ! قد علموا أني أتقاهم الله ، وآذاهم للأمانة » . وفي هذا اليوم قال النبي ﷺ : « لأن يلبس أحدكم من رفاع شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم ^(١) .

(الثامن بن محمد بن أبي بكر الصديق)

كان أحد القتهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خاتمه فنشأ عندها ، وساد له منقلب كثيرة . أبو رجاء العطاردي .

(وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور)

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي جمعة ، وعزة هذه المشهورة المنسوب إليها ، لتغزلها فيها ، هي أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار ، وإنما صغر اسمه فقيل كثير ، لأنه كان دميم الخلق قصيرا ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلدون : كان يقال له رب الديان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان يند على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر الإسلاميين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسب به بعضهم إلى مذهب التماسخية ، وكان يحتج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صحح النقل عنه ، في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) وقد استأذن يومه على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، فقال : حية يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، وإن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجهنم ، وأنا الذي أقول

وجربت الأور وجربتي * وقد أبدت عريكتي للأور
وما تخفى الرجال على أني * بهم لآخو مشافهة خبير
تري الرجل النحيف فتزدريه * وفي أنوابه أسد زهير
ويجيبك الطائر فتخزيه * فيخلف ظنك الرجل الطائر
وما هام الرجال لها بزينة * ولكن زينها دين وخير
بثت الطير أطولها جسوما * ولم تطل البزاة ولا الصقور
وقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالهظم البعير
فيركب ثم يضرب بالهراوى * ولا عرف لديه ولا نكير
وعود الشجع يثبت مستعرا * وليس يطول والمضبوء حور

وقد تكلم أبو الفرج بن طراز على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فاستدحه بقصيدته التي يقول فيها : -

على ابن أبي العاصي دروع حصينة * أجاد المسدي سردها وأدائها
قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن مديكرب : -
وإذا تجبى كتيبة مملوءة * شربها يخشى المذاق من سيادها
كنت المقدم غير لابس حبة * بالسيف يضرب مملأ أبطاها

فقال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفك بالخزم . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : ويحك يا كثير . ذكرتك الآن بشرك فان أصبت أعطيتك حكمتك ، فقال : يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عائكة بكت يزيد بكت لفراقك فبكي ابكائها حشوها فذكرت قولي :

إذا ما أراد الفرو لم تكن عزمة * حصان عليها فسلم دريزها
منه قلما لم تر الترس عافه * بكت فبكي مما عراها قطيها

قال : أصبت طاعتكم ، قل : مائة مائة من ثوبك اختارة ، قال : هي لك . فلما سار عبد الملك إلى العراق نظر يوما إلى كثير عزة وهو مفكر في أمره فقال : على به ، فلما جرى به قال له : رأيت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تعطيني حكمتي ، قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال له عبد الملك : إنك تقول في نفسك : هذا رجل ليس هو على مذهبي ، وهو ذاعب إلى قتال رجل ليس هو على

منهبي ، قال أصابني سهم غرب من بينهم ما خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إياي والله يا أمير المؤمنين ، فاحتكم ، قال : أحتكم حكماً أن أردك إلى أهلك وأحسن جثثك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف . وقال حماد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبتنا إياه وما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيشركه في الخلافة ، ففحص نسير وفحصنا في رحالنا ، فلما انتهينا إلى خنصرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء ؟ قال : فوجدنا ذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا التفققات وعلف دوابنا ، وألقاها عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته : لكل سفر زاد ، فترودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعبد الله له من عذابه ونوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسد قلوبكم وتفقادوا بعدكم ، فإنه والله ما بسط أدنى من لا يدري عمله لا يسمى بعد إصابته ولا يصيح بعد إمساكه ، وربما كانت له كلمة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطعن من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فلما من لا يداوى من الدنيا كلما إلا أصابه جراح من ناحية أخرى فكيف يطعن ، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحيبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والمويل : قال : فانصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ مسرعا من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وأبائه فإنه رجل آخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال النواء وقلت الفائدة ، وتحدث بجهنمك إيانا وفود العرب . فقال : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وقرأ الآية ، فإن كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به ، فقال : ألسم عند أبي سعيد ؟ يعني مسلمة بن عبد الملك - فقلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : أئذن لي يا أمير المؤمنين بالأنشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقا ، فأشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشتم عاليا ولم تخف * بريشا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي * أتيت فأوسى راضيا كل مسلم
ألا إنما يكنى الفقي بعد ربه * من الأود النادى ثقاف المقوم
وقد لبست تسعى اليك ثيابها * تراءى لك الدنيا بكف ومعهم
وتوهض أحيانا بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما * سقتك مذوقاً من سقام وعلقم
وقد كنت من أحبالها في ممع * ومن بحرها في زبد الموج مغمم
ومازلت توافا إلى كل غاية * بلغت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفوا ولم تكن * لطالب دنيا بعده في تكلم
تركت الذي يفتى وإن كان وقتاً * وآثرت ما يبقى برأى مصمم
وأضررت بالفتاى وشعرت للذى * أهداك في يوم من الشر مظلم
ومالك إذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رعيت ولادم
سألك هم في الفؤاد مؤرق * بلغت به أعلى الأعمال بسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها * مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمنى * بأخذك دينارى وأخذك درهمى
ولا بسط كيف لأمرى غير مجرم * ولا السك منه ظالماً ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسوا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فمشت بها ما حيج لله راكب * ملب مطيف بالمقام وزمزم
فأرجح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأخص
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهماً ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعبد
ذلك على يزيد بن عبد الملك فاستدحه بقصائد فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان
كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى الرجعة ، وكلت يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى (فى أى حورة
ما شاء ركبتك) وقال موسى بن عقبة هو من كثير عزة ليس له فى زمانه فأصبح يندس آل الزبير ويرى
عبد الله بن الزبير ، وكان يرى أن رأى فيه :

بفخضج البطحاء تناول أنه * أقام بها ما لم ترمها الأخشاب
سرحنا سروراً آمين ومن يخف * بوائق ما يخشى نقيب التوائب
تبرأت من عيب ابن أسماء إننى * إلى الله من عيب ابن أسماء كاتب
هو المرء لا ترزى به أمهاته * وآباءه فيما السكرام الأطياب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيرى : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذى يدعوك إلى
ما تقول من الشر فى عزة ليست على نصف من الحسن والجمال ، فلو قلت ذلك فى وفى أنشأى فانا

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصاله -
وإنما قالت له ذلك لاختباره وتبلوه فقال :

ضحى قلبه يا عز أو كاد يذهل * وأضحى يريد الصوم أو يتبدل
وكيف يريد الصوم من هو واهق * امرأة لا قال ولا متبدل
إذا واصلتنا خلة كي تزيلنا * أبيتنا وقلنا الحاجبية أول
سنوئك عرفة إن أردت واصلنا * ونحن لنئك الحاجبية أوصل
وحملها الواشون أنى هجرتها * حملها غيظا على الحمل

فكانت له عائشة : قد جعلتني خلة ولست لك بخلة ، وهلا قلت كما قال جميل فهو والله أشعر
منك حيث يقول :

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخططه بقول المازل
فأجبتها بالقول بهد تسر * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي بقدر قلامة * فضل وصلتك أو أنسك رسائلي

فقال : والله ما أنكر فضل جميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناته ، واستجيا ، ومما أنشد ابن
الأنباري لكثير عزة :

بأبي وأمي أنت من مشوقة * طين العدو لها فغير حائلا
ومشى إلى بعيب عزة نسوة * جميل الآله خدودهن ناعلا
الله يعلم لو جهن ومثلت * لأخذت قبل تأمل تمثالها
ولو أن عزة خلصت شمس الضحى * في الحن عند مرفق لطفى لها
وأنشد غيره لكثير عزة :

فما أحدث النأى الذي كان بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقالبا
وما زادني الواشون إلا صباة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
غيره له : فقلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطئت يوما لها النفس ذات
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * امرأة من أعراضنا ما استعجت
وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا :

ومن لا يعمض عينه عن صديقه * وعن بعض أفيد يمت وهو عائب
ومن يتقمع جاعدا كل عشرة * يبعدنا ولا يقي له الدهر صاحب
وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن خفطر أم عمرو الضمرية

وفلت على عبد الملك بن مروان تشكو وليد ظلامه فقال : لا أنقضها لك حتى تشدني شيئاً من شمره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات :

قضى كل ذي دين علمت غريمه * وعزة محلول معنى غريمها
فقال : ليس عن هذا أسألك ولكن الشديني قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخصبة كالذي * عهدت ولم يتغير بذلك مخبر

قال فاستحييت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتهم يحكون عنه ، وليكن أحفظ له قوله :

كأنني أنادي صغرة حين أعرضت * من الظلم لو تمشي بها المعصم ذات
صفوح فما تلتك إلا بخيلة * ومن هل منها ذلك الوصل ملت

قال فقضى لما حاجتها وردّها ورد عليها ظلامتها وقال : أدخلوها الحرم لينملوا من أشبهها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حسنّها ، فإذا هي حياء حياء لطيفة ، فلم تقع من النساء بذلك الموضع حتى تكلمت فإذا هي أبرع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقي في أعيُننا امرأة تنوّقها حسنّها وجهاً ولا طلاقة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكينه بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أريد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوق غريمه * وعزة محلول معنى غريمها

فقالت : كنت وعدته قبلة فماتت ، فقال : أنجز بها له وإنيها علي ، وقد كانت سكينه بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بحسبتها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة فأبى عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعده ما فتنحني بين الناس وشهري في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الأمتناع ، ذكره ابن عسّاكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختبر ما عنده ، فمعرض لها فقالت : فأين حبك عزة ؟ فقال : أنا لك الغداء لو أن عزة أمة لي لو هبها لك ، فقالت : ويحك لا تفعل أأنت القائل : إذا وصلتنا خلة كي نزيانا * أيننا وقلنا الحاجبية أول ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أقصرني عن ذكرها واسمعي ما أقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها بديل

قالت : فهل لك في المجاسة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ، قال : أقلبه فيتحول لك ، قال فسقرت عن وجهها وقالت : أغسداً وتنا كذا يا طسق ، وإنك طاهنا يا عدو

الله ، فبهت وأبلس ولم ينطق وتغير وجهه ، ثم قالت : قاتل الله جحلاً حيث يقول : -
 محاً الله من لا ينفع الود عنده * ومن حبله إن صد غير متين
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على المهد خلافاً بكل يمين
 ثم شرع كثير يمتدرو ويتصل مما وقع منه ، ويقول في ذلك الأشعار ذا كراً وآثراً . وقد ماتت
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ورثاها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :
 ما بال شعرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ،
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلال .
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان ومائة ﴾

[ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك
 حصناً من حصون الروم أيضاً ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك
 كسرة فاضحة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة وارثان ورماها بالمناجيق ، فسار إليه
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه
 وقتل من جيشه خاق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل
 الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها غزا معاوية بن هشام بن
 عبد الملك أرض الروم ، وبعث البطل على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثيراً ^(١)
 وفيها توفي من الأعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [كان عالماً عابداً زاعداً متواضعا قليل
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خلق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت
 من هو أكبر منك من المساهدين فقل : سبقته إلى المصاحف فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرهونك
 ويعظمونك فقل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا بذنب أحدثته . وقال :
 من منلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحراب حتى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب .
 وقال : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعبوب الناس نادياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل
 من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ الصالح من العمل فثنى في الناس أظلمه غمامة ، قال : فرجل قد
 أظلمته غمامة على رجل فأظلمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحب الغمامة فأمرها الله أن تتحول

عن رأسه إلى رأس الذي احتقره ، وهو الذي عظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن بشئ قرأ في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره (١) (راجع إلى سديد المقرئ الحمصي) عمر دهرًا ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابدًا صالحًا زاهدًا . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة (راجع إلى كتب القرطبي)

نوفى فيها في قول [وهو أبو حمزة] له روایات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان علما بتفسير القرآن ، صالحا عابداً ، قال الأصمعي : حدثنا أبو المتقاسم - شاذان بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يصبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيح . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن وهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا ذللت والعارضة لا أزيد عليهما وأردد فيهما الفكر ، أحب إلى من أن أهتد القرآن هدىً - أو قال أئثره ثراءً . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لخص لركب عليه السلام ، قال تعالى : (آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا زمرا وذاكر ربك كثيرا وسبح باسمي والأبكار) فلو رخص لأحد في ترك الذكر لخص له ، ولو رخص للذين يقتلون في سبيل الله ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال في قوله تعالى : (اصبروا وصابروا ورابطوا) قال : اصبروا على دينكم وصابروا للعدو الذي وعدتم ، ورابطوا بغيركم الظاهر والباطن ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا قمتموه . وقال في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) : علم ما أحل القرآن مما حرم (منها قائم وحديد) قال : القائم ما كان من بنائهم قائما ، والحديد ما حصد فيه . (إن غلبها كان غراما) قال : غرموا ما فعدوا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم ممن نعمة فلم يقدرها عليها ولم يؤدوها ، فأغرمهم عنها . فأدخلهم النار . وقال قتبية بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية (وما آتيتكم من ربا لم ير في أموال الناس فلا يربو عند الله) قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعفون هم الذين يعملون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : (أذخاني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) قال : اجعل سريري وعلايتي حسنة . وقيل : أذخاني مدخل صدق في العمل الصالح . أي الاخلاص . وأخرجني مخرج صدق أي سألني . (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي يسوع القرآن بقلبه ، (٢) في مكان آخر . (فاسعوا إلى ذكر الله) قال : السعي العمل ليس بالخشع . وقال : الكبر ثلاثا ، أن تأن من مكر الله ، وأن تنشط من رحمة الله ، وأن تأنس من روح الله .

(١) زيادة من المعصرية . (٢) كأننا بالأصل دأله سقط منه كلمة (وليس) .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بعبده خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، فقه في الدين ، وزهاده في الدنيا ، وبصراً بعبود نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، و رغب عنها السعداء ، وانزعجت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسعد الناس بها ، هي الفأوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخائفة لمن انقاد لها ، علمها جهل ، وغناها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأياها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي ممن كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أدقلمها . ثم قرأ (فما بكت عليهم السماء والأرض) وقال في قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كفر يرى ثوابها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطاع علي في بعض ما يكره فمقتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينفذني الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيمه غلامه سالماً . وكان عبداً خيراً زاهداً . فكتب إليه : - إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأناؤه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما ترى ، وأنا والله أخوف أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم عظمي ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : تزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى * درج الجنان وطيب عيش العابد

ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنوب واحد

وقال : من قرأ القرآن منع بعباده وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ما تقول في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرايت إن أعطيت الله عهداً أن لا تعصيه أبداً ؟ قال : فمن أعظم جرماً منك ، تنأى على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدم . قالوا كلهم : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفقده ، ووجد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عنبرة ولا يقبل معنرة ، ولا يقفر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجي خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموهم - ولا تظلموا ظالماً ، ولا تطاولوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي ﷺ بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بدولته والله سبحانه وتعالى أعلم (١)

وفيهما توفي أبو أنسرة المنذر بن مالك بن قطة العبدي ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

(ثم دخلت سنة تسع ومائة)

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عوادة السكابي ، واستتب هشام على خراسان أشهر من عهد الله السلمي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري ، وكان أشهر فاضلاً خيراً ، وكان سمي السكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المراقبة بخراسان ، واستعمل المراقبة عبد الملك بن زياد البجلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، ففرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

(سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية)

فيها قاتل سادة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسامة في جموع عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسامة سالماً غانماً ، فسلك على مسالك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه الغزاة غزاة الخاين ، وذلك أنهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خلق كثير ، فماتوا حتى قاسوا شتاءً وأعمالاً صعبة ، فشدائد عظيمة ، وفيها دنا أشهر بن عبد الله السلمي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام ، ويضع سبعم الجزيرة فجابهم إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طارهم

بالجزية فنصبوا له الحرب وقتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متوليا عليها ، فلما وصل تجهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين قتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا بطريقهم وأنهمزم بأفيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم ، وغنم غنائم جمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشروس السلمي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ جرير الشاعر ﴾

وهو جرير بن الخطفي ويقال ابن عطية بن الخطفي واسم الخطفي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن بربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق صارا ، وامتدح يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد : لما الاثنان داني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان بن عفان قال : رأيت جريرا وما تضم شفاه من التسييح ، فقلت : وما ينفك هذا ؟ فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد الكلابي عن أبيه قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يتمدحه بقصيدة وعند الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : بل تعرف أبيجى بيت قالت العرب في الاسلام ، قال : نعم ! قول جرير :

ففض الطرف إنك من نعيم * فلا كمبا بلغت ولا كلابا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمح بيت قيل في الاسلام ؟ قال نعم ! قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى المالمين بطون راح

فقال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الاسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض * قتلتنا ثم لم يحيين قتلتنا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضف خلق الله أركانا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته مشتاق ، قال : فهذا

جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأثنى الأعرابي يقول : -

نفسيا الاله ابا حرزة * وأرغم أنفك يا أخطل
وجدت الفرزدق العس به * ورق خيشومه الجندل
فأنشأ الفرزدق يقول :

يا أرغم الله أنفا أنت حامله * يا ذا الخطا ومقال الزور والخطل
ما أنت بالحكم الترضى حكومت * ولا الاصيل ولاذى الرأى والجلل
ثم أنشأ الأخطل يقول :-

يا شر من حملت ساق على قدم * ما مثل قوتك فى الأقسام يحتمل
إن الحكومة ليست فى أيك ولا * فى ممشر أنت منهم انهم سفل
فقام جرير ففضها وقال :-

أشتان سفاها خيركم حسبا * ففكيك وإلهى - الزور والخطل
شتماه على رضى ووضعك * لا زلنا فى سفال أيها السفل

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جئتني له ، وكانت خمسة آلاف ،
فقبل عبد الملك : وله مثلها من مالى . فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج . وحكى يعقوب بن السكيت
أن جريرا دخل على عبد الملك مع وفد أهل العراق من جهة الخجاج فأنشد مدحيه الذى يقول فيه :
ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

فأطاع له مائة ناقة ومائة من الرطاة أربعة من النوبة وأربعة من السبي الذين قدم بهم من
السند قال جرير : وبين يدي عبد الملك جامان من فضة قد أهديت له ، وهو لا يعبأ بها شيئا ،
فهو يقرمها بقضيب فى يده ، فقالت : يا أمير المؤمنين الخلب ، فأتاني إلى واحد من تلك
الجلدات ، ولما رجع إلى الخجاج أعجبته إكرام أمير المؤمنين له فأطاع الخجاج له خمسين ناقة تحمل
ضاماً لأهله .

وحكى فطوية أن جريرا دخل يوما على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال بشر لجرير :
أعرف هذا ؟ قال : لا ، ومن هذا أيها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل ، فقبل الأخطل : أنا الذى
قذفت عرطك ، وأسهرت ليلك ، وآذيت قومك ، فقال جرير : أما قولك شئت عرطك فما ضر
البحر أن يشتمه من غرق فيه . وأما قولك وأسهرت ليلك ، فلو نزلتني أنام لكان خيرا لك . وأما قولك
وآذيت قومك فكيف تؤذى قوما أنت تؤذى الجزيرة إليهم . وكان الأخطل من نصارى العرب
المتنصرة ، فبجحه الله وأبعد مواده ، وهو الذى أنشد بشر بن مروان قصيدته التى يقول فيها :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مبراق

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الحكم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية عاواً كبيراً ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشر على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن محتسماً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضغف من حجج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال الحليم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فحكوا بيباه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فسأهم ذلك وهما بالرجوع إلى بلادهم ، فمر بهم رجاء بن حيوة فقال له جرير :-

يا أيها الرجل المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا
فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فمر بهم عدي بن أوطاة فقال له جرير منشداً :
يا أيها الراكب المرخي مفاطيه * هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه * أنى لدى الباب كالعصفور في قرن
لا تنس حاجتنا لافيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء بيبابك وسأهمهم مسومة وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قد كان يسمع الشعر ويجزى عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده :-

رأيتك يا خير البرية كاهياً * نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلماً
وتوالت بالبرهان أمراً مدلساً * والظلمات بالقرآن تاراً تضمرماً
فن مبلغ عنى النبي محمدأً * وكل أمرى يجزى بما كان قدماً
أقت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قديماً ركنه قد تهتما
تعالى علواً فوق عرش إلهنا * وكان مكان الله أعلا وأعظماً

فقال عمر : من بالباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال أليس هو الذى يقول :

ثم نهبتها فهبت كعاباً * طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم إنها بعد قالت * ويلنا قد عجبت يا ابن الكرام
أعلى غير موعده جئت تسرى * تتخطى إلى رموس النيام
ما تجشمت ما تريد من الأمر * ولا حيث طارفاً نخصام
فلو كان عدو الله إذ فجر كتم واستتر على نفسه . لا يدخل والله أبداً ، فن بالباب سواء ؟ قال :
هم بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :
هما دليلاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الزيش كسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا * أحي برجسي أم قتيل نعداره
لايضاً والله بساطي وهو كاذب ، فن سواء بالباب ؟ قال : الأخطأ ، قال : أوليس هو الذي يقول :
ولست بصائم رمضان طوطا * ولست بأكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيساً بكور * إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتاً بعيداً * بمكة أبتغي فيه صلاحي
ولست بقائم كالعير أدمو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولاً * وسجد عند منباج الصباح
والله لا يدخل على وهو كفر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :
أليس هو الذي يقول :

الله يدي وبين سيدها * يفر مني بها وأتبعه
فما هو دون من ذكرت ، فن همنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذي يقول : -
ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمت * يوافق في الموتى خريجي خريجها
فما أنا في طول الحياة براغب * إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل
بالباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جرير ، قال أما إنه الذي يقول :
طرفتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجمي بسلام
فان كان لابد فأذن لجرير ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :
إن الذي بعث النبي محمداً * جعل الخلافة للامام العدل
وسع الخلائق عدله ورفقه * حتى أرخوى وأقام ميل المائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً * والناس مولة يحب العاجل
فقال له : ويحك يا جرير ، اتق الله فيما تقول ، ثم إن جريراً استأذن عمر في الانشاد فلم يأذن له ولم

ينهم ، فأشده قصيدة طويلة يمدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما ههنا حقاً ، فقال : إني مسكين وابن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وأبنا مائة وقد بقيت مائة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقلوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وإني عند نراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقي الشيطان لا تستغزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال بعضهم فيما حكاه المعافى بن زكريا الجريري قالت جارية للحجاج بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما علمت عفيفاً ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلاصها مع جرير ، فكان يراها بالحجاج ولا يريانه ، ولا يشمر جرير بشيء من ذلك ، فقالت له : يا جرير ، فأطرق رأسه ، وقال : هاأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا - شعر فيه رقة - فقال : لست أحفظه ولكن أحفظ كذا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشد لها شعراً في مدح الحجاج - فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد كذا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشد لها في الحجاج - حتى انقضى المجلس فقال الحجاج : لله درك ، أبيت إلا كرماً وتكرماً . وقال عكرمة أنشدت أعرابياً بيتاً لجرير انطوى في :

أبذل الليل لا تجري كواكب * أو طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده من قولي

وليل لم يقصره رقاد * وقصره لنا وصل الحبيب

نعم الحب أورد في * حتى تناولنا جناح من قريب

بمجلس لذة لم تقف فيه * على شكوى ولا عيب الذنوب

نحشينا أن تقطعه باغظ * فترجت العيون عن القلوب^(١)

فقلت له : زدني ، قال : أما من هذا فحسبك ولكن أنشدك غيره فأنشدني :

وكنيت إذا عقدت حبال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء

فاحسن حين يحسن محسنهم * واجتنب الاساءة إن أساءوا

أشياء سوى شيمتهم تأتي * شيمتهم وانترك ماأشياء

قال ابن خالكان : كان جرير أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأشعر بيت قاله جرير :

إذا غضبت عليك بنو نعيم * حسبت الناس كلهم غضابا

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على ابنه ، وإذا هو يرتفع من ندى

(١) في هذه الأبيات تحريف . ولم تقف عليها في مرجع آخر .

عن ، فاستدعاه فقبض والابن يسبل على حقيقته ، فقال جرير الذى سأله : أنقص هذا ، قال : نعم ، قال :
 أنقصه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، وإنما يشرب من ضريح المنزلة لا يشربها فيسمع جريرا ، حسن الخطب
 فيطلبوا منه لبنا ، فأشعر الناس من فائز بهذا ثمانين شاعرا فنلبهم ، وقد كان بين جرير والفردق
 مقاولات ومهاجاة كثيرة جدا يطول ذكرها ، وقد مات في سنة عشر ومائة ، وله خليفة بن خياط وغير
 واحد ، قال خليفة : مات الفردق وجرير بعدد أشهر ، وقال الصولي : ماتا في سنة إحدى عشرة
 ومائة ، ومات الفردق قبل جرير بأربعين يوما ، وقال السكري عن الأصمعي عن أبيه قال : رأى
 رجل جريرا في المنام بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، قليل ، بماذا ، قال بشكيرة
 كبرت بها بالبادية ، قيل له : فما فعل الفردق ؟ قال أهبأت أهلكه قذف الخيليات ، قال الأصمعي لم
 يدعه في الحياة ولا في الممات

﴿ وأما الفردق ﴾

واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن
 حنظلة بن زيد بن عتبة بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي خطل القيس البصري الشاعر
 المعروف بالفردق ، وجده صعصعة بن ناجية صحابي ، وفد إلى رسول الله ﷺ ، وكان يمين المروضة
 في الجاهلية ، حدث الفردق عن علي أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال من هذا ؟ قال ابني وهو شاعر ،
 قال عليه القراءة فهو خير له من الشعر ، وسمع الفردق الحسين بن علي ، وآب وهو ذاهب إلى العراق
 وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعرجة بن أسعد ، وزيادة بن كروب ، والوليد بن عبد الله الشاعر ،
 وروى عنه خالد الخذاء ومروان الأصغر وجماعة بن حجاج الأحمول ، وجماعة ، وقد وفد على معاوية
 يطلب ميراث عمه الحباب ، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك ، وقال أشعث بن
 عبيد الله عن الفردق قال نظر أبو هريرة إلى قدمي فقال : يا فردق إلى أرى قدميك صغيرين
 فأطلب لهما ، وضعا في الجنة ، فقلت : إن ذنوبي كثيرة ، فقال : لا بأس فاني سمعت رسول الله ﷺ
 يقول : « إن بالمغرب بابا مفتوحا لا يؤبى لا يعاق حتى تطالع الشمس من مغربها » ، وقال معاوية بن
 عبد الكريم عن أبيه قال : دعوات على الفردق فتعرك فأدلى به فهد قيد ، فقلت : ما هذا ؟ فقال :
 حلفت أن لا أنسى حتى أسقط القرآن ، وقال أبو هريرة بن العلاء : ما رأيت يديا أقام بالخير إلا بعد
 لسانه إلا رؤية بن المصباح والفردق قال ما زاد علي قول الألفاظ جيدة وحيدة ، وقال داود بن أبي شعل
 طلق الفردق أمراة التوار ثلثا ثم جاءه أنشبهه على ذلك الحسن البصري ، ثم قدم على ملائكة
 وإشهاد الحسن على ذلك فأثما يقول : -

قلو أي ملكت يائي وقائي من السكون على الفخر الخيل

فدعت ندامة السكبي لما * غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار
وقال الأصمعي وغير واحد : لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة الجاشسي امرأة الفرزدق
- وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصري - فشدها أعين أهل البصرة مع الحسن والحسن
على بقلته ، والفرزدق على بمرده ، فسار فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد
هذه الجنازة اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست
أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن
لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلهذا أن صلى عليها الحسن دلوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يماضى * أشد من القبر التهابا وأضيحا
إذا جاءنى يوم القيامة قائدا * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشى * إلى انذار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسريلا * سراييل قطران لباسا مخرقا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم * يندوبون من حر الصديد تمرقا

قال : فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم ألزم الفرزدق ، وقال : لقد كنت من أبغض الناس إلى ،
وإنك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله في قذف المحصنات ،
فقال : والله الله أحب إلى من عيني الملتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟ وقد قدمنا أنه مات سنة عشر
ومائة قبل جريس بأربعين يوما ، وقيل بأشهر فلهذا أعلم .

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا التكميل ببسطة وحسبنا الله ونعم
الوكيل ﴿ فأما الحسن بن أبي الحسن ﴾

فاسم أبيه يسار وأبجد هو أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله
وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن
ولدها الحسن وهو رضيع ، فتشاهد أم سلمة بشيئها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أن
تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ
ثم كان وهو صغير فخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب ،
قال : اللهم فقهه في الدين ، وحبيه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا عنها
. ولانا الحسن ، فإنه سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا ، وقال أنس مرة : إني لأغبط أهل البصرة بهذين
الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلا فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ،

وقال أيضا : ما رأيت عيناى أفقه من الحسن ، وقال أيوب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هيبة له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن ، فأقرأه بنى السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعشى : ما زال الحسن يعنى الحكمة حتى نطق بها ، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذلك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جاعلا للعلم والعمل ، علما رفيما فقيها ثقة ، وأمونا عابدا زاهدا ناسكا كثير العلم والعمل فصيحا جريلا وسيما ، وقدم مكة فأنجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحشهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، عام عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

هو وأما ابن سيرين

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبو محمد من سبى عين التمر ، أسره خالد بن الوليد فى جملة السبى ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولده من الأولاد الأخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومحمد ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء رحمهم الله . قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة أمونا علما رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا . وكان به صمم ، وقال مؤرق العجلي : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ، وأورع فى فقهه منه . قال ابن عيون : كان محمد بن سيرين أرجح الناس طائفة الأمة ، وأشد الناس إزارا على نفسه ، وأشدهم خوفا عليها . قال ابن عيون : ما بكى فى الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين فى العراق ، والقاسم بن محمد فى الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يثنون بالحديث على جروفة ، وكان الشعبي يقول : عايكم بذلك الأصم - يعنى محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحدا أجرا على تعبير الرؤيا منه . وقال عثمان البتي : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات فى تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم

فصل

كان الملائكى ، بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فيبدأ بهم ثم يأتى بتراجم الشعراء ، وأيضا فإنه أطول التعلل فى تراجم الشعراء والمختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جوة يلتفت بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم بالثناء عليهم ، ولا سيما

كلام الحسن وابن سيرين وروهب بن منبه - كما ذكره بعد ، وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصره جداً وإن المؤلف أقصروا وأوسع علماء زمانه ينبغي أن يخل ببعض كلامهم وحكمهم ، فإن النفوس مستغرقة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فإن أقوال السلف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنعه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم تقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فانا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه أطلع عليه ، فكيف حال غيرهم ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي وأطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشعبت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي خاتمة المؤمنين . ولعل أن يقف على هذا راغب في الآخرة ، طامب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم الخلف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمخير ومزدرج ، فإن ذكر أئمة العدل والنجور بعد مرتبهم فيها فضل أو نكس ، وغم هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان مثلبسابه من الفساد والظلم ، بل هو مسنون في الكتاب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فإن الله قد قص في القرآن أخبار الملوك والفراسة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعملون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والحسين والأبرار والأخيار والمؤمنين ، للاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فتقول وبالله التوفيق : ﴿ أما الحسن ﴾

فهو أبو سعيد البصري الإمام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعملوا وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يشهد عشرين سنة لا يشمر به جاره ، وأحدهم يصلي ليلة أو بعض ليلة فيصيح وقد استعطى على جاره ، وإن كان القوم ليجمعون فيتمادكرون فتجئ الرجل عذبة فيردهما ما استطاع ، فإن شاب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فذكره عمر - أو قل : لكه - وقال : إن في هذا لقنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوماً ألهمهم أماني المنفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله . وكتب : وأحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو جاز رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يوشك من دخل المغارة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حادوا هذه القلوب فأنهم سرية الدثور ، واقدعوا هذه لأنفس ظلمها تنزع إلى شرهاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسد . وروى الفتى عن أبيه قال : عاد الحسن عابلاً فوجده قد شفي من علته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكر لك

فاذكره ، وقد أظفك فاشكوه ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فأما أن يكون السليل بعد المرض فرساجواً ، وإما أن يكون حاراً عثوراً معثوراً ، وروى السني عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، مما لا حيلة لأحد في دفعه ، ولا ينفع الندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، واتق به من رقدة الجاهلين ، وشمر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لي ولك من الله مقاماً يسألني وإياك فيه عن الخبير والدقيق ، والجميل والخفي ، ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه وسوس الصدور ، وخطئ العيون ، وإصغاء الأسماع . وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جاوساً على باب ابن هبيرة فقال : طمعتكم نعالكم ، ويضتم ثيابكم . ثم أتيتهم إلى أبوابهم تسبون ، ثم قال لأصحابه : ما ظنكم هؤلاء الخناء ؟ ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء ، وإنما مجالسهم مجالس الشرط . وروى الخزاز عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في يده كسر جبرده لصاحبه . ومرو الحسن يقوم يقولون : نقص دائق أي عن الدرهم السكك والدينار السكك - إما أن يكون درهما ينقص نصفاً أو ربها ، والمشرة تسمة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هذه الأشياء ، وإن كان اشترى الساسة بدرهم ينقص دائقاً كله درهماً أو بتممة ونصف كلها عشرة ، مروءة وكرماً . وقال عبيد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبيد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دائق واحد ، فقال الحسن : إن هذه الأخلاق فما بقي من المروءة إذا ؟ قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بروءة . وباع بذلة له فقال له المشتري : أما تخط لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهماً أريدك ؟ قال : لا ! رضيت ، قال : بارك الله لك . وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعرج قال : ذهبت بي أمي إلى الحسن فقلت : يا أبا سعيد : ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلمل الله أن يدفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يوماً : يا بني آدم الحزن على خير الآخرة لعل أن يوصلك إليه ، وإياك في ساعات الليل والنهار في الخلوة لعل وولاك أن يطعم عليك فيرحم عبرتك فتكون من المؤمنين ، قال : وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي ، وربما جئت إليه وهو يصلي أو يصنع بكاءً ونحيباً ، فقلت له يوماً : لك تنكسر البكاء فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك ؟ يا بني ! إن البكاء دافع إلى الرحمة ، فان استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل لعل الله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت تهربت من النار . وقال : ما عم إلا حول الدار إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه

قطرة حتى تمتق رقبتك من النار . وقال : لو أن با كيا بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعا ، وليس شيء من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوم الله بالدمعة منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحكم في علم ، وحسب في رفق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع في رغبة ، وتوقف وصبر في شدة ، لا ترديه ورغبته ، ولا يسدده لسانه ، ولا يسبقته بصره ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يميل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستغفه حرصه ، ولا تقهر به نيته . كذا ذكر هذه الألفاظ عنده ^(١) . قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن فذكره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن إبراهيم الشكري حدثنا موسى بن إسماعيل الجيلي حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبي شاذان عن الحسن قال قال ليمان لابنه : يا بني ! : العمل لا يستمتع إلا باليقين ، ومن يضاف يقينه يضاف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فاغلبه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل السك والسمامة فاغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فاخبره أن الدنيا مفارقة ومروكة . وقال الحسن : ما أيقن عبد الجنة والنار حتى يقينهما إلا خشم وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طلبت الجنة ، وبالباين هربت من النار ، وباليتين أدبت الفرائض على أكل وجهي ، وباليتين أصبر على اسقى وفي معاذة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتعاونون في الساقية ، فإذا نزل البلاء تفرقوا . وقال : الناس في الساقية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عندهم الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبين من يعبده الله وشيئه ، وفي رواية فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفريراني في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لا علم لهم بشأنيته ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : (كتاب أنزلناه مبارك ليبدوا وآياته وليتذكر أولو الألباب) وما تدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما قرأه بحفظ حر وفقه وإضاءة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فقرأ أسقط منه جزءا . وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خالق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إنى لأقرأ السورة في نفس ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا بالحكماء

ولا الورعة ، ومتى كانت القراءة هكذا أو يقول مثل هذا : لا أكثُر الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جنسب قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤمنون إلا من قبلنا ، ومن ذلك نَشَأُ آخر يقرآن القرآن يكونون في آخر هذه الأمة يشكرونه شر الشكر ، لا يجاوزون فراخهم ، تسبق قراعتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم الغيبة له قال : والله للشيعة أسرع في دين المؤمن من الأمانة في جسده . وكان يقول : ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بسبب عيوبك ، وحتى تبدأ بمصلاح ذلك السبب فتصالحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كل ذلك شئت في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كل عتكنا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الناس سرور . وقال : ليس المبتدع غيبة . وقال أصلم بن طريف : قلت للحسن : الرجل الظاهر المسلم بغيره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قومًا يجلسونك ليجدوا بذلك إلى الواقعة فيك سيلا ، فقال : هون عليك يا هذا فاني ألهمت نفسي في الجنان قطعت ، وأطعمتها في النجاة من النار قطعت ، وأطعمتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سيلا ، فان الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن خلقك مشايهم ؟ وقال : كانوا يقولون : من دس أخاء بذيئ قد تلبس منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذئب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني إليك والسكذب فإنه شقي كاحم المعنور عما قليل يفاد ساجده . وقال الحسن : أخبروا الناس بأعيانهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً بالاجمل عليه دليل من عمل يصح أن يكون عليه ، فإن سمعت قولاً حسناً فريداً بصاحباً ، فإن وافق قول عملاً فاهم ولممت عين أخيه ، وأخيه ، وإذا خالف قول عملاً فامذا يشبه عليك منه ، أم ماذا يخفى عليك منه ؟ إنك وإنه لا يفتدئك كما يفتدع من آدم ، إن لك قولاً وعملاً ، فهلك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعملانية . فليس يوتك أحق بك من علانيتك ، وإن لك طاعة وعقبة ، فعلمت أنك أحق لك من علانيتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أن أبا عبدان بن عثمان أنبأهم عن يحيى بن الحنفية عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حسنة الناس حسنة النظر ميت القلب والصل . أنت أبصر به من نفسه ، ترى أهدانا ولا تلبس ، وتسبح الصوت ولا تلبس . الخشب المستور وجذب قلباً ، يأكل أحدهم من غير مثله ويبيح دلي عليه . فإذا كسبه البطش قال : يا بؤرة أو يا غلام أيتني بها خيم ، وهل هطعت يا مسكين إلا دينك . وقال : من دق فيه رفق دينه . ومن سخن جسده هزل دينه ، ومن طاب طعامه أثنى كسبه . وقال فيما رواه عنه الأعمش : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال منه ، لا يخلفه في الرجال ، ولا يأتين عليه الرجال . وقال في قوله تعالى :
 (فلا أقسم بالنفس اللامية) قال : لا تلقى الموت إلا يوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت
 بأكلة كذا ، ما أردت بمجاس كذا ، وأما العاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا
 وتشددوا فإنا هي لبال تعد ، وإنما أنتم ركب روقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ،
 فاقبلوا بصالح ما يحضركم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما يصبر
 على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت
 المحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله
 ابن المبارك عن معمر بن يحيى بن المختار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه الله
 عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم
 القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء ويمجبه فيقول : والله
 إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك ، واسكن والله ما من صلة إليك ، هيهات حبل بيني وبينك ، ويفرط
 منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبدا إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوتتهم
 القرآن وحال بينهم وبين هملتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسمى في فكك رقبتك ، لا يأمن شيئا
 حتى ياتى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في شمة وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا
 صعب شديد ، وإنما ممول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فككيس ، فإك إن دخلت
 النار لم تجبر بعدها أبدا . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر
 عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يمزج من ذلها ، الناس حال وله
 حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يملك المرء
 نفسه . وقال : أدركت صدر ههنا الأمة وخيارها وضل عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله
 لهم أزهدهم في حرم الله عمايسكم ، أدركتهم عاملين بكتب ربهم ، متبعين سنة نبيهم ، ما طوى
 أحدكم ثوبا ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهله بصنع طعام ، كان أحدكم يدخل منزله فإن
 قُرب إليه شيء أكل وإلا سكت فلا يشككم في ذلك . وقال إن المذائق إذا صلى صلى رياء أو حياء من
 الناس أو خوفاء ، وإذا صلى صلى فقر أحم الدنيا ، وإن فاته الصلاة لم يندم عليها ولم يمزج فوائها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت : من جهل الحمد لله على النعم حصنا وحايضا
 وجعل أداء الزكاة على المال سياجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائسا ، أمن العطش ، وبلغ أعلى
 الرتب . ومن كان للمال قانعا ، وله عن الحقوق حايضا ، وشمله وأملاه عن طاعة الله كان لنفسه ظالما

واقبله بما جنت يدها كلها ، وسلط الله على ماله سالبا وخلسا ، ولم يأمل العذاب في سائر وجوه العذاب
وقيل : إن هذا لغيره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربح من كن فيه ألقى الله عليه محبته ، ونشر عليه رحمة ، من روى لوالديه ، وروى
لأمهاته ، وكفل اليتيم ، وأعان الضعيف ، وسئل الحسن عن التناقض فقال : هو اختلاف السر والسلافة
والمتخل والمخرج ، وقال : ما خاف إلا مؤمن ، ولا تمت إلا منافق ، ومن التناقض : وسألت الحسن :
ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف التناقض ، وفي رواية : إلا وهو من التناقض مشفق ، ولا مضى
منافق ولا بقي إلا وهو من التناقض آمن . وكسب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف جبت لك الدنيا
والدرهم ؟ قال : لا أحبها ، فكسب إليهم : قول فاك تسديل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت
أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبه حديث عهد بمديونة ، وقال مسيب : لم رأيت الحسن
أثقت : قد بث عليه حزن الخلاق ، وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن ومحمد بن
عبد العزيز ، كأن النار لم تنفك إلا طما . وقال ابن سباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يذبحك ،
وأربعين سنة لم يمزح ، وقال : ما سمع الخلاق بعرة بادية ، وعين بأكية مثل يوم القيامة ، وقال :
ابن آدم ! إنك تظن غداً إلى عمالك يوم خير ، وبشره ، فلا تقومون شيئا من الشر أن تنقيه ، فأنك
إذا رأيت غداً في ميزانك شرك^(١) مكانه . وقال : ذهبت الدنيا وبقيت أديانكم ، فأنتم في التناقض
وقال : ابن آدم ! بيع دنياك بأخرتك ، فربها جميعا ، ولا تبيع آخرتك بدنياك ففترعها جميعا ، وهذا
مأثور عن لقمان أنه قال لولده .

وقال الحسن : تجد الرجل قد ناس الأحر والأبيض ، وقال : علما فافترى إلى ، قال الحسن :
قد رأيتك يا أفسق الغاستين فلا أعلا بك ولا سهلا ، فلما أعل الدنيا ففترى اكتسبوا بظنهم إليك
مز يد حرص على دنياهم ، وجروا على شهوات الفنى في بطونهم وظهورهم . ولما أعل الآخرة ففترى
كروك ومقتورك . وقال : إليهم : إن هملجت بهم البراءين ، وذهرت بهم النعمان . ووطئت أعقابهم
الرجال ، إن ذل المعاصى لا يفارق قلوبهم ، يأبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد : ألا يعجبك من محمد بن الاعتر ؟ قال : ماله
قلنا : دخلنا عليه آنفا وهو يحمد نفسه فقال : انظر يا بني ذاك المستعوف ، وأعدنى حتى حادى في
جانب بيت . فقال : هذا المستعوف فيه ثمان ألف دينار . قال : دعي . لم يؤد ما في ذكرك ، لم
أسل منها ربحا ، لم يأكل منها [محتاج] . قلنا : يا أبا سعيد الله ، فقلنا : كنت تحبها ، قال : نعم ، والله
أؤمن ، ومكانة الأقران ، مبنوة الساطن . فقال : انظر يا بني أين أنا شيطانة الشفة ورواية النكا ،

(١) كذا بالأصل وفيه نقص يظهر بالتأمل .

ومكثرة أفرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها النوارث : لا تخذعن كما خدع صويحبك بالأمس ،
جاءك هذا المال لم تنسب لك فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، جاءك من كان له جموعاً منوعاً ، من
باطل جمعه ، من حق منه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لنذو حسرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت
ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والافئاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان
الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بيباقية لحى * ولا حى على الدنيا بيباق

وبهذا البيت في آخر النهار :

يسر الفنى ما كان قدم من تقي * إذا عرف الداء الذى هو قاتله

ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعا له وحضكه . ومات بالبصرة في سنة عشر
ومائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

(محمد بن سيرين)

أبو بكر بن أبي عمرو الأنصاري ، مولى أنس بن مالك النضري ، كان أبوه من سبي عيينة التمر
أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد
هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبود ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء ،
رحمهم الله تعالى .

قال البخاري : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدق من
أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل يسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان
محمد بن سيرين قد أعطى هدياً وعمناً وخشوعاً ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن
مالك أوصى أن يغسله محمد بن سيرين . وكان محمد محبوباً . فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوب
فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسني ، إنما حبسني من له الحق ، فأذن
له صاحب الحق فغسله . وقال يونس : ما عرض لمحمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوثقهما في دينه ،
وقال : إني لأعلم الذنب الذي حملت بسببه ، إني قلت يوماً لرجل : يا فلان ، فذكر هذا لأبي سليمان
الداراني فقتل : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا . ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى ،
ولا بأي ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى ولجة يدخل منزله فيقول : ليتوني بشرية سويق فيشربها
ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موائدهم وطعامهم . وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله
ويسبحه ويندكره ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وقال : إذا أراد الله بمعبود خيراً جعل له واعظاً

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتذكرتم خيره .
 وقال : الميزة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كان يتغير لونه وينسحر حاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في اليقظة ولا يفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنني أصب الزيت في الزيتون ، فقال : ففتش على امرأتك فانها أدك ، ففتش فإذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صفيراً سبيحاً مكث في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشتراها جاهلاً بأنها أمه ، فلما رأى عنه الرؤيا وذكرها لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنني دست - أو قال وطئت - تمره فخرجت منها فأرة . فقال له : تتزوج امرأة - أو قال : تحب امرأة - صالحة تلد بنتاً فاسقة ، فسكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأنني على سطح يقي حبات شمع فجاء ديك فغلبها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني . فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محملك فخذ منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال له رجل : رأيت الحمام تلتقط الياسين . فقال : مات علماء البصرة . وأما رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً واقفاً على مزبلة ويده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجليه ، وعريته تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواقف التي يقرع بها آذان الناس . وقال له آخر : رأيت كأنني أسنك والدم يسيل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم وتخرج في بابهم وتأتبه ^(١) .

وقال له آخر : رأيت كأنني أرى اللؤلؤ في الخماة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا يتفنع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ منه قطعة . فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه وهي حساب الجمل ، فالسبع ستون ، والثلثون خمسون ، والواو ستة والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبد في جواركم ، فازدوا عبداً أسود كان في جوارهم وضرب فأقر بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأما أنظر إليها . فقال له مؤذن أنت ؟ قل : نعم . قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسجها أكسها . بعته في السوق . فقال له : اتق الله فانك شاعر زور . وقال له آخر : رأيت كأنني أكل أصابع ، فقال له تأكل من عمل يديك . وقال له رجل

انظر هل ترى في المسجد أحدا ؟ فنسحب فنسار ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال :
 ليس أشرتلك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ^(١) . وقال عن رجل ذكر له
 ذلك الأسود ، ثم قال : استغفر الله ! ما أراي إلا قد اغتبت الرجل . وكان الرجل أسود . وقال :
 اشترك سبعة في قتل امرأة فقتلهم عمر ، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبنت خضراء .
 ﴿ وهب بن منبه الجاني ﴾

تابعي جليل ، وله معرفة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كتب الأخبار ، وله صلاح وعبادة ،
 وروى عنه أقوال حسنة وحسبكم وهو اعظم ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل والله الجسد . قال
 الواقسي : توفي بصنعاء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : بسندها سنة ، وقيل بأكثر ، والله أعلم .
 ويرحم بعض الناس أن قبره غربي بصرى بقرية يقال لها عصم . ولم أجد لذلك أصلاً ، والله أعلم .
 انتهى ما ذكره المؤلف .

﴿ فصل ﴾

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والتميم بن بشير .
 وروى عن مساذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه من التابعين عدة . وقال وهب : مثل
 من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب مده شفاء لا يتداوى به . وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش
 قال : كنت جالساً مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال له : إني مررت بفيلان وهو يشتمك ، فغضب
 وقال : ما وجد الشيطان رسولاً غيرك ، فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد
 عليه السلام ، ومديده إليه وصلاته وأجلسه إلى جنبه . وقال ابن طاوس : سمعت وهب يقول : ابن
 آدم احتل لدينك فن رزقت سيأتيك . وقال وهب : كفى أهل النار والعري كان خيراً لهم ، وطهروا
 واجزوا كان خيراً لهم ، وأندوا الطياف والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : انهم
 أيما فقير سأل غنيا اتصل به ، فأسألك إذا دماك فلا تجهد ، وإذا سألك فلا تعطه . وقال : قرأت في
 بعض كتب الله : ابن آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فإن مثلك كمثل
 رجل احتطب حطباً فخرم حزمة فذهب يحملها فمجز عنها فظم إليها أخرى . وقال : إن لله ثمانية
 عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العمارة في الخراب إلا كفضطاط في الصحراء .

وروى البخاري عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في تصعبك
 وعملك لله . فإن العمل لا يقبل من ليس بتصعب ، والتصعب لله لا يكن إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة
 الحليمة ريعها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، والتصعب ريعها ، والعمل طعمها ، ثم رزق طاعتك بالحلم
 (١) كذا الأصل ، وفيه تحريف .

والمقل ، والفقه ، والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا ، وعبيد الدنيا على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكما ، وأمنعها عمل الأشقياء ، وأزمها سيرة الأتقياء ، واعز بها عن سبيل الخبيثاء ، وما كان لك من فضل فأعني به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فوائده وعاد بها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقويها ويرجيها حتى يبلغه ، إن كان قتيها حل من لاقته له إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصاحبا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يفتر بالقول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعل ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على أن يفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبهه بل يطلب ما لم يبلغ منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فإن الكذب كالأكلة في الجسد تكاد تأكله . أو كالأكلة في الخشب ، يرى ظهرها حسنا وجوفها فخرا فمن يراها حتى تنكسر على ما فيها وتملك من اغتر بها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتر به ، يظن أنه مينة على حاجته ورائد له في رغبته ، حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين الذي يقول غروره . فتستبدل الفقه ما كان يستغنى به عنه ، فإذا اطلسوا على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبأوا شهادته ، واتهموا صدقه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا نجاسته ، واستغفروا منه بسر أترهم ، وكتبوه حديثهم ، وحسروا عنه أماناتهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحذروا على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروا شيئا من محاضراتهم ، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ، ولم يحكموه فيما شجر بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الله ذكر والفتنة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر من الآيات : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله . ومن شكك مصيبة نزلت به فأنما يشكروا به عز وجل ، ومن أسف على ما فاتته من الدنيا لم يخط قطارة به عز وجل ، ومن قنع بضع لغني ذهب ثلاث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : إنما دار بنيت بقوة الضمائم جعلت رقبتها إلى الخراب ، وأما مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر بن محمد بن عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبدي استجبت له من قبل أن يستعوني ، وأعطيت من قبل أن يسألني ، وإن عبدي إذا أطاعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جملة له المخرج من ذلك ، وإن عصى إذا عصاني قطعت يديه من أبواب السماء ، وجملة في الهواء فلا يمنع من شيء أرادته من خلق . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أجباز بنى إسرائيل : تقتلون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الفأر ، وتحمّلون نفس الذباب ، وتقتلون الغنم من شراكم ، وتقتلون أمثال الجبال من الحرام ، وتقتلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لا تعينهم برفع المناسك ، تطيلون الصلاة وتبعضون الشيا ، تقتصرون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فجزّفت لأخسر بشكم بغتة يغفل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم .

وقال العلاء بن راعي : حدثنا عبد الله بن محمد السنائي حدثنا همام بن مسامة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مفضل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس يصعد أحداً على طاعة ، ولا ينزل أحداً من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شراً ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إليهم ، إن مكرهوا به أباد مكرهم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذبهم ، وإن أدبروا قطع دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإن يأتى بالخير من الله تعالى رحمته ، ومن لم يتبع الخير من قبل رحمته لا يجد باباً غير ذلك يدخل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شيئاً إلا تمهيدهم له ، وتضرعهم إليه حتى يرجعهم ، فإذا رجعهم استخرجت رحمته منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا تمهيد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير يفتنى من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كذا ، وباب خزائن الله رحمته ، ومفتاح رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فاحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهى الأنفس وتلد الأعين وفيها ما تشاؤون وما تدعون في مقام أمين ، لا يمحون عند ولا ينجفون ولا ينصبون ولا يبرمون ولا يقترون ولا يمتنون . في نعم مقيم ، وأجر عظيم ، وأواب كريم ، نزل من غفور رحيم .

وقال مكي بن عبد الله : قال وهب : أغن عن الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا ، وأسرها رداً اتباع الطوع وحسب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تنكح الحرام ، ومن انتهك المحارم يغضب الرب ، ويغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى في بعض كتبه يعتب به بنى إسرائيل : إني إذا أطعت رضيت ، وإذا عصيت باركت ، وليس البر كفى نهاية ، وإذا عصيت غضبت ، وإذا غضبت لعنت ، ومن الأمثلة على تبايع السابغ من المواد . وقال : كان في بنى إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل ما أتى سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فألقوه على عزيلة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يا رب إن بنى إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك ما أتى سنة ، قال الله له : إنهم هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى أسمه عند صلى الله عليه وسلم قبله ووضع يده عليه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كما روى وفيه عمل ، ولا يصح ذلك ، وفي إسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يا رب احبس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هذا بنفسى . وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ربي من خلفه ، عز جارك وجل ثاؤك ، ولا إله غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره وسجد له ساجداً ثم أقامه المالك معه على السرير ، وقال : (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فقال : (استعطني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) حفيظ بهذه السنين وما استودعني فيها ، عليم بقلوب من يأتيني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن الزمان الأفطس أنه سمع وهباً يقول : لما أمر الله الخوف أن لا يضروه ولا يكلمه - يعني يونس - قال : (فلو لا أنه كان من المسيحين لابت في بطنه إلى يوم يبعثون) قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المتقدمة ، فلما خرج من البحر قام فأنبت الله شجرة من يثاين - وهو الدباء - فلما رآها قد أنظمت ورأى خضرتها فأنجرت ، ثم قام فاستقيظ فإذا هي قد يبست ، فجعل يتعزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تصنع ولم تقرب وتقرن عليها ، وأما الذي خلقت مائة ألف من النار أو يزيدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد القسائي حدثنا وياح حدثني عبد الملك بن عبد الحميد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يا رب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعنق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمل والقطر ؟ قال : من أتى بينهم المداوة ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فأتى أثلاث بينهم حتى لا يتضرروا .

وقال وهب اعطاء الخراساني : ويحك يا عطاء ، ألم أخبر أنك تحمل على أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ، ويحك يا عطاء ، أناني من يملك بيت فارس ، ويغفر لك فقره ، ويؤدى عنك غنائه ، وترتك باب من يقول : (ادعوني أستجب لكم) ، ويحك يا عطاء ، إن كان يغفرك ما يغفرك فأوحى ما في الدنيا يكفيك . وإن كان لا يغفرك ما يغفرك فإيس في الدنيا شيء يكفيك ، ويحك يا عطاء ، إنما يطعك بحر من البحور ، وواد من الأودية . لا مدد ، شئ إلا الغراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنوتاً وحسنه ، والاخر أقبل سجدته ، فأبى ما أفضل ؟ فقال : أنصحهما الله عز وجل . وقيل : من خصل المداوي أن يحب الله ويكره الدم ، أي

يحب أن يحمد على ما لم يفعل ، ويكره أن ينم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني أعقل عن الله فان أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العقول ما يستطيع أن يكايده . وقال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طباً لا يتهافت فيه الأطباء ، وفقهاً لا يتهافت فيه الفقهاء ، وحكمة لا يتهافت فيها الحكماء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قال : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحمدته على آخره ، وأما الفقه فان سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا فقل : لا أدري ، وأما الحكم فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقان ، الحياء والرغبة ، طمع في رشده . وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك من لا يعقل كمن يغنى الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يبذل الصخر الأصم كي يلين ، وكمن يطبخ الحديد يلمس أدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يضع المائدة لأهل القبور ، وتقل الحجارة من رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ما ذا قدمتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، ولبيتهم إذ خففوا علموا لما ذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة فغفوا حنركم . وقال : قال دانيال : يظفي على زمن يتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كالسبلة في أثر الحاصد ، أو كالخصلة في أثر القاطف ، يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيهم . وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن مقل . قال : سمعت وهباً يقول في قوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بعبد شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقكم وأفنيكم بحكمي حق قضائي وفادأمرى ، أنا أعيدكم كما خلقتكم ، وأفنيكم حتى أبقى وحدي ، فان الملك والخلود لا يحق إلا لي ، أدعو خلقي وأجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، وتجل القلوب من هييتي ، وتبهر الأكلة ممن عبدها دوني .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما شو أهله وذكر عظمته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته ومملكته وربوبيته ، فأصمت كل شيء وأطرق له . فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو المرش الجيد والأمثال العلاء ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الفضول والمان والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمتي ، وقهر كل شيء منسكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ، وأحصى كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لطفي ، فأننا الله يا معشر الخلق

فاعرفوا مكانى ، فليس شئ فى السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بى ، ويتقلب فى قبضتى ، ويدش برزقى ، وحياته وموته وبقائه وفناءه بيدي ، فليس له شئ من ولا ما يجزئ غيرى ، لو تخليت عنه طرفه عين لدمركه ، وكنت أنا على حال لا ينقصنى ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكى شيئاً ، وأنا مستغن بالمرء كله فى جبروتى وملكى ، وبرهان نورى ، وشديد بطشى ، ودافو مكانى ، وعظمة شأى ، فلا شئ مثلى ، ولا إله غيرى ، وليس ينبغى لشيء خلقته أن يعدل بى ولا يشكرنى ، وكيف يشكرنى من خلقته يوم خلقته على معرفتى ؟ أم كيف يكابرنى من قهر قهره ملكى ؟ أم كيف يعجزنى من ناصيته بيدي ؟ أم كيف يعدل بى من أعزده وأمتعهم جسمه وأنتص عقله وأتوفى نفسه وأخلقته وأهرمه فلا يتجافى ، أم كيف يستنكف عن عبادتى عبسدى وابن عبسدى وابن أبنى ، ومن لا ينسب إلى خالق ولا وارث غيرى ؟ أم كيف يعبد دوى من تخلقاه الأيام ، ويعنف أجهل اختلاف الليل والنهار ، وهما تبعه يسيرة من سلطانى ؟ قالى : إلى يا أهل الموت والغناء ، لا إلى غيرى ، فأتى كعبت الرحمة على ندى بقضيت العفو والمغفرة لمن استغفرنى ، أغفر الذنوب جهيماً ، صغبرها وكبرها لمن استغفرنى ، ولا يكبر ذلك على ولا يتماطلى ، فلا تملقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تشقوا من رحمتى ، فإن رحمتى سبقت غضبى ، وخزائن الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت منى إليه ، وإن كان لأبين به قدرتى ، ولينظر الناظرين فى ملكى ، ويتدبروا حكمتى ، وليستبحوا بحمدي ويسجدوا لا يشركوا بى شيئاً ، ولتعدو الوجوه كلها إلى .

وقال أشرس عن وهب قل قل داود : هل من أين أجرك ؟ قال عند الممكثرة قلهم من خافنى .
وقال كثر رجل من بنى إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر فى كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يرده كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجيب ، قال فى نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بينى وبين ربى لكان خيراً من هذا الأمر الذى أضل ، ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس من قبلك أتيت . لو علم الله فيك خيراً لنقض حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لفلان العابد : إزدأك على نفسك وكلامك الذى تسكمت به ، أعجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بعمرك فانظر الآن ، فنظر فإذا أحببته لا بأس قد أحسنت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بنى آدم إلا وحوله شياطين مثل الثياب ، فقال : رأى رب ، ومن ينهى من هؤلاء ، قال صاحب القلب البادع النابى .

وقال وهب : كان رجل من السالمين فأتى على بوض فبها ماء ، فذمته نفسه إلى أخاه نبي الله ، فذمها بتمام مكانه يصلح ثلاثة أيام ، فمر رجل وقد لوحته الشمس والريح ، فله انظر إليه قال :

سبعمان الله !! لسكنائنا أحرقت هذا الانسان بالنار ، فقال السائح : فكذلك بلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف بي لو قد دخلتها ؟ !

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنباً فقال : لله على أن لا يظلمى ستم بيت أبداً حتى تأتي براءة من النار ، فسكان بالصعراء في الحر والقر ، فر به رجل فرأى شدة حره فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما ترى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف بي إذا أنا وقعت فيها ؟ . وقال : لا يكون البطلان من الحكمة أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب في وعظته : اليوم يعطى السميد ، ويستكثر من منافعه الألييب ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجهالة عنك ، وإنما أوقدت فيه مصابيح الهدى لتنبيه لحنك ، فلم أر كالذيوم ضل مع نوره متعير دافع لمدواة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضنف من مخلوق ، ولا أفدر من طلبته في يده ، ولا أضنف ممن هو في يد طالبيه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الحيلة في بقاء ما سيذهب ؟ يا ابن آدم اقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد . واقطع الرجاء عنك كما قدمت به عنك الأشياء ، واعلم أنه رب مطلوب هو شر لطلبه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترتجى ؟ يوم يحى في عتم أو يوم تستأخر عاقبته عن أنوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر تجده ثلاثة أيام ، يوم مضى لا تجوده ، ويوم لا بد منه ، ويوم يحى لا تأمده ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد فحمت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل الغيبة عنك ، وهو سريلع الظعن إليك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فإن كان ما فيه لك فاشغفه بمثله أوثق لك باجتماع شهادتهم ما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحاطهم إلا في غيرها ، وإنما يتبلدون بالسوارى فما أحسنه - يعنى الشكر - النعم والتسليم لله ما د ، يا ابن آدم إنما النشء من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ ! إنما يقر الفروع بعد الأصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية في عقاب من ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقنا ولم نكن ، وسنبلى ثم نمود . ألا وإنما العوارى اليوم والمنات غدا ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصبحوا ما تتدهون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس ! ! إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تقتضى فيه الدنيا ، وإن ما أنتم فيه من دنيا كم تنهب للهائب ، لا تتلون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم ممر يوم من عمره إلا بهدم آخر من أجده ، ولا يتخذ له زيادة في ماله إلا بشقاء ما قبله من رزقه ، ولا يحى له أثر إلا مات له أثر . نسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه الدلالة .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن صريان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم ^(١) لسانها ، وإن فتر ساقها حزنت ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعا استقامتا طوعاً أو كرهاً ، ولا يستطيع الدين إلا بالأنوع والسكره ، وإن كان كلاً كره إلا أن شديداً من دينه تركه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خاتمه ومتاثيره ، فله خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنقضي الأيام ولا تنهمر منه وتباليه ويموت ، ومنه خالق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خالق يطعم ويرزق ، خلفه الله وخالق منه رزقه ، ثم خالق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق الخلق في البحر وفي البر ، ولا ينفق رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، لو خرج مافي البحر إلى البر هلك ، ولو دخل مافي البر إلى البحر هلك ، ففي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أهمت قسمة الأرزاق والمعيشة فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكون فيها شيء إلا كقسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغير ما ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أصابها ذلك وأحياتها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقعه بما قسم الله له من رزقه أحياه ذلك وأصابه ، فإذا تعاطى رزق غيره اتقصه ذلك وخسره وفوضه .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكأنما لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكأن أهل الدنيا يبتلون إليهم دنياهم ودينهم في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبتلون لأهل الدنيا علمهم وغيباً في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فأبكت إعطاء وأبواب السلطان شأن عدد أبوابهم فتناً ككبائر الأبل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجليلي : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المتقدم حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إني عالم علماً هو فوقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ فقال : ما أحسب أحداً سمع بكراً الجنة والنار يأتي عليه صلاة لا يصلي فيها ، قال : فكيف ذكرك الموت ؟ قال : ما أرفع قديماً ولا أضيق آخرى إلا رأيت نبي الموت . قال : فكيف صلاتك أنت أم الرجل ؟ قال : إني لأصلي وأبكي حتى يابست العشب من دمعي . فقال له : أما رأيت أن تصليك وأنت متعريف بنفسيتك خير لك من أن تبكي وأنت مدني بعلمك ، فإن المثل لا يرفع له عمل . فقال : أوصني فإني أراك حكيماً ، قال : أزهده في الدنيا ولا تنزع أعقابها ، وإن فيها كرامة . إن كذا بالأصل وفيه نقص أو تحريف فليحذر .

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تكسره ، وإنصح الله
 نصح السكاب لأهله ، فانهم يحيمونه ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ،
 وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : وأسرأناه إذا كان السكاب أنصح لأهله
 منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قدمي ، فقال له : إنك إن
 تبت قائبا ، وتصبح نادما ، خير لك من أن تبيت قائما وتصبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان
 عن رجل من أهل صنعاء عن وهب فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الصلت بن عاصم المرادي
 عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لتفقد أصوات الملائكة ، فمبط عليه جبريل
 فقال : يا آدم ألا أعلمك شيئا تلتفتع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم نم لي النعمة
 حتى تمناني مني ، اللهم أختم لي بخير حتى لا تضربني ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول
 في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت
 الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما أنصفتني ، تذكرني وتنسائي ، وتدعو إلي وتفر مني ، خيرى إليك
 نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أجلك ، يا ابن آدم إن أحب ما تكون
 إلى وأقرب ما تكون مني إذا رضيت بما قسمت لك ، وأبغض ما تكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا
 سخطت بما قسمت لك . يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ، ولا تملني بما يصلحك ، إني عالم بخلقى ، وأنا
 أعلم بحاجتك التي ترفعك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ،
 لست بشاظر في حق عبي حتى ينظر العبد في حقى . وقال وهب : قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب
 الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن
 آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فإن تقلل ابن آدم شيئا من رزقه فليزدد إلى الله
 رغبة ، ولا يقول : لو أطلع الله على هذا من حالي ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذي
 خلقه وقدره ؟ أو يمتدح ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في
 الأجسام والألوان والعقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق
 والمشيئة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في العلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذي
 رزقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن
 الرابع . أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو
 في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شيء ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،

ولا رجل تسمى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هناك على أنم الوجوه وأهناها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك الميزلة إلى غيرها . ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويفنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعي ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وساقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللين إلى رزق يحدته له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثره على نفسيهما بكسبهما ، ويفتيها ويفتيها بطيب ما يتدران عليه من الأغذية ، وهو لا يعينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بحيلته وهكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طلب الدين ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والایمان ، ويمتلئ قلبه فقرًا وخوفًا منه مع المنافع ، ويبتلى بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعم أنه ان يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مثال له ولا ممدرة مما ساط عليه في الزمن الرابع إلا برحمة الله ، فان ابن آدم كثير الشك يقتصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكير في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خاتمة الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقيت وهباً في الطريق فقلت : حدثني حديثاً أحفظه عندك في مقامى هذا وأوجز . فقال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خاقي أعلم ذلك من نيته ، فتكيد السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجاً ومخرجاً ، أما وعزتي وجلالي لا يعتمر عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ، ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي شام الصنعاني قال : حدثني عبد الحميد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كذبتني للعبد ما آلا . إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، وأستجيب له من قبل أن يدعوني ، فأرى أعلم بعاجته التي ترفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكذب شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجاهل الناصم . إنه لجاهل المؤمن العاقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآته بنو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى العلم فإذا هو بأمر أبيض

فيه مثل رؤس الكشبان كافور محفوف بالراحين ، فلما رآه أعجبه فسخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكشيب الآخر الذي فوق الطور ، فاذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قال : بلى فنزل فخر ، فقال لهما : لتحدثاني مثل من الرجل ؟ فقالا : على طولك وحيثك ، فاضطجع فيه لينظر وا قالتا عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لولا أنى كتبنا الموت على الميت لحبسنا الناس في بيوتهم ، ولولا أنى كتبنا الفساد على اللاحم لحرمنا الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرَّ عابد براهب فقال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مرَّ فان الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك الموت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تعالى عليه ساعة إلا يذكّر الموت فيها ، وما أرفع قدماً إلا وأنا أظن أن لا أضيقها حتى أموت ، وما أضع قدماً إلا وأنا أظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فجعل العابد يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكائك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكي عند إفطاري فأشرب شرابي بدموعي ، ويصبر عني النوم فأبلى متاعى بدموعي ، فقال له الراهب : إياك إن أضحك وأنت متفرج بذنبك خير لك من أن تبكي وأنت مدل على الله بمذنبك . فقال : أوصني بوصية ، قال : كن في الدنيا بمنزلة النخلة ، إن أكات أكات طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن سقطت على شيء لم تضره ، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه في التراب ، وانصح الله فاصح الكلاب لأهلها ، فانهم يحيمونه ويتردونه ، وهو يأبى إلا أن يحرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طائوس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون الكلاب أنصح لأهلها منا لولانا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب في صومته في زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيد فلم يقدر عليه ، فأناه بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأناه مقشعاً بالمسيح فتأناه : أيها الراهب اشرف على أكلك فأنا المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فإلى إيليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فبك . قال : فذهب عنه الشيطان خسئاً وهو حدير ، فلم يعد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً في صومته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت المسيح فما عسى أن أصنع بك اليوم شيئاً ، لقد باعنا رسالة ربك عز وجل فقبلناها عنك ، وشرعت لنا الدين

فمن عليهما ، فاذهب فاستبفتح لك قتال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً
فسألني عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فيه . قال :
فأخبرني أي أخلق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلهم به ؟ قال ثلاثة أشياء : الجبن : والشح ، والشكر .
وقال وهب : قال موسى : يارب أي عبادك ^(١) قال : من لا تنفقه موعظة ، ولا يذكرني إذا خلا ،
قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلمه ؟ قال : يا موسى أخلقه يوم القيامة بظل عروشي ،
وأجعلني في كنفه . وقال وهب : إني عالم عالم هو فوق في العلم فقال له : رحمتك الله ما هذا البناء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكنك من الغيث . قال : فما هذا الطعام الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف . قال : فما هذا اللباس الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير قبح ولا تلون . قال : فما هذا
الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .
قال : كم أخفى من عملي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلن من عملي ؟ قال :
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما ياتكم بك الخريص ، واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل
شيء طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فمليكم
بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في النوراة : من لم يشار به يدم ، ومن استغنى استأثر ،
والفقر الموت الأحر ، وكما تدين تدان ، ومن فجر فجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل
من أفضل أهل زمانه ، وكان يزور فيمظلم ، فاجتهدوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا عن الدنيا
وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد خذنا أن يكون قد دخل علينا في حلنا هذه من الطغيان
أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى المالك في ملكهم ، وأنا يحب أحدنا
أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أن يجاهي لمسكن دينه ، وأن يعظم إذا اتى الناس لمسكن
دينه ، وجعل يعدد آفات السلا ، والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حسب الشرف والعظيم .
قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فحجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي
لأن يزور ، ثم اتعدوا لزيارته يوماً ، فركب إليه الملك لوسم عليه ، فأشرف العابد . وكان عالماً مجيد
العلم بأفات العلوم والأخبار وحسائس النفوس . فرأى الأرض التي تمت مكانه قد سدت بالطين
والفرسان ، فقال ما هذا ؟ فقبل له : هذا الملك قاصد إليك يسلم عليك لما بلغه من حسن كلامك ،
(١) كذا بالأصل .

فقال : إنا لله ، وما أضنع به ؟ هلكنا والله إن لم نلق الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأت به فضمه بين أيدينا ، قال : هو شيء من ثمر الشجر ، وهو شيء من بقل وزيتون ، قال : فأت به ، فأتى به ، ثم أمر بجماعته فاجتمعوا حول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، أمل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فأتى أخف الفتنة والشهرة وامتلاء القلب منهما ، فلا تخلص إلا بنار جهنم . قال : فبكي القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جبلهم الذي هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد في الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا في الأكل العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الفاضل ينف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فيه ، فسلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالنفس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدبر الملك خارجاً عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك ! الحمد لله الذي صرفك عني وأنت في كاره - أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به - وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي لأثم .

وفي رواية أن هذا العابد كان ملكاً ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والعمل الصالح فوعظه ، فاعده معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلباً لما عنده في الدار الآخرة ، وأنه وافقه جماعة من بنيده وأهل ورؤس دولته ، فخرجوا برمتهم ، لا يدري أحد أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل العدل والخير والخوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجل ، فساروا حتى أتوا جبلاً في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حيناً فقتل الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدعونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فنزل مكاناً بعيداً عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلموا منا ، فساروا من ذلك الجبل طابعين بلاداً لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلاً ثانياً عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قليل الدواب ، وإذا في ذروته عين ماء جارية وأرض متسمة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فنزلوا به وبناؤا به لما كن للعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتون بها ، وأشجار زيتون . وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم ، فجعلوا يأتونهم ويوزونهم ، إلى أن شاع

ذلك الكلام المنتسب عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد فتصدعهم للزيارة ، فذكر النصبة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهّد الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصا - من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها معرضا ، من لم يبال من أين كسبه منها حلالا كان أو حراما ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بمحقوق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلا فيما سوى ذلك ، وإن أنجل الناس في الدنيا من بخل بمحقوق الله عز وجل وإن رآه الناس جوادا فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنفي حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال سمعت عطية بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رأى النور على وجهه موسى ثلاثة أيام ، ولم يمض موسى امرأة منذ كلمه ربه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارة حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه النخعي يقول : إن للنبوة أثقالا وثقولا لا يحملها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبدا صالحا ، وكان في خلته ضيق ، فلما حملت عليه النبوة تمسخ تمسخها أربع تحت الحبل ، فرفضها من يده وخرج هاربا ، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال : (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم) الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الرياح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، فذلك سمع كلام النملة .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا صاح أربعين سنة أرى شيئا ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فراح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والداي فما ذنبي ؟ قال : فأرى ما كنت ترى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كنت والداي قد أضرس أنا ، وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كنت والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمت غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل خرتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الإنسان زائغ بصره ، فإذا فطر على حلالة عاد بعصره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال : سمعت رجلاً يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فرآه مفكراً ، فقال له : مالك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مات به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن أعجب ممن استقام كيف استقام .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بني إسرائيل أصابتهم عقوبة وشدة ، فقال النبي ﷺ : ودنا أن نذل ما الذي يرضى ربنا فتبهمه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوهم رضيت ، وإذا أسخطوهم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضا : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كان واقفاً على قبر ومعه السواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب القبر يدعى فيه ، قال : فذكروا من خلفه القبر وصيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أضيق من ذلك ، في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع واسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل عابد من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والنضب ، فلم يستطع منه شيئا من ذلك ، فتمثل له حية وهو يعض ، فغضى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عنقه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يمركه حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاءه على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذي أخفك ، أنتك من قبل الشهوة والنضب والرغبة ، وأنا الذي كنت أمثل لك بالسباح والحيات فلم أستطع منك شيئا ، وقد بدا لي أن أسادقك ولا آتيك في صلاتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا يوم خوفني سخطك ، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك . قال : سلني عما شئت أخبرك ، قال فما عسيت أن تسألني ؟ قال : ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقته . قال : ألا تسألني عن أهلك من مات منهم ومن بقي ؟ قال : أنا مت قبلهم . قال : ألا تسألني عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم . فأخبرني عن أوثق ما في نفسك فضل به بني آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والبخل ، والسكر . عن الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ماله في عينه ووعده في أموال الناس ، وإذا كان حديداً تناولنا بيننا كما يتناول الصبيان السكر ، ولو كان يحمي الموتى بدعوتهم نياح منه ، وكل ما ينيه يهده ، ولما كلف واحدة . وإذا سكر قد نادى إلى كل شر وفيضه وخزي وهو أن كما تقاد

زكريا من أضعافها ، وكتاب الله يدل عليها ، والایمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يا رب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يا رب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفي رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استغارنى فى أمر تغرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجعيد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن منقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يعبد الله تعالى ، فجاء إبليس أو شيطان فتمثل بإنسان فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى ، وجعل يزيد عليه فى العبادة ، فأحبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى صلاة - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهينا ، كان أعظم لأجرنا ، فأجاب السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يفتنك . فقال السائح : رجل خرجت فى معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معى : فسا حولها من موضعا ذلك حتى فارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهلمهم أمره ، فقال له صاحب الشرطة الملك - سرا بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جسدياً مما يحل لك أكله ثم ادفعه إلى حتى أصنعه لك على حديثه ، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جسدياً ، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجسد واجتمع الناس لينظروا أمر هذا العالم فيه أيأكل أم لا ، وقالوا إن أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحم الخنزير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجسد المذكي ، فسلم الله ذلك العالم فالتقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أتى أكلت لحم الجسد الذى أعلم حله أنا ، فإذا أصنع بمن لا أعلم ؟ والناس إنما ينتظرون أكلى ليقتهوا به ، وهم لا يدرون إلا أتى إنما أكلت لحم الخنزير فيما كونه انتداه به ، فما كونه من يحصل أو زارهم يوم القيامة ، لا أقبل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأنى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة يفر إلى ويومئ إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجسد ، فبنى أن يأكل . ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقنوه . قال له صاحب الشرطة : ما منك أن تأكل من اللحم الذى ذكيت أنت ودفعته

إلى ؟ أظننت أني أنيتك بغيره وختلتك فيما اقتضتني عليه ، ما كنت لأفعل والله . فقال له العالم :
 قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس في ، وهم إنما ينتظرون أن أكل من الله ، ولا يشرون
 إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد ، على أنه فيما يأتي من الزمان يقول : قد أكل
 فلان ، فأكون فتنه لهم . فقتل رحمه الله . فبلغني أنه لم أن يجزئ الله أب ، ويجوز الخشورات ،
 فان زلته ونافسته منظره يقتدى بها الجاهل . وقال ما ذن جيل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره :
 اتقوا زينة العالم ، فانه إذا زل زل برزقه عالم كبير . ولا ينبغي له أن يستعين بالزينة ، ومن صغرت ،
 ولا يفعل الرخص التي تختلف فيها العلماء ، فان العالم هو عصاة كل أعين من العوام ، من يصل على
 الحق ليدحضه ، ويقول : رأيت فسلانا العلم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفنون . وليستبب العوائد
 النفسية ، فانه قد يضل أشياء على حكم المادة فيظن الجاهل جاهل أو مسلمة أو رجيبة ، كما قيل : سل
 العالم يصدقك ولا تقصد بغيره الغريب ، ولكن سله عنه يصدقك إن كان ذا دين . وكما أفسد النظر
 إلى غائب علماء زمانك هذا من خلاق ، فالظن بغيرهم ومخالفتهم (من يهدي الله فهو
 المهتدي ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قالت لوط بن منبه :
 كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كما رأيتها ، قال : فذهب ذلك عني منذ ولدت
 القضاء . قال عبد الرزاق : حدثت به مرارا فقال : واللعن الله ما لم القضاء لم يصدده فمه ، فمن
 يؤمن القراء بعدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في فتنات الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما
 من بعد فتنه تمرلك ؟ فان القلوب قد اسلأت بحسب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها موطئا ، فبال من
 شئت منهم لتتفرق مبادئ جبر السهم وغاياتها ، ولا سيما ذلك البدوات وقائم الأور يهواؤها وخواتمها
 ونسجها ، وغاياتها . (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال وهب : البلاء
 الدؤوم كالشكال الدابة . وقال أبو بلال الأشعري عن أبي شهاب الصنعاني عن عبد الحميد عن وهب
 قال : من أصيب بشيء من البلاء فقد سلك به طريق الأبرياء . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل :
 حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا نضر قال : سمعت وعبال يقول : قرأت في كتاب رجل من الجوارين :
 إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاء فقلب نفسك ، فقد سلك بك طريق الأتوب . والصلح بين
 وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أمية بن شبل عن عثمان بن
 بزده قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة مع عرفة فموت فموت ابن عامر ، فقتل وهب وسعيد :
 يا أبا عبد الله ! كم لك منذ خفت من الحجلاج ؟ قال : خرجت عن امرأتي وهي حامل فجداني الذي في
 بطنها وقد خرج | شعر | وجهه ، فقتل له وهب : من كل قبضكم كان إذا لم يله بلاء شديد وجاه ،

وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادة من سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليدع غيره ، فأنما هو أنا وخلقنا كلهم لى . وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح بن جعفر بن محمد عن الشعبي عن وهب أنه قال : دخول الجبل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة . قال : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول روقوف الأغنياء في الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال سمعت زعبا يقول : ترك المكافأة من التعانيف . وقال الامام أحمد : حدثنا الطحاوي وأبو النصر قالا : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جهماد عن وهب قال : من يتعهد يزداد قوة ، ومن يتسكىل يزداد فترة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فبها خير لك من نومة توهن بدنك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرني الآن . وهذا أمر مجرب ، أن العبادة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيقتسيه ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الفيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولى من السكىل والفتور مالا يملأه إلا الله عز وجل .

وقد قيل لأحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالجليل فألبسهم نورا من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهل عروسا أقر ما كانت نفسه وآنس ، بأشد سرورا منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل بحياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسرورا ، وإذا قام من حزن به أصبح حزينا مكسورا القلب كأنه قد فقد شيئا ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى . ومنهاذة عن الأثمة ، وتذكير عن السيئات ، ومطرقة للشيطان عن الجسد » وقد رواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسند عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يعق الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدة ، يضرب ، كأن كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا توخأ انحلت عقدة ، فإن حلى الثملات عقدة فأصبح شيطانا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كالان . وهذا باب واسع . وقد قال عوف بن أبي الخبير الله عنده : (اعبدوا الله ما لكم من إله غير ه) ثم قال : (ويزدكم قوة إلى قوتكم) وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم ويقينهم ودينهم وتوكلهم ، وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسماهم وأبصارهم وأجسادهم وأرواحهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبيد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله وما خلف ماله غيره .

قلت : وهذا كذا في الحديث « أياكم من ماله وأرثه أحب إليه من ماله بقتلوا : كلما ماله أحب إليه من ماله وأرثه ، فقال : إن ماله ما قدم ، وماله وأرثه ما أخر . قال : وسمعت وهبا على المنبر يقول : اذفقوا على ثلاثاء إياكم وهري منيها ، وقرين سوء ، وإعجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن مفضل حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بني آدم إلى الشيطان التزود الأكل .

وقال الإمام أحمد : حدثنا غوث بن جابر حدثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الطفيل أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل ينفذ بالعبد الصالح القليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن عقيل حدثنا عمران أبو الطفيل بن الأنبار عن وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا هو به شيطان موكل به ، فأما الكافر فيأكل كل ماله ويترك ماله ، ويترك ماله على فراشه . وأما المؤمن فهو بجانب له ينتظر متى يعذيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل التزود . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المنصور ابن أخي بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب التي أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنت الذي لم اتخذك شيئا لم يقل : لا يارب ، قال : لذل فذلك بين يدي في الصلاة .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : سمعت أبي قال : كان سليمان بن داود الملك بيت أسلحة قوارير وأسفل حديد فركب الريح يوما فمر به رات فنظر إليه الطيرات فاستعظم ما أوتي سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتي آل داود ملكا عظيما ، فسمعت الريح تلامس الطيرات فأنشد في آل سليمان ، قال : فمر الريح فوقات ، ثم نزل يمشي حتى أتى الطيرات فقال له : بني فريد سمعت قولك : يا سليمان ما أوتي آل داود من الملك ، ثم قال : والله أتيتهم فقبلها الله عز وجل فملكه من مؤمن غير ما أوتي آل داود من الملك ، لأن

ما أتى آل داود من ملك الدنيا يفتى ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يبقى . فقال الخراث :
أذهب الله همتك كما أذهبت شمي

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :
إن الله عز وجل ألقى موسى عليه السلام نورا ، فقال له هارون : مه لي يا أخى ، فوهبه له ، فأعطاه
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آية تظلمها الأنبياء والملوك ، فكان ابن هارون يسقيان في
تلك الآنية الحفر ، فنزلت نار من السماء فاختلفت ابني هارون فصعدت بهما ، ففرع هارون لذلك
فقام مستمشا متوجها بوجهه إلى السماء بالدعاء والتضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون هكذا أقبل بمن
عصاني من أهل عاتقي ، فكيف فعل بمن عصاني من أهل مصيبي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل
في ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة دارا
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهلها إذا قدم عليهم . وقال : من جعل شهوته تحت قدمه
فخرج الشيطان من ظلمه ، فمن غلب عليه هواه فذلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بمعنى ما يتحمل المتحملون من أجلي ، وما يكابدون في طلب
مرضااتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض لعمري ، هنالك فليبشر المضعفون
الله أعظم بالظر العجيب من الحبيب القريب ، أن رأيت أنسى لهم عملا ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم
أجود على المولين المعارضين عني ، فكيف بالمقبولين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ
خطيئة فامتدحها في جنب عفوي ، ولو تماجلت بالعقوبة أسدا ، أو كانت المعجلة من شأني ، لما جلت
القائمين من رحمتي . ولو رأيت عبادي المؤمنون كيف أستوهمهم من اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن
وهمهم بالمد المقيم ، أتدرا فضلي وكرمي ، أنا الدين الذي لا نحل مصيبي ، والذي أطاعني أطاعني
برحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خف مني . ولو رأيت عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصورا نهار
فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فنقول : لمن وهب لي ذنبا لم يوجب علي نفسه مصيبي والغفوط
من رحمتي ، وإني مكافئ على المدح فامدحوني .

وقال سادة بن شبيب : حدثنا سادة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن
أبو مالك حدثني مهاجر الأسدي عن وهب . قال : مر عيسى بن مريم و معه الخواريون بقرية قد
مات أهلها ، إنسها وجناتها ، وهواها وأملها وظهورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على
صحابه فقال : إنما مات هؤلاء ، إنما مات من عند الله ، ولولا ذلك ماتوا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :
يا أهل القرية ، فأجابهم حبيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنائيتكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطاغوت وحب الدنيا ، قال : وما كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كن حبكم للدنيا ؟ قال : كحب الصبي لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أهل بعيد ، وإخبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساخطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هلاوة ، قال : وما الهلاوة ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : جرة من نار مثل أنطبق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتسكعون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجمون بلجم من نار . قال : وكيف كلتنى أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أعلاهم ، فلما جاء البلاء عني معهم ، وأنا معلق بشجرة في الهلاوة لا أدرى أكرس فيها أم أنجو . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بحق أقول لكم : نخب الشمبر وشرب الماء القراح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكيما حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيما ، ولا يعصى الله إلا أحق ، وكل لا يكمل النهار إلا بالشمس . ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيما ، ولا يطير الطير إلا بجناحين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يعمل به . وكل لا مكث للنار في المساء حتى أظفأ ، كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور . وكل يبدى سر الزانية ونفسيحتها فعلها ، كذلك ينفضح بال فعل السي من كان يقرأ جليسه بالقول الحسن ولم يعمل به . وكل تكذب مذنبة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها عنده ، كذلك تكذب مصيبة القارئ لله قراءته إذا كان يقرأ بها لغير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا علي بن بحر بن بري حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل . قال سمعت رجلا يقول : في زمان ميرآل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يحسن الإطمين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فمثل كمثل شجرة نابسة على سفينة لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة سرخت الحجارة سراخ النساء ، وقطرت المضاد دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا ييسر صغيرا ثم يكبر ، إلا النسيئة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وقف سائل على باب داود عليه السلام ، فقال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق الناجر المقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالذي نفسي بيده إننا في الزبور . وقال : من عرف بالسكائب لم يجر صدقه ، ومن عرف بالصديق اتهم على حديثه ، ومن أكثر الغيبة

والبنضاء لم يوثق منه بالذميمة ، ومن عرف بالفجور والتسدية لم يؤمن إليه في المحنة ، ومن انتحل فوق قسارده جحد قاسره ، ولا تستحسن فيك ما تستبجح في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

وروى دارد بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خيثم . قال : قدم علينا وهب مكة فظنق لا يشرب ولا يقوض إلا من زوم ، فقبل له : مالك في الماء المنسوب ؟ فقال : ما أمانتي أشرب وأتوضأ إلا من زوم حتى أخرج منها ، إنكم لا تدرون ما ماء زوم ، والذي نفسي بيده إنها لي كتاب الله طعام طامم ، وشفاء مقوم ، ولا يعمد أحد إليها يضلح منها ربا ، استناء بركتها ، إلا نزعته منه داء وأحداث له شفاء . وقال : انظر في زوم عبادة . وقال : انظر فيها يحط الخطايا خطا . وقال وهب : مسخ يختصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ أسداً فكان ملك الغيور ، ثم مسخ ثوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يثقل عقل الإنسان ، وكان ملكه قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الإنسان ، فبدا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقبل له : أدات مؤمن ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرق الكتب ، وحرق بيت المقدس ، فلم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق عن بكر بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل يتصر فساظم ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فمات في اليوم الرابع فكفنه ودفنه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه : قتلتموه حياً وبررتموه ميتاً ؟ قال يحيى : فأتا قرية التي مات فيها ذلك الرجل ، ومابها أحد إلا أنه بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر . هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عمي وهب بن منبه فذكره . قال : رأيت القرية يترقبون بذلك ، فمن ثم اتخذوا بيوتاً للضيقة والفقراء خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكر بن وهب . قال : إذا دخلت المدينة من الباب خرج الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجعيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : مر نبي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، فقال إلهه فلم عليه وقال له : يا عبد الله منذ كم أنت عابداً ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين معيشتك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرابك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تسكن في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنما هو يومى إلى الليل ، وأما أمس فمضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بمس . قال : فموجب النبي من قوله : إنما هو

المقدس : لأضمنّ عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقي ، وليأتينك داود يومئذ راكباً . وروى
سماك بن المفضل عن وهب قال : إني لأتقعد أخلاقاً وما فيها شيءٌ يمجبنى . وروى عبد الرزاق عن
أبيه قال قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال بقية بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد
عن خالد بن ممدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع
فأصابهم مجاعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلّى لهم شبعوا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :
إن أشدكم جزاعاً على المصيبة أشدكم حبا للدينار . وقال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهباً كان يقول :
طوبى لمن نظر في عييه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل النذل
والمسكنة ، وتصدق من مال جمعه من غير مصيبة ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسعت السنة
ولم يمتدّها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت
في زبور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي ،
وألستهم رطبة بذكرى . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيهم : إني قد
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أي رب ، وأي ذنب تغفر لي ؟ فأمر عرقاً في عنقه فضرب
عليه ، فلم يتم ولم يبدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت
من عرق ضرب على في عنقي ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خمسين سنة
ما تعدل سكون هذا العرق . وقال وهب : رهوس النعم ثلاثة « إحداهما » نعمة الاسلام التي لا تتم
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة الغنى التي
لا يتم العيش إلا بها . وروى وهب بمبتلى أعشى مجذوم مقعد عريان به وضوح وهو يقول : الحمد لله على
نعمه ، فقال له رجل كان مع وهب : أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : أدم
بصرك إلى أهل المدينة والنظر إلى كثرة أهلها ، أولاً أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري .
وقال وهب : المؤمن بخالط ليعلم ، ويسكت ليعلم ، ويتكلم ليعلمهم ، ويخاطب ليعلم . وقال : المؤمن مفكر
مذكر مدخر ، تذكر فغلبته السكينة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصنحها ، ألقى عنه
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد في كل فان فاستكمل العقل ، رغب في كل باق فعقل المعرفة ، قلبه
متعاقب بهم ، وحمه موكل به ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا
نامت العيون ينالو كتاب الله ويردده على قلبه ، فرة يفرغ قلبه ومرة تدمع عينه ، يقطع عنه الليل
بالنلاوة ، ويقطع عنه النهار بالنلاوة والعزلة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعماله . وقال وهب : فهذا
ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رهوس اخلائق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :

الويل لكم إذا ساءكم الناس صالحين ، وكرهوكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد السكستري حدثنا همام بن سلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مفضل بن عتبة قال : سمعت عبيد بن وهب بن منبه يقول : يا بني ! الخالص عاقبة الله سريرة ناصحة يصدق بها فمالك في العلانية ، فان من فعل خيراً فم أسرته إلى الله فقد أصاب ، وواضحة ، وأبانه قراره ، ووضوحه عند حفظه وإن من أسر عملاً صالحاً لم يطاع عليه إلا الله ، فقد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني علي من عمل صالحاً أسره إلى الله عز وجل ضياءاً ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة ، فان مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يحرق العرق شلتك الشجرة كلها ، وإن صالح الأصل صاحت الشجرة ، ثمها ورقها ، والورق يأتي عاقبه حين يثيف ويصير بهاء ، تذروه الرياح ، بخلاف العرق ، فانه لا يزال ما ظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها ، يستخفيا لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعمل ، لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانية العبد ، فان العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فان فرعها رزقها وجعلها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فان العلانية معها تزين الدين وتجمله إذا علمها مؤمن لا يريد بها إلا رضا ربه عز وجل .

وقال الخليل بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبيان عن وهيب قال : قرأت في السكينة : السكينة أربعة أركان ، وكن منه العزيمة ، وكن منه الشهادة ، وكن منه الطمع ، وكن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خافتاً شقياً دجلاً ، وعزيراً منك بالتراب ، واستجدي بكمك وجهك ويدك ، وسلي حين تسألني بخشية من قبلك ودجل ، وانخشى أيام الحياة ، وعلم الجاهل آلائي ، وقل لعبادي لا يتجادوا في غي ما هم فيه فان أخذني أليم شديد . وقال وهيب : إذا عم الوالي بالجوهر أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، فقلت البركات في التجارات والزراعات والضرع والمواشي ، ودخل الخلق في ذلك ، وأدخل الله عليه الملك في ذاته وفي مملكته . وإخاتم بالعدل والشير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير دلت البركات . وقال وهيب : كان في دمه من إبراهيم عليه السلام أرباب الملك المبالي . إني لم أبعثك لتجميع الدنيا بعقدها على بعض ، ولا لتبني البنيان . إنما بعثتك لترفع لي دعوة المظلوم فإني لا أردعها ولو كانت من كافر .

وروي ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهيب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال مملكتك واسعة . ولم يتكلم مستقيمة ، قال : من قبل أنما لأنك لا تعلم ولا تعلم ما تعلم . وروي

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سدة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلسلة بن ميمون عن المصافي بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهبا يقول : كن في بني إسرائيل رجلا بلغت بهما عبادتهما أنهما شيئا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدرجت هذه المنزلة ؟ قال : يسير من البر فعملته ، ويسير من الشر تركته ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكنت لسانى عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالقي ، ولزمت العبادات فإن أقسمت على الله عز وجل أبر قسمي ، وإن سألتني أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : عدني شيئا ينفعني الله به قال : أكثر من ذكر الموت ، وانصر أملاك ، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

ومن توفي فيها من الأعيان

﴿ سليمان بن سعد ﴾

كان جميلا فصيحيا علما بالعبادة ، وكان يلقبها الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفي صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحيا جميلا عارفا بكتابة الديوان ، وبأن يخرج أهل العراق من كتابة الديوان وقد ولد سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

﴿ أم المنيل ﴾

لها روایات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتي عشر سنة ، وكانت فقيهة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

﴿ عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي ﴾

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بابن خنساء عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بمسدد بن حصيب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة .

﴿ عبد الله بن سعيد بن جبيل ﴾

له روایات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

﴿ عبد الرحمن بن أبان ﴾

ابن عثمان بن عفان . له روایات كثيرة عن جماعة من الصحابة [(١)]

(١) من أول الفصل الذي في ص ٢٦٧ إلى هنا زيادة من المصرية .

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة)

ففيها غزاهماوية بن هشام الصائفة اليسرى^(١) ، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى^(٢) ، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم . وفيها عزل هشام بن عبد الملك أسير بن عبد الله الساسي عن إمرة خراسان وولى عليها الجعيد بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان تلقاه خيول الاتراك فبرزوا من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف فقتلوا واقتلوا قتلاً شديداً ، وناموا فيه وفيمن معه لقتلهم بالنسبة إليهم ، ومعهم ملكهم خاقان ، وكاد الجعيد أن يملك ، ثم أنظره الله بهم فبرز بهم عن يمينه منكرة ، وأسرا بن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة . وخرج بالناس فيها إبراهيم بن هشام الخزومي ، وهو أمير الخرمين والطائف ، وأمير العراق خالد الترسى ، وأمير خراسان الجعيد بن عبد الرحمن المرى .

(ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائة)

ففيها غزاهماوية بن هشام الصائفة فافتتح حصوناً من ناحية ملاطية . وفيها سارت التتار من المان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكي فومن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فالتفتوا فبطل أن يتمكنوا عليه جيشه ، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماصة معه بمرج أوردليل . وأخذ العدو أوردليل . فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرجاني وجيشاً وأمره بالأسراع إليهم ، فالتحق التتار وهم يسرون بأسارى المسلمين فمروا بملكهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ، ومن أهل الدعة أيضاً ، وقتل من التتار مائة عظيمة جداً ، وأسروا منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبراً ، وبشيء ما كن ثقات من القلوب ، ولم يكف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أمر التتار ، فسار إليهم في برد شديد وشبه عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وصار هو بمن معه في طلب الاتراك وملكهم خاقان ، وكان من أمره معهم ما سئل عنه . ولم يزل أمير خراسان في طلب الاتراك أحياناً في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلغ ورجع إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف مائة ويسيرة ، وبجاشت التتار وجيشه ، فأتوا هرقند فكتب أميرها إليه يملأ بهم ، وأنه لا يقدر على صون هرقند منهم ، ومعه ملكهم الأعظم خاقان بالغوث الغوث . فسار الجعيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو هرقند حتى وصل إلى تعيب هرقند وبقي يبعثه ويبيتها أربعة فراسخ ، فصبغ خاقان في جمع عظيم ، فعمل خاقان سلى وقبضة الجعيد فأنهاروا إلى المسكر والتتار فلقبهم من كل جانب . فتراعى إليهم والمسلمون يمدون ولا يشعرون بالهجوم فقدمتهم وأحباطوها إليهم ، فأنحدوا إلى السلاح واسطفوا على ما دفعهم ، وذلك في جبل واسع ، وكان بارزاً فالتقوا وجمعت التتار على يمينه المسلمين وفي يدهم نعيم وفلاح فقتل منهم ومن غيرهم خلقاً

(١) أي البلاد الواقعة في سائر بلاد الأناضول (٢) أي بلاد الأناضول من جهة البلاد الساسانية

كثير ، من أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجعان المسلمين جماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادى خافان : إن صرت إلينا جملتك من يرقص الصنم الأعظم فنعبدك ، فقال : ويحكم ، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناخى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وهلوا على الترك حملة رجل واحد ، فهزمهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم عطفوا الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، وقتل يومئذ سودة بن أبجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فسلموهم إلى الملك خافان فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وهذه الواقعة يقال لها وقعة الشعب . وقد بسطها ابن جرير جداً . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ رجاء بن حيوة الكندي ﴾

أبو القداس ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عادل ، وزير صدق خلفاء بني أمية ، وكان مكحول إذا سئل يقول : ساوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثني عليه غير واحد من الأئمة وثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

﴿ شهر بن حوشب الأشعري الحنفي ﴾

ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن ولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم . وكان عالماً عابداً ناسكاً ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بغير إذن ولي الأمر ، فمأموه وتركوه عرضة ، وتركوا حديثه وأنشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها فأنه أعلم . وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثنوا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والياً عليه متصرفاً فيه فأنه أعلم . قال الواقدي : توفي شهر في هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة ومائة - وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة فأنه أعلم . (ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة)

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانقسموا فيها ، وقد أخذ أميرهم رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها غل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجر وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام الحنزي ، فأنه أعلم . ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

﴿ الأمير عبد الوهاب بن بخت ﴾

وهو مع البطل عبد الله بأرض الروم قتل شهيداً وهذه ترجمته

هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة ، روى عن ابن عمر وأبي هريرة وجماعة من التابعين . وعنه خلق منهم أبو ب ومالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وسعيد الله العمري . حديثه عن أنس مرفوعاً « فضر الله أرواً سمع مقالتي هذه فوعظاً ثم بلغها غيره » ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن صدر مؤمن ، إخلاص العمل لله ، ومساعدة أولى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كأن دعوتهم تحيط من ورأيهم . وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيها فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهاب بهذا جماعة من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الخلق والسمرة والفرح ، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رجليه من رفقائه ، وكان صحيحاً جواداً ، استشهد ببلاذ في يوم مع الأندلسي أبي محمد عبيد الله البطال ، ردفن هناك رحمه الله . توفي في هذه السنة فله خليفة وغيره ، وذلك أنه لقي السدي ففر بعض المسلمين ، فجعل ينادي ويركض فرسه نحو السدي : أن شدوا إلى الجنة ، ويحكمكم أفروا من الجنة ، أفروا من الجنة ، إلى أين ويحكمكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ، ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

[مكحول الشامي]

قاضي جليل القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولى لامرأة من غنبل ، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص ، وكان ثوبياً ، وقيل من سبي كابل ، وقيل كان من الأندلس من سلالة الأندلسية وقد ذكرنا نسبه في كتابنا السكبل . وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم ، وقال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشامي بالكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول قل ، وإنما يقول كل وكان له وجهة عند الناس ، مهمهم شيء من شيء يفعل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقه أهل الشام ، وكان أفقه من الزهري . وقال شريك والسدي : توفي في هذه السنة ، وقيل بعد ما قلناه أعلم :

[مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهاب بن شاذل . كذلك قلناه من خط عبيد اللطيف ، وروى عن أبي الدنيا عنه أنه قال : من طاف ثوبه قل عنه ، ومن طلب ربه زيد في عقابه . وقال مكحول في قوله تعالى (ثم أنزلنا من السماء ماء فأنزلنا به الحبوب) : قال : بارك الشارب . وظلال المساكين وشيع البهائم ، وأعطى المال الفقير ، ولما أدت النجوم . وقال : إذا وقع الجراد من أنفاسهم عن دوابهم أنشأ الملائكة ، فسمعت شرويعاً ودمعت لها بالبركة ، ولا حياء في علقها جرم] (١) .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ﴾

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى النبي سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها التقى عبيد الله البطل وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي ﷺ فأسره البطل ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطائف إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو مشر : إنما حج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ عطاء بن أبي رباح ﴾

الزهري مولاهم أبو محمد المكي ، أحد كبار التابعين الثقات الرفقاء ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أعور أفطس أشل أعرج ، ثم عفى بعد ذلك ، وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالناسك منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعين حجة ، وعمر مائة سنة ، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف ويفسدى عن إفطاره ، ويتأول الآية (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يبقى الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيت فيمن لقيت أفقد منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سميد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاء إن الرجل ليحدثني بالحديث فألتصت له كأني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أتى إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحنظ منه له فأريه أتى لم أسمعه . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

[﴿ فصل ﴾]

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وقاتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وجبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السخيتاني ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هريرة : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول :

من مجلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك المجلس عشر مجلس من مجالس الباطل . قال أبو هران : قلت له طه : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف صلى ، كيف تصوم ، كيف تتكبح وتطلق وتبيع وتشتري .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطاه بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون) قال : كانوا يقرضون الدراهم ، قيل كانوا يقصون منها ويقطعونها . وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوصافي - قال : قلت له طه : ما ترى في صاحب قذ إن هو كتب به عش هو وعياله في سبعة ، وإن هو تركه اختفى ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسري لحالد . قال له طه : قال العبد الصالح : (رب بما أئمت على فلان أكون ظهيراً للمجرمين) . وقال : أفضل ما أوتي العباد العتق عن الله وهو الدين . وقال عطاه : ما قال العبد : يارب ، يارب ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : أما تقرؤن القرآن (ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي بالإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاعف عنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) إلى قوله : (فاستجاب لهم ربهم) الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السامي حدثنا حمزة عن عمر بن الورد قال قال له طه : إن استطعت أن تأمر بنفسك عشية عرفة فافعل . وقال سعيد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة النعمان يقول : بقيت عطاه بمكة فسأله عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين طردوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : من لا يسب السائف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب . فقال له طه : عرفت قال . وقال عطاه : ما اجتمعت علي الأمة أقوى عندنا من الاستناد . وقيل له طه : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص . فقال : (والذين آمنوا وادموا هدى) فما هذا الذي أدموا ؟ قلت : من يجمع بين الصلاة والزكاة يستأنس من دين الله ، فقال : قال تعالى : (دوا أدموا ولا تعبدوا الله خلفكم له الدين حنة . ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وخلف من التهمة) فجعل ذلك ديناً . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سودة فقال : ألا أحسنكم بحديث الله أن يشتمكم ، قال نعم ، قال لي عطاه بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكافون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ، ما عندنا كتاب الله أن يقرأ ، وأمرهم رفع أو تهني عن منكر ، أو يعلق العبد بحاجته في معيشته التي لا بد له منها ، أفتكر من : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) و : (عن الذين وعن الشامل قميء ما ينفذ من قول إلا لله يعقوب عبيد) أما يستحي أحدكم

فونشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر شهره فرأى أكثر منافعها ليس من أسر دينه ولا دنياه ؟ .
 وقال : إذا أنت خفت الحر من المابل فاقرا : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
 وروى الطبراني وغيره أن الخلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس
 كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن
 سالم بن كهبل قال : ما رأيت أحداً يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطارس ،
 ومجاهد . وقال الأمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ،
 وما رأيت على عطاء قيصاً قط ، ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشعري :
 حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له حبة ، وكان يقعد في
 المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت فاطمة بنت رسول
 الله ﷺ لتهجن ، وإن كانت قصتها لتقرب بالجنة . وعن الأوزاعي عنه قال : (ولا تأخذكم بهما
 رأفة في دين الله) قال : ذلك في إقامة الحمد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت بالجماعة وعليها رجل وال يمتحن الناس من أصحاب رسول الله ﷺ ،
 إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعناق أن يسمى المسمى منافقاً وما يسميه مؤمناً ،
 فأتاعوه على ذلك وجهلوه له ، قال : فالتقيت عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأساً
 يقول الله تعالى : (إلا أن تنقوا منهم نقاة) .

وقال الأمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء بطيل الصمت
 فإذا تكلم تخيل اليه أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) قال :
 لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى اني افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها
 وأوائها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده : امسكوا احفظوا عني خساً :
 انقدر خيره وشره ، حنوه ومره من الله عز وجل ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا
 مؤمنون حرام دماؤهم وأهواهم إلا بحقها . وقتال الفئة الباغية بالأيدى والذراع والسلاح ، والشهادة
 على الخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : تجمعون في المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدث بحديث ، فعرض رجل لذي حديثه فغضب
 عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟ وما هذه الغلبات ؟ والله إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم بما منه
 فأريه أنى لأحسن شيئاً منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطاناً خيراً من أن أرى فيه
 وسادة . لأنها تدعو إلى الذنوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد
 عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما كبر وضف يقيم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك . وقال ابن عبيدة : قالت لابن جرير : لم رأيت مصليا مثلك . فقال : لم رأيت عطاء ؟ . وقال عطاء : إن الله لا يحب الفني يلبس الثوب المشهور ، فيمرض الله عنه حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : يلبس ثوبه أن يكون كالمريض لا بداءه من قوت ، وليس كل الطمام يوافقه . وكان يقال : الدعوة قبيح عين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تغفلن ذا نعمة بعبادته فيه فانك لاتدرى إلى ماذا يصير بعد الموت ^(١) .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة :

فتبعها وقع طاعون بالشام ، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل وهو نائب الطريق والطائف . والنواب في سائر البلاد هم المذكورون في التي قبلها والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان (أبو جعفر الباقر)

وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الفرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي . وهو تابعي جليل ، كبير القدر كثيرا ، أحد أعلام هذه الأمة علماء وعلماء وسيادة وشرفا ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر . ولم يكن الرجل على طريقهم ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخیالهم ، بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر ، وذلك عند صحيح في الأثر . وقال أيضا : ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يقولانها رضي الله عنهما . وقد روى عن غير واحد من الصحابة ، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق ، والحسين بن عتيبة ، وربيعة ، والأعشى ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأوزاعي والأعرج ، وهو أسن منه ، وابن جرير ، وعطاء ، وهشام بن سالم ، وأبو بصير . وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : حدثني أبي وكان خير محدثي به أنه علي وجه الأرض ، وقال المعجلي : هو مدني تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكانت وفاته في هذه السنة في قول وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدها وبعد . والله أعلم . وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين فأن الله أعلم .

﴿ فصل ﴾

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، من أمه علي زين العابدين ، ووجه الحسين قتلا شهيدين بالعراق . وصلى الباقر ليلة المولود واستباحت الحسنة ، كان ذا كرامات وأشياء مباركة وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب على الحسب ، وكان عارفا بالخطرات ، كثير البكاء والعبرات . معرضا عن الجبال والخصومات .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : (أولئك يجزون العترة بما صبروا) قال : العترة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاك . قلت : وقد روي نحو هذا عن ابن عباس قال : لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب الذاك . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني لحزون ، وإني لمشتغل القلب . قلت : وما حزنك ومشتغل قلبك ؟ قال : يا جابر إني من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغلته عما سواه ، يا جابر ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركبا ركبته ؟ أو ثوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قديم الآخرة عليهم ، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يمههم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة فغازوا بشواب الأبرار . إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا المحبة ربهم عز وجل ، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها ملائكتهم كمنزل نزوله ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكأه أصبحت في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيما امتنعك من دينه وحكمته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القاري يحب الأشياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . وكان أبو جعفر يصلي كل يوم ليلة بالمكتوبة . وروي ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح التمام قبيح الكلام . وروي أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان . وقال لابن سبه : إياك والكل والضجر فأنهما مفتاح كل خبيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإن ضجرت لم تصبر على حق . وقال : أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وإنصافك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب عبد شيء من السكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال جابر الجعفي : ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى : (لولا أن رأى برهان ربه) ؟ قال : رأى برهان عاضاً على إبهامه . فقال : لا ! حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وعجز بها أي طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكال بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياء منه . فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلهي أستحي

منه أن يراني على هذه الصورة . فقال يوسف : تستعين من صنم لا ينفذ ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من بنى الذى هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لأقتالين منى أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الحافى : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : الفنى والذى يقولان فى قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أو طناه . وقال : إن الله يلقى فى قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا كان الرجل منهم أجراً من ليث وأفعى من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والخصومة فانها تفسد القلب ، وتورث الفتن . وقال : (الذين يخوضون فى آيات الله) هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حليقة السيف فقال : لا بأس به ، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : قريب وثيق واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً فى الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويكرهون أبا بكر وعمر ويزعمون أنى أمرتهم بذلك ، فأبأهم عنى أنى إلى الله منهم برئ ، والذي نفس محمد بيده - يعنى نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدهائهم ، لأقاتلن شاة الله ﷺ إلى أن أستغفر لهم ، وأترحم عليهم ، إن أعداء الله لقاتلون من قضاياهم وسابقتهم . فأبأهم أنى برئ منهم ومن تبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وقال : من لم يعرف فقه أبى بكر وعمر فقه جهل . ثم قال : وقال فى قوله تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية . قال : هم أصحاب محمد ﷺ ، قال : قلت : يقولون : هو على قال : على من أصحاب محمد ﷺ .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصاب منهم عند أبى جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه معلم ، وقال : كان لي أخ في صبي عظيم ، وكان الذى عظمه في صبي صغر الدنيا في عينه . وقال جعفر بن محمد : ذهبت بمائة أبى قتيل : لأن ردها الله على لأحمد بن محمد برضاها . فما كان بأسرع من أن أتى بها بسرجه لم يفتد منها شئ ، فقام فركب ، فما استوى عليها وجمع إليه ثيابه رفع رأساً إلى السماء وقال : الحمد لله . لم يزد على ذلك ، فقيل له فى ذلك : فقيل : فهل تركت أو أجببت شيئاً ، جعلت الحمد لله عن وجهي . وقال عبد الله بن المبارك : قال أحمد بن علي : من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخير والبراسة ، وحسن خلقه فى الدنيا والآخرة ، ومن سرقها كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية ، إلا من عصاه الله . وقال : أريد أن أهدكم يده فى كم صاحبها فإني أخاف ما يريد تماماً إلا قال : فليست إخواننا كترعمون . وقال : أعرف بودة أخيك لك بماله فى قبلك من المودة

فان القلوب تتسكفاً . وسمع حضاير يصعب من قتال : تُدري ماذا يقلن ؟ قلت : لا ! قال : يسبحن الله ويسألنه رزقهن يوماً بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع الذي تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخطير ثواباً للبر ، وأسرع الشر عقوبة للبني ، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يسعى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جليسه بما لا ينيه . هذه كلمات جوامع موانع لا ينبغي لسافل أن يشتمها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : حسب عمر بن الخطاب رجل إلى مكة فالتقى الطريق ، فاستبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، فقتل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمر كان يأمل دونه * ويختلج من دون ما كان يأمل

وقال أبو جعفر : والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما اغرورقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين لم يرهق وجهه قبر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن باكي بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بئس الأئح أئح برعك غنياً ويقطعك فقيراً . قلت : البيت الذي كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكماً وزهداً في الدنيا قال :

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوها * بمنزلة ما بهما متحول

فساخط أمر لا يبدل غيره * وراض بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمر كان يأمل دونه * ويختلج من دون ما كان يأمل^(١)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام النصارى ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق ، وكان معظم ذلك في واسط . وفي المحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن المري أديب خراسان من مرض أصابه في بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ففقدت عليه أديب المؤمنين هشام بن عبد الملك فمزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزهرق روحه . فلما قدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في المحرم منها بمرو ، وقال فيه أبو الجوير عيسى بن عصمة يريثه :

مثلك الجود والجنيد جميعاً * فلي الجود والجنيد السلام

أصبحتا ثاويين في بطن عمرو * ما تمنى على الفصون الحسام
كنتما نزهة الكرام فلما * مت مات الذي ومات الكرام
ولما قدم عاصم خراسان أخذ نواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في
المصادر والجنايات ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارز بالحرب ، وجرت بينهما أمور
يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي :
وفيها حجج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين
فما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة)

فيها خزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسابك بن هشام الصائفة اليمنى ، وعما ابن
أمير المؤمنين هشام . وفيها يث مروان بن محمد - وهو من آل الحارث - وهو على أرمينية بعثين ففتح
حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الإيمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالى
الذى ولده في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فعزله عنها وضاعها إلى عبد الله بن خالد القسرى
مع المراق معادة اليه جريا على ما سبق له من المعادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالى
المزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية
المراق ، رجاء أن يعينها إليه ، فأنكس الأمر عليه فأجابته هشام إلى ذلك قبولاً إلى نصيحته ،
وأضافها إلى خالد القسرى . وفيها توفي

(قتادة بن دعامة السدوسي)

أبو الخطيب البصرى الأعشى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة المعلمين ، روى عن أنس بن مالك
وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، واللبصرى ، وأبو أمية ، وزياد بن أوفى ، وعطاء
وجعند ، ومحمد بن سيرين ، ومسلم بن عبد الله بن سيرين ، وأبو جندب وغيرهم ، وحدث عنه جماعة من الكبار كأيوب
وجهاد بن مسامة ، وحسين الطويل ، وسعيد بن أبي عروبة ، والأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ،
وسمر ، ومعمّر ، وهمام . قال ابن أبي عمير : ما رأيت عراقى أفضل منه . وقال بكر المزني : ما رأيت
أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث
يأخذ به العريال والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهري : هو أعلم من مكحول . وقال معمر : ما رأيت
أفقه من الزهري وجهاد وقاتدة . وقال قتادة : سمعت شيئا لا والله قاي . وقال أحمد بن حنبل : هو
أحفظ أهل البصرة ، لا يسبح شيئا إلا حفظه . وقيل عليه صحيفة جارية واحدة لحفظها . وذكر
يوماً فأتى على علمه وفاته ، وهو فقه بالاختلاف والتفسير وغير ذلك ، وقال أبو حنيفة : كانت وفاته بواسط

في الطاعون - يعنى في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة
 [قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفضة التي لا تغلب ،
 والحارس الذي لا ينام ، والهادى الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار
 فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديسكم ، فقالوا : إنا كنا نأمركم
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهى . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفى من العلم بشئ لا كفى
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة] ^(١)
 وفيها توفي : أبو الخطاب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا
 الخزازي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

[* فصل *]

فأما سعيد بن يسار فكان من أعباد الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم . كان
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى ؟ قال :
 لأنى لا أماريه ولا أشاركه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان
 يكره أن يعصى الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين عالما ولا جاهلا ،
 فانك إن ماريت عالما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :
 خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فررنا بجداول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،
 فاضطجعت له فمر على ظهري ، ثم قمت فأخذت بيده . ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،
 فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ، قالت : يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ! إني
 قد أنست من قلى غائلة فاستكن لى منه ، فقرأ الحسن : (أقرأيت إن متعنهم سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فسطع الشيخ غشيا عليه ، فرأيت يفعص برجليه
 كما تفحص الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد أتتكم الشيخ ، قوموا تفرقوا ،
 فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب في

نفسى أنه أكبر من هذا ، قال : فوكر فى صدرى وكزة ثم قال : يا بنى لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كروما .

وروى الطبرانى عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما فى لحو وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبنى هذه الآية : (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا بحاجة .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقى عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تلبسون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصدين بدمك إلى ذى هوى فانك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه . وروى عبد الله بن أحمد عنه فى قوله تعالى : (إن جهنم كانت مرصادا) و (إن ربك لبالمرصاد) فقال : التمسوا لذين المرصدين جوارزا . وفى قوله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) فيها وعيد شديد للظالم ، وتمزية المظلوم . وقال : لو أن أهل القرآن أصبحوا يصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشافعى حدثنا أبو المليلح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير فى الدنيا إلا رجلين ، رجل نائب - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل فى الدرجات ، فلا خير فى العيش والبقاء فى الدنيا إلا لذين الرجلين ، رجل يعمل فى الكفارات ورجل يعمل فى الدرجات ، وبقاء ، مسواهما وبال عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق فى صدور كثير من الناس فالتمسوا مسواه من الأحاديث ، وإن فيمن يتبع هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة يلمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن قاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه فى النار .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الحلال حتى يجمل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم ما منزل الله عند الله فلينظر فى عمله فانه فادى عليه كائنا ما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليلح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فعاتبه ، فقال : إني ذكرت ضيعة لى . فقال : أكبر الضيعة أضعت . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد الدسعى حدثنا أبو جعفر النوفلى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتمن على بيت مال أحب إلى من أن أؤتمن على امرأة .
وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا هشيم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق
قال قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت و بقيت الأخرى أتمتع بها ، وأني لم أَل عدا قط .
قالت : ولا لعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمر بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لعمر ولا لغيره .
وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب . حدثنا سفيان . حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران
قال : ما عرضت قولي على عملي إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن
داود حدثنا علي بن مهبد حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل
لي في زوجي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله
ابن أحمد عنه في قوله تعالى : (خائضة رافعة) قال : تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن
أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم حدثنا أبو المليح حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع
ميمون فنظر فرأى على ثوب كنان فقال : أما بلذت أنه لا يلبس الكتان إلا غنى أو غلو ؟ وبهذا
الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال منه وهو راكب الأشعث بن قيس
الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار .
وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح
قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الرُّها إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول
أحدهم : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين
مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرخى عليه ستره ، وجاءه رزقه . وقال : لو أن كل
إنسان منا يتعاهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتسب إلى الأغنياء ، ولا احتسب
الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه
عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كن قوله لم أقل أحب إلى من ثمانية يشهدون
عليه ، فإن قال : قلت ولم يمتنر . أبفضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما
بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفته له قدره ، وإن
كان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها
فإن أرض الله واسعة .

وقال أنان بن أبي راشد التميمي : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ،
فما يزيدني على كلمتين . اتق الله ولا يعرك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء
هم ضالتي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله

تمالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال : عزق . وقال : لأن أتصدق بدمي في حياتي أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كنت يقال : الذكركران ، ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت . وقال : ثلاث الكافر والمؤمن فيمن سواء ، الأمانة تؤديها إلى من اتقنك عليهما من مسلم وكافر ، وبر الراددين وإن كانا كافرين ، والمهدتني به المؤمن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن تلاً عيني من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا يعقوب بن أبي محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وأخراجها ، فكث حينئذ كتب إلى عمر يستغفبه عن ذلك ، وقال : كلتني مالا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضئيف رقيق فكاتب إليه عمر : أحب من الخراج الطيب ، وأقضى بما استبان لك ، فإذا التبس عليك أمر فارقه إلى ، فإن الناس لو كل إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتبية بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرأة ، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء ، إلا مثل الأفاعي ، لا هم لنا إلا ما جعل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إنى لأراني من شرهم بغيراً واحداً . وهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تعذب المأموك ولا تضربه على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فإذا عصي الله عز وجل فمات به على معصية الله وذكر الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتبية : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يعاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شركه ، حتى يعلم من أين خطيئته ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام .

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا سعيد بن حفص الثعلبي حدثنا أبو الفايح عن ميمون قال : الفاسق بمنزلة السبع فإذا كلمت فيه نظمت سبيله فقد خليت سبيلاً على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : مات ميمون بن مهران : إن فلانا يستعجل نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا

بأس وإن طال المسكت . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال : لا تجرد غريمًا أهون عليك من بطارك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضًا : حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له : ما هذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحدًا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : من أساء سرًّا فليتب سرًّا ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فان الله ينفذ ولا يعبر ، وإن الناس يعيرون ولا يقفرون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجبا صاحبه من واحدة لم ينج من اثنتين ، وإن نجبا من اثنتين كان قينا أن لا ينجو من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالا طيبا ، فأياكم الذي يسلم كسبه فلم يفسده إلا طيبا ؟ فان سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تليها في ماله ، فان سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحربي حدثنا أبو المليح عن ميمون ابن مهران قال : ما نال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر . وهذا الاسناد قال : الدنيا حاوة خضرة قد حفت بالثروات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة أجل ، وأمر الدنيا عاجل . وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ، فكتب إلي : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وانه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنسانا ، وإني أكره البلاء إذا أقبل ، فاذا أدبر لم يسرفني أنه لم يكن ، وأما أنت فعليك بكتاب الله ، فان الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإياك والمرأى في الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهجورا ، ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالمكبة فلقى أبي شيخا فمناقبه ، ومع الشيخ فتى نحو مني ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس العياون ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فان ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يحمل ، من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تحمله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا التلبليل . وقال : ما أتى قوم في فانيهم المنكر إلا حق هلاكهم ، وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ثم فارق حتى بكى ، ثم قال :

ما سمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو ذرارة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أربيع لا تكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسمى بغير الاسلام . وروى شعبة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلی أفضال عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى الى زمان يعدل بهما غيرهما ، إنهما كانا رداءي الاسلام ، ورأس الاسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول إسلام أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالذي صلى الله عليه وسلم زمن بغيره انراهب حين مر به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنسجها رياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أضع يوقي به » . وروى عن ابن عمر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال في آخر الزمان المماليك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحدا فقاتله أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القتال والآمر والمأمور والظالم والراعي بالظالم ، كلهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ما تكره نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى | (١)

| نافع مولى ابن عمر |

أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيبابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل رافع بن خديج ، وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم . وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخاري : أصبح الأسانيد ملك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد إمنه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات في هذه السنة على المشهور | (٢)

| ذو الرمة الشاعر |

واسمه غيلان بن عتبة بن جريس ، من بني عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، أبو الحارث أحمد خول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان ينزل في مي بقت مقاتل بن حلبة بن قيس

(١) زيادة من المصرية . (٢) سقط من المصرية .

ابن عاصم المنقري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخفاق أسود اللون ، ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ولم يكن رأها قط ولا رأته ، وإنما كانت تسمع به و يسمع بها ، ويقال : إنها كانت تمنذر إن هي رأته أن تذبج جزورا ، فلما رأته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي شجة من حلاوة * ونحت النياب العمار لو كان باديا
قال فانسخت من ثيابها فقال :

لم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فقلت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إني والله ، فقلت : تذوق الموت قبل أن تذوقه .
فأنشأ يقول :

فواضية الشعر الذي راح وانتفضى * بمنى ولم أملك ضلال فؤاديا
قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب * به أهل من هاج شوقي هبوبها
هوى تدرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس أين حل حبيبها
وأنشد عند الموت :

يا قابض الأرواح في جسمي إذا انضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار
(ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة)

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم سمي بجنداش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما التفوا عليه دعاهم إلى مذعب الخزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجئ به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وصل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسري . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زُرعة بنت مسرح بن معديكرب البكندى ، أحد الملوك الأربعة الأقبال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مسرح . وحمل ، ونحوه ، وأبشعة : وأخذهم العمرة وكان مولد على هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فساد أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي
الأنبالك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره
فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميت به شهيداً ، فقال له : أنت أبو شهيد ، وأجزل عطية ،
وأحسن إليه . وقد كان على هذا في غاية العبادة والزهد والعلم والعمل وحسن الشكل والمدالة والفتنة
كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة ، قال عمر بن عبد العزيز : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته
بالجهمية من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد تارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلكان أنه تزوج بإبنة
بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقها إيلافه أنه
عض فتاحة ثم رمى بها إليها فأخذت السكين فحزت من الفتاحة ما سقته منها ، فقال : ولم تفعلين
هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها . وذلك لأن عبد الملك كان يهجره فطلقها عبد الملك ، فلهذا زوجها
علي بن عبد الله بن عباس هذا تقيم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضر به بالسياسة ، وقال
إنما أردت أن تذل بها من الخلفاء ، وضر به مرة ثانية لأنه اشتهر عنه أنه قال : الخليفة صائرة إلى
بيتته ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح
والمصور وهما صفيان ، فأكرمه هشام وأدى مجلسه ، وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً ، وجعل على بن
عبد الله يوصيه بأبيه خيراً ، ويقول : إني أسيئ إليك الأمر ، فجعل هشام يتعجب من سلامة بخلته
وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان على في غاية الجلال وقام القلة ، كان
بين الناس كأنه راجب ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ،
وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المجتبى ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن
يموت على هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولم يكن له يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده
عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهره في سنة الثنتين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى
عمر بن شعيب ، وعبادة بن نعمان ، وأبو صفرة جديع بن شداد ، وأبو عيش المعمرى .

جزئتم دخلات سنة أربع عشرة ومائة (١)

ففيها غزا الوليد بن القعقاع بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم
خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان على قزاة عن أخيه خالد بن عبد الله
على العراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة خراسان فالتصمها ، وتفرقت في أمصار جنوده يفتنون ويأمرون
ويمنعون ، فجاءت الأميون إلى ملك الترك خاقان أن يوجه أسد فرب التفرق في بلاد خراسان ، فاعظم
خاقان هذه الفرصة فركب من فوذه في جنوده فاصعد إلى أسد ، وتزود خراسان وأصحابه سلاحاً كثيراً ،
وقد سديداً ومعدداً ، وساروا في حلق عظيم . وجاء إلى أسد فأسلموه فقتلوه فقتل له في سيرته عظيم

كثيف ، فتجهز لذلك وأخذ أهبطه ، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه ، فلما وأشاع بعض الناس
 أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون
 إليه ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل تدبيرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك
 أخذتهم حمية الاسلام وزدادوا حنقا على عدوهم ، وعزموا على الأخذ بالنار ، فقصدوا الموضع
 الذي فيه أسد ، فاذا هو حتى قد اجتمعت عليه المساكر من كل جانب ، وسار أسد نحو خاقان حتى
 أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، فكره أسد أن يتركها وراء
 ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ،
 وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر . فلما خلاصوا منه جيدهم حتى دههم خاقان من وراءهم في خيلهم ،
 فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة ، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم
 لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة . وكانوا
 خمسين ألفا . فيقتحمون النهر ، فغضبوا بكؤوساتهم ضربا شديدا حتى ظن المسلمون أنهم معهم في
 عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنفخ أشد النفخ ، وخرجوا منه إلى
 ناحية المسلمين فثبت المسلمون في عسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقا لا يخلصون إليهم منه ،
 فبات الجيشان تترامى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم
 خاقا وأسر أمما وإبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن
 لا يصلا صلاة العيد ، فاصابوها إلا على وجل ، ثم سار أسد بن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى
 الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء
 خاقان ، أو في التحصن ببلخ . فمنهم من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بملاقاة والتوكل على الله ،
 فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فتصد بجيشه نحو خاقان ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما ، ثم دعا
 بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتكم إن شاء الله ، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته
 بمقدمة خاقان ، فقتل المسلمون منهم خلقا وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فأنتهى إلى
 أغنامهم فأسانفها ، فاذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم اتقى معهم ، وكان خاقان إنما معه
 أربعة آلاف أو نحوها ، ومع رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح . فهو يسلطهم
 على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هرب الأتراك في كل جانب ، وانهمز خاقان ومعهم الحارث
 ابن شريح يحميه ويتبعه ، فتبعهم أسد ، فلما كان عند الظهيرة تخلف خاقان في أربعة مائة من أصحابه ،
 عليهم انحرز ومعهم الكؤوسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤوسات فضربت ضربا شديدا ضرب
 الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على عسكرهم فاحتازوه

جما فيه من الأئمة العظماء ، والأواني من الذهب والفضة ، واللباس والعصيان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمين وغيرهم ، مما لا يحصى ولا يوصف لكثرة وعظمه وقيمه وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فتناهما ، فوصل المسلمون إلى المسكر وهي في آخر روق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تملئ باطعماتهم ، وهرب خاقان من معه حتى دخل بعض المدن فلجس من بها ، فاتفق أنه لعب بالترد مع بعض الأمراء فطلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد ، فغنى عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضا ، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبعث إليه بطول خاقان . وكانت كباراً لها أسوات كل عدد . وبشيء كثير من جوامعها وأمتعتها ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال . وقد قال بعض الشعراء في أسد مدحه على ذلك : -

لوسرت في الأرض تقيس الأرض * تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيراً إمرة ونقضا * من الأمير أسد وأهلى
أفضى إلينا الظير حتى أفضا * وجع الشمل وكان أرفضا
ما فاتت خاقان إلا ركضا * قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن شريح قد لقيت حضا * حضا به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المنيرة بن سعيد وجماعته من أصحابه الذين تابعوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً فاجراً شيعياً خبيثاً . قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المنيرة بن سعيد يقول : لو أراد أن يحيى عانا ونمردا وقرىنا بين ذلك لأحييهم . قال الأعمش : وكان المنيرة هذا يخرج إلى القبرة فيسكن فيرى مثل الجراد على القبر ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير أنه غير ذلك من الأشياء التي تعمل على سحره وفجوره . ولما بلغ خالداً أمره بأخذ أمواله فحسبها في ستة نفر أو سبعة نفر ، فأمر خالد فأبرز سيره إلى المسجد . وأمر بأخذ أبواب القصب والفضة فصب فوقها ، وأمر المنيرة أن يحضن طلبة لها . فاستمع فصرخ حتى انحطت منها طلبة واحدة وسب فوق رأسه الفضة ، ثم أصرم بالنار . وكان ذلك فعل بغيضة أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له يارول بن بشر ويلقب بكثرة . واتبعه جماعات من الطوائج دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري . فبعث إليهم البعوت فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جداً لشجعانهم وجملتهم ، وقلة أصبح من يقاومهم من الجيوش . فبردوا المسار من الأتراك المماليك ، ذوات الأسلحة والخطى المسيرة ، عسناً وغيرهم بياض المائة ، ثم إليهم وأمر بالقبول ثم الشتم قتل الخليفة

هشام ، فقصدها نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتلوا معهم قتالا عظيما ، فقتلوا عامة أصحاب
بهاول الخارجى . ثم إن رجلا من جميلة يكنى أبا الموت ضرب بهاولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه
بقية أصحابه ، وكانوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثاهم بعض أصحابهم ^(١) فقال : -

بدلت بعد أبى بشر وصحبته * قوما على مع الأحزاب أعوانا
بانوا كأن لم يكونوا من صحابتنا * ولم يكونوا لنا بالأمن خلانا
يا عين أذكرى دموعا منك تبتانا * وابكى لنا صحبة بانوا وجيرانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها * وأصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقتلوا وقتلوا وقتلوا ، وجهازت إليهم العساكر
من عند خالد القسرى ، ولم يزل حتى أباد خضراء ثم لم يبق لهم بقية . وفيها غزا أسد القسرى بلاد
الترك ، فمرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذ قهرا فقتله صبرا بين
يديه ، وأخذ مدينته وقلايته وحواراه ونساء وأمواله . وفيها خرج الصحارى بن شبيب الخارجى
واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسرى جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم
يتركوا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس فى هذه السنة أوشاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج
معه ابن شهاب الزهرى ليعلمه مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن
إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسرى ، ونائبه على خراسان بكالها أخوه أسد
ابن عبد الله القسرى ، وقد قيل إنه توفى فى هذه السنة ، وقيل فى سنة عشرين فله أعلم . ونائب
أرمينية وأذربيجان مروان الحمار والله أعلم .

﴿ سنة عشرين ومائة من الهجرة ﴾

ففى غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم المقتلى
تومان شاه ، وافتتحها وخرّب أراضيها . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد
ابن عبد الله القسرى أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُبيلة فى جوفه ، فلما كان
مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن الكبار - من سائر البلاد بالهدايا والتحف على
أسد ، وكان فيمن قدم نائب هراة ودهقانها ، وأسم دهناتها خراسان شاه ، فقدم بهدايا عظيمة وتحف
عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، وصحاف من
ذهب وفضة ، وتفصيل من حرير تلك البلاد ألوان ، ولونة ، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ
الجلس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسداً بخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعمله ومنعه أهله
وخاصته أن يغادروا أحدا من الرعايا بشئ قل أو كثير ، وأنه قهر الخان الأعظم ، وكان فى مائة ألف

(١) هو الصحاح بن قيس . انظر الطبرى (٢ : ١٦٢٧) طبع أوربا

فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يفد إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا ، فأثنى عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أفاق إفاقة وجيء بهدية كثرى فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة فانهم جرت دبيلته وكان فيها حنطة ، واستخلف على عمه جعفر بن حنظلة البهراني ، فكث أهيرا أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن عرس العبدى يرثيه :

نعم أسد بن عبد الله ناع * فربيع القلب الملك المطاع
يبلغ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودى عين بالمبرات سحا * ألم يمزك تفريق الجماع
أناه حمامه في جوف ضيع * وكم بالصيغ من أبطال شجاع
أناه حمامه في جوف صيغ * وكم بالصيغ من أبطال شجاع
كتائب قد يحببون المنادى * على جرد مسومة سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثا * مرينا عند مرقاد النجاع

وفيهما عزل هشام خالد بن عبد الله القسرى عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلغه من إطلاق عبارة فيه . وأنه كان يقول عند ابن الحقاء ، وكتب إليه كتابا فيه غلظة ، فرد عليه هشام ردّا عنيفاً ، ويقال إنه حسد على سعة ما حصل له من الأموال والحواصل والنفقات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف ، وقيل إنه وفد إليه رجل من الزمام أمير المؤمنين من قر يش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يعبأ به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبيكنه على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فورده عن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو صائرا ذليلا مستأذنا عليه ، ويتصلا إليه مما وقع ، فإن أذن لك وإلا قف على بابك حولا غير متجمل من مكانك ولا زائل ، ثم أمرك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبقاك ، وإن شاء انتحصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يملأه بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطا على رأسه ، إن رأى ذلك مصالحة . ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف ابن عمرو فولاه إمرة العراق ، وأمره بالمسير إليها والتقدم هناك في ثلاثين راكبا ، فقدموا السكوفة وقت السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالاقامة : فقال : إلى أن يأتي الأمام . يعني خالداً .

فانتهره وأمره بالاقامة وتقديم يوسف فصلى وقرأ (إذا وقست الواقعة) و (سأل سائل) ثم انصرف
فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالا كثيرة ، صادر خالداً بمائة ألف ألف
درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة
- أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكلن خالد بن
عبد الله القسرى ، واستناب على خراسان جديع بن علي السكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي
كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعا في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر
ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من المقار والأموال وهلة واحدة ، وقد كان أشار
عليه بعض أصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه أن يبعث إليه يعرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب
منها أخذها وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق
فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأ العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه
ومعه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على
خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد ولله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشعري في ذلك :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسف أخبار ما لقيت * اختار نصراً لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطأت شعبة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عتب عليهم
في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بخدش ، وكان خرمياً ، وهو الذي طم المنكرات ودنس المحارم
والمصاهرات ، فقتله خالد القسرى كما تقدم ، فعتب عليهم محمد بن علي في تصديقهم له واتباعهم إياه على
الباطل ، فلما استبطأوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولا يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولا ، فلما جاء
رسولهم أنه محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتابا مختوما ، فلما فتحوه
لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، فعدوا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسل
رسولا إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهموا به ، ثم جاءت من جهته عصى ماويا عليها حديد ونحاس ،
فعدوا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون كالخلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن
جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فيما قاله أبوه عشر ، قال : وقد قيل إن الذي حجج
بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فله سبجانه وتعالى أعلم ،

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة)

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح مطامير وهو حصن ، وافتتح مروان بن محمد بلاد صاحب
الذهب ، وأخذ قلاعها وخرب أرضه ، فأذن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يودعها إليه ، وأعطاه

رهناء على ذلك . وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تنسب
 إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام السكابي : إنما قتل في صفر من سنة ثلثين
 وعشرين فأنه أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أن زيداً
 هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد التميمي عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف
 يودعني مالا وهو يشتم أبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأخبره أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن
 عمر باحضار خالد من السجن فجئ به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً فتخلصه منه ؟
 قال : لا ، وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فعفا عن ذلك ، ويقال
 بل استحضرهم فغلبوا بما حلفوا . ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من
 أربعين ألفاً ، فقام بعضهم النصحاء عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له :
 إن جسدك خير منك ، وقد التفت على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أجمع ما كان
 إليهم ، وإني أحذرك من أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يبايع الناس في الباطن في الكوفة ، على
 كتاب الله وسنة رسوله حتى استنفذ أمره بها في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ،
 وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سذكره قريباً . وفيها
 غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كورصول في بعض
 تلك الغزوات وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه وتحققه ، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف
 دينار من إبل الترك . وهي البخاري . وألف برذون ، وهو مع ذلك شبح كبير جداً ، فشاور نصر بن
 سيار من الأمراء في ذلك ، فنهى من أشار باطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأل نصر بن سيار
 كم غزوت من غزوة ؟ فقال : اثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت
 هذا كله ، ثم أمر به فصر به علقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله بانوا تلك الليلة يجرون
 ويبيكون عليه ، وجندوا لحاجهم وشؤورهم وقطعوا آذانهم وجرقوا خيولهم كثيرة ، وقتلوا أنعاماً كثيرة ،
 فلما أصبح أمر نصر باحراقه لئلا يأخذوا جثته ، فسكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا
 خائبين صاغرين خائرين . ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقاً وأسر أمماً لا يحصون كثرة ،
 وكان فيهم حضرة بين يديه عجوز كبيرة جسداً من الأحجام أو الأتراك . وعنى من بيت مملكة ،
 فقالت لنصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده سنة أشبه فهو ليس بملك ، وزير صادق يفصل
 خصوصيات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطبايعهم يعالج ما يشاء ، وروجة حسنة إذا دخل عليها
 فلما فنظر إليها سرته وذنب غمه . وحسن منيع إذا فرغ من عياله لجأ إليه فيه ، وسيف إذا قرع به
 الأقران لم يخش خيافته ، وذخيرة إذا حاربها فبين ما وقع من الأرض عاش بها .

وحجج بانثاس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب المراق
يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرمينية مروان بن محمد .
ذكر من توفي فيها من الأعيان :

﴿ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﴾

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

﴿ مسلمة بن عبد الملك ﴾

ابن مروان الفرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصمغ الدهشقي ، قال ابن عساكر : وداده
بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع النبلي ، وفي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات
وحاصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمرة المراقين ، ثم عزله وتولى أرمينية . وروى الحديث عن
عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وعبيد الله بن قرعة ، وعيينة والد سفيان بن
عيننة وابن أبي عمران ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى الفسائي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار
كثيرة ، وحروب ونكاي في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد
الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك فبلغ باب الأبواب فهدم المدينة التي عنده ، ثم أعاد بناءها بعد
تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر
ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذوه وهو يمازيتهم صداع
عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم اليه بقلنسوة وقال : ضعها على رأسك يذهب صداعك ، فحشى
أن تكون مكيدة فوضعها على رأس بيمة فلم ير إلا خيراً ، ثم وضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا
خيراً ، فوضعها على رأسه فذهب صداعه ، ففتقها فاذا فيها سبعون سطرًا هذه الآية (إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا) الآية مكررة لاغير ، رواه ابن عساكر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعاً شديداً ، فلما
ولى عمر بن عبد العزيز إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، تخلف مسلمة أن لا يقلع عنهم
حتى يبنوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية ، فبنوا له جبلاً ومئذنة ، فهو بها إلى الآن يصلي فيه
المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يفعله المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ،
كما منورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك
هناك ، وبالجملة كانت مسلمة مواقف مشهورة ، ومساعي مشكورة ، وغزوات متتالية مشهورة ،
وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بعزمه قصوراً وبقاعاً ، وكان في زمانه في الغزوات أنظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة مغازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجوده تصرفه في نقضه وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفصاحة ، وقال يوماً لنصيب الشاعر : سلمى ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كغتك بالجزيل أكثر من مسألتي باللسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء (لا يذنبون كما يذنب الناس . مات ابن أبي قط) وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنها صنعة جحد أهلها . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء لستع مضي من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته بموضع يقال له الخانوت ، وقد رثاه بعضهم ، وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقول وما البعد إلا الردى * أمسلم لا تبدين مسلمه

فقد كنت نورا لنا في البلاد * ضيئاً فقد أصبحت مظلمه

ونكنتم موتك نخشى اليقين * فأبدي اليقين لنا الجمه

(نعيم بن قيس)

الأشمرى قاضى دمشق ، تابعى جليل ، روى عن حذيفة مرسل وأبى موسى مرسل وأبى الدرداء وعن معاوية مرسل وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثيرون ، منهم الأوزاعى وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث الدمارى . ولده هشام بن عبد الملك القضاة بدمشق بهد عبد الرحمن ابن الخشاش العنبرى ، ثم استوفى هشاماً فمناه وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبى مالك . وكان نعيم هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والعلاج من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

(ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة)

ففيها كن قتل زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة ممن بايعه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك . فاقبل رجل يقال له سليمان بن سراققة إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره . وهو بالخير يومئذ . خبر زيد بن على هذا ومن معه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويأخذه في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن على فقتلوه له . يقولون يرحمك الله في أبى بكر وعمر ؟ فقال : خير الله لهما ، سمعت أحداً من أهل بيتي يبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيها إلا خيراً ، قالوا : فلم تطالب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنما كنت ألقى الناس بهذا الأمر ، ولكن التوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه ، ولم يباغ ذلك عندنا بهم كفراً ، قد ولوا فمملوا ، وعملوا بالكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقابل هؤلاء إذا ؟ قل : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظالموا الناس وظالموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإحياء السنن وإقامة البسطة ، فإن نسعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل . فرفضوه وانصرفوا عنه . ونقضوا بيعته وتركوه ، فلما سمعوا الرافضة من يومئذ ، ومن تأبوا من الناس على قوله سمعوا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي منهم بهم حق ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليه السلام ، وليس على مقدما عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قول أهل السنة الثابتة ، ولا آثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج مع بني أبي سفيان أصحابه ، فواعدتهم ليلة لأربعاء من مستهل صفر من هذه السنة . فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجميع الناس كانوا في المسجد الجامع ، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سبعة الخرم ، قبل خروج زيد يوم ، وخرج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون بالمنصور بالمنصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مئتان ومائة عشر رجلاً ، فعمل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يطلبه بالخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بين هذه الجيوش منهم فيمن خفها فاة فارس ، ثم أتى الكوفة فعمل على جمع من أهل الشام فبرزهم ، ثم اجتاز يوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر قتله ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما لقي طائفة هنهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعرز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عر ولا دنيا ، ثم لما أسسوا انضاف إلى جماعة من أهل الكوفة ، وقد قبل بعض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني أقتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأسسوا فمباً يوسف بن عمر جيشاً جدياً . ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى البصرة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيولهم ورجلهم حتى أخذوا على الماء ، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً ، حتى كان جريح اليمين زيد يسهم فغالب جانب جبهة اليسرى ، فوصل إلى د. اعد ، فراجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجسوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وبعث بليليب فذازع ذلك السهم من جبهته ، فاحدا أن اقترعه حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين ياتفقوه ، فقتل يسهم : البسوة درعه واقفوه في الماء ، وقال بعضهم :

أحترقوا رأسه وأتركوا جسده في القبر ، فقال ابنه : لا والله لا تأكل أبي السكلاب ، وقال بعضهم :
 ادفنوه في العباسية ، وقال بعضهم : ادفنوه في السفراء التي يؤخذ منها الملبين ، ففعلوا ذلك وأحرقوا على
 قبره الماء ثلاثا يعرف ، وانتقل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يتألمون به ، فلما أصبح الفجر ولهم قائمة
 ينهضون بها ، وتصبح يوسف بن عمر الجرجسي من يهود زيدا بينهم ، وجاءه دوى لزيد سنادي قد شهد
 دفنه فدخل على قبره فأخذه من قبره ، فحضر يوسف بن عمر يصلي عليه على خشبة بالكعاسة ، وبعد عصر بن
 خزيمة ومساوية بن السعدي بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزيد القهري ، ويقال إن زيدا مكث
 بمالوا بأربع سنين ، ثم نزل بسد ذلك وأحرق الله أنامل . وقد ذكر أبو حمزة ابن جرير الطبري
 أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من ذلك حتى كتب له عثمان بن عبد الملك : يا لك الغافل ، وإن زيدا
 ابن علي غار ذنبا بالسكرة يبيع له ، فأبلغ في طلبه وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل قتله ، فطلبه
 يوسف حتى كان من أمره ما تقدم ، فلما ظهر على قبره جزأه إلى عثمان ، وألم من يده الوليد
 ابن يزيد فأمر به فأقول وحرق في أمانه فبيع الله الوليد بن يزيد ، فلما أبته يحيى بن زبيد بن فاستجار
 بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبعث إليه يوسف بن عمر يتهدده حتى يخطره ، فقال له عبد الملك
 ابن بشر : ما كنت لأؤذي مثل هذا الرجل وغيره ، فاستأجر يوسف بن عمر في
 ذلك ، وقد هدأ الغالب عنه ميره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من كروانية إلى خراسان
 فقاموا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : لما قتل زيد بن علي بن يوسف بن عمر أهل الكوفة فهدموا قبره ودموا دمه وشتتهم وقال
 لهم فيما قال : والله لئن استأذنت أمير المؤمنين في قتل علي بن الحسين ، ولو أذن لي لقتلت مقاتلتكم
 وسببتم ذراريكم ، وما حدثت لهذا مني إلا لأبكم ما نكرتم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطل في جماعة من المسلمين بأمر الزعم ، ولم
 يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الملقب ابن عتب كثر في تاريخه الكبير فقال :

يا عبد الله أبو يحيى البرص باليمن

كان يؤول إلى الكوفة ، سكر شدة أوجع ، وإن الأمل كي ، ثم دعي باستدائه من عبد الملك بن
 مروان حين تقدم لا بد منه على شرب بلاد الروم ، وفي حال وقته أهل الجاهلية ، فاستأجر البطل ،
 وقال لابنه : سور دال حله لك ، فأمره فلبس بالليل المسكر ، فامر أن يمسكهم جميع ، فخرج
 معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق ، قال : فقد سمعوا البطل على عتبة آل كنانة يكفون بين
 يديه ثم بدأ من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين ، قال محمد بن خالد القهري : قد أوردني هذا
 حديث أبي مروان شيخ من أهل إصطخر قال : كنت ألقى مع الروم ، وقد أوردني الروم ذلك

قال البطال فسألتني بعض ولاية بنى أمية عن أعجب ما كان من أمرى في مغازى فيهم ، فقلت له : خرجت في سرية ليلاً فدفعنا إلى قرية فقللت لأصحابي : اركبوا الجم خيلكم ولا تتركوا أحداً يقتل ولا بشئ حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها ، ففعلوا وافترقوا في أرقبها ، فدفعتم في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجبه ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : تسكتن أو لأدفعنك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلتني من سريرته وقالت : خذني يا بطل ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال : انفردت مرة ليس معي أحد من الجند ، وقد سقطت خافي مخلاة فيها شمع ، ومعي منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لم لي ألقى أحداً منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فنزلت وأكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النمل ، فأخذني إسمال عظيم قت منه مراراً ، فحفت أن أضعف من كثرة الاسمال ، فركبت فرسي والاسمال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب ، وأفرط بي الاسمال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بقرع ناله على بلاط ، فأرفع رأسي فإذا دير ، وإذا قد خرج منه نسوة صحبة امرأة حسنة جميلة جداً ، فجلست تقول بلسانها : أنزلني ، فأنزلني ففلسن عني ثيابي ومرجني وفرسي ، ووضعني على سرير وعلمن لي طاماً وشراباً ، فمكثت يوماً وليلة مستوية ، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريرق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتها ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهم بالهجوم على فتنة المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته ، فتشاء ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريرق إلى آخر النهار في ضيافتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : فتهبست في أثرهم فهمت أن تمنني خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فجلست عليه فانفرج عنه أصحابه ، وأراد الفرار فألحقه فأضرب عنقه واستلبته وأخذت رأسه مسطاً على فرسي ، ودرجته إلى الدير ، فخرجت إلى وقفين بين يدي ، فقللت : اركبن ، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتهن إليه ، فنقلني ماشئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسنة بعينها ، فهي أم أولادي . والبطريرق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتائب أباهاً ويهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاء المصيصة بث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها فلم يدرك ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية ، فطرق بابها ليلاً

فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطال : فقلت أنا سياف الملك ورسوله إلى البطريرق ، فأخذني طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فخاست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئت في رسالة فمر هؤلاء فليصرفوا ، فأمر من عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأخلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء مجلس مكانه ، فأخترط سيفي وضربت به رأسه صفعاً وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها ، فقال : هم في بلادى يتهبون ماتياً هم ، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادى كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، فقلت : إيتني بطعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعام فوضع لي ، فأكلت فقلت لا نصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادى الذى ذكر فإذا أصحابي هناك ، فأخبرتهم ورجعت إلى المصيصة . فهذا أقرب ماجرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطال وهو قافل من معجته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ايون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريرق - الذى البطال مازجج بإيدته التي ذكرنا أمرها - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عسكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير ماثلاً بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضى أن نتحصن في مدينة حران ، فتكون بها حتى يقسم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك وذهبهم الجيش ، فقاتلوا قتالاً شديداً والأبطال قهرم بين يدي البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حمة واحدة ، فاقاموه من سرجه برماحهم فأتقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير ماثلاً بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها ، وأصبح ايون فوقف على مكان الممركة فإذا البطال باخر رمى فقال له ايون : ما هذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكنا تقتل الأبطال ، فاستدعى ايون بالأشبا ايداً وود فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ايون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من ملك من المسلمين أن يدا غسلي والصلاة على ودغي ، ففعل الملك ذلك ، فأتاني لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ايون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا بالخندسج . فبينما نحن في تلك الشدة والخوف إذ جاءتهم البرد بقدم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فمر ايون في جيشه الخبيث فلربما راجعوا إلى بلاده ، فبجده الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن حسان الزيادي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قبل وقد قاله غيره وإنه قتل هو والأمر عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فأنه أعلم ، ولكن ابن جرير لم يورد في هذه السنة فأنه أعلم .

قلت : فهذا ما يخص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للاخبار وإطلاعه عليها ، وأما يذكره العاصم عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلمة والبطال والأمر عبد الوهاب والقاضي عقبة ، فكذب وإفراء ووضع بارد ، وجبل وتخطيط فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو بهلول ردى . كما يروج ما هم سيرة حنيفة العيسى المكذوبة ، وكذلك سيرة البكري والذئب وغير ذلك ، والكذب المتشمل في سيرة البكري أشد وأكبر جرماً من غيره ، لأن واضعها يدخل في قول النبي ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ قصده من النار » . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إبراهيم بن أبي ياس الكندي

وهو إبراهيم بن سماعة بن مرة بن إبراهيم بن هلال بن رباب بن عبيد بن حريش بن أوس بن سواد ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فكانت نسبة خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو وائلة المزني قاضي البصرة ، وهو تابعي ولجده صحبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، وروى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء عن أنس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي جابر ، وعنه الحارثان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سعد والذهلي وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سعد وكان عاقلاً من الرجال فطناً ، وزاد الذهلي وكان قتيلاً حنيفاً . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، و مرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : فهاكم إبراهيم بن عيسى وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنك شيخ وأنت شاب فلا تسأله في الكلام ، فقال إبراهيم : إن كان كبيراً فلتلق أكرمه . فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يسألكم بمجتي إذا سكنت ، فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بمجتي في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال إبراهيم : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالماً له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي ، فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقض حاجته وأخرج الساعة من دمشق لأينسده على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة فرَّ منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجدته

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فتكلم رجل من بني أمية فرد عليه إياس ، فغاطط له الأثرى فقام إياس ، فقبل الأثرى : هذا إياس بن معاوية الخزفي ، فلما سمع من الناس اعتذره الأثرى وقال : لم أعرفك ، وقد جمست إلينا بثياب السوقة وكناها بكلام الإشراف فلم نحصل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا إسماعيل بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شرويب قال : كنت يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إلياس بن معاوية منهم . وقال المعلى : دخل على إلياس ثلاث نسوة فذا رأتن قال : أما إحداهن فريض ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقبل له بهم عامت هذا ؟ فقبل : أما المرضع فكانت قد أتت نسيتها بيدها ، وأما البكر فكانت دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكانت دخلت نظرت ورمت بعينها . وقال يونس بن عبدليب :

فما الأحف بن حكيم بأبصارنا فما جهاد بن سبعة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف القليلة التي
ولدت فيها ، وضمت أمي على رأسي جفنة . وقال المسداني قال إياس بن معاوية لأمه : ما شيء سمعته
وأنت تحامل بي وله جلبة شديدة ، قالت : ذلك طست من نحس سقط عن فوق أبادر إلى أسفل ،
ففرغت . فوضعت تلك السبعة . وقال أبو بكر المنذر البجلي عن عمر بن شيبه النخعي قال : بلغني أن
إياساً قال : ما يسرني أن أكتب كذبة يطالع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاصمت أحداً من أهل
الاعواء بعقلي كذبة إلا القدرية : قلت لم أخبرني عن الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذنا من ليس له ،
قلت : فارتد الله كل شيء . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكذاب وأقامني بجملي أولاد
النصارى يصيحون من المسلمين ويقولون : إني منكم ، فلو لا فضل الإسلام أغرق الجلاء ، فمات
لأفقيه . وكان اصراً بيا : أليس ترجع أن في الإسلام ما يصحرف في قتالهم البدين ؟ قال : بلى ، قلت
فما يسكر أن يعمل الله طامع أهل الجنة كذبة ، فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

[illegible]

وقال بعضهم : اكترى إياس بن معاوية من الشام قاصداً الطنج ، فركب معه في المحارة غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فمكثا ثلاثاً لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث تحادنا فتعارفا وتوجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إياس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ويقول أهل النار (ربنا غلبت علينا شقوتنا) وتقول الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما فقهره إياس ، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالهجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذباً ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان فقتل وصاحب بعد ذلك بالله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسن : لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مثاله خير من أن يكون في مثاله فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهه وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا ! قال : السند والهند والترك ؟ قلت : لا . قال : أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الشباب ، يلبس عمامته ، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه ، وقد قال له بعضهم : ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك ، فقال : بحق أتدرككم أم يهمل ؟ فقيل بل بحق ، فقال : كلما كثر الحق فهو خير ، ولما به بعضهم في لباسه الشباب الغليظة فقال : إنما ألبس ثوباً يخدمني ولا ألبس ثوباً أخدمني ، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سأل رجل إياس عن النهي فقال : هو حرام ، فقال الرجل : فأخبرني عن الماء فقال : حلال ، قال : فالكسور ، قال : حلال ، قال : فالنمر قال حلال ، قال فما باله إذا اجتمع حرم ؟ فقال إياس : أرايت لوريتك بهذه الحفنة من التراب أتوجهك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الحفنة من اللبن ؟ قال لا توجهني ، قال : فهذه العرقة من الماء ؟ قال لا توجهني شيئاً ، قال : أفرأيت إن خلعت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طيناً ثم تركته حتى استجبر نمره منك أتوجهك ؟ قال : إياي والله وتقتلني ، قال : فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت . وقال المدائني : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أوطاة على البصرة نائباً وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشني ، فأيهما كان أفتة فليؤله القضاء ، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى : أيها الرجل سل فقيهي البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به - يعني بالقاسم - لأنه كان

يأتيهما ، فقال القاصم لعدي : والله الذي لا إله إلا هو إن يأساً أقنسل مني وأقنعه مني ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فوله ، وإن كنت كاذباً فما يفتني أن تولى كاذباً القضاء . فقال يأس : هذا رجل أوقف على شفيع جهنم فافسد مني يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدي : أما إذ فطنت إلى هذا فقد وليتكَ القضاء . فهكث سنة وفصل بين الناس وصلاح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بهدشق فاستشفاه القضاء ، فولى عدي بعده الحسن البصري .

قالوا : لما تولى يأس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب : لقد رموها بحجرها ، وجاء الحسن وابن سيرين فسلما عليه ، فبكي يأس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضين في النار وواحد في الجنة » . فقال الحسن (وداود وسليمان إذا يحكم في الحرف) إلى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) قالوا : ثم جالس للناس في المسجد واجتمع عليه الناس لاختصوا له ، فما قام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه بشرح القاضي . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال يأس : إني لأكلم الناس بنصف عقلي ، فإذا اختلفت إلى اثنين جئت لهما عقلي كله . وقال له رجل : إنك لتعجب برأيك ، فقال : لولا ذلك لم أفض به ، وقال له آخر : إن فيك خصل لا أتعجبني ، فقال : ما هي ؟ فقال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب الغليظة . فقال له : أيها أكثر الثلاثة أو الاثنين ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال أو يجمل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما جالستي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف لي قدرى أحب إلي من أن أجلس مع من لا يعرف لي قدرى ، وأما الثياب الغليظة فأنما ألبس منها ما يقيني لا ما أقيبه أنا . قولوا : وتجاكم إليه اثنين فادعي أحدهما عند الآخر فلا ، وجحد الآخر ، فقال يأس الدودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة في بستان . فقال : انطلق إليها فقلت عندها لعلك تتذكر ، وفي رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تذهب إليها فتأني بوردق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجالس الآخر فجعل يأس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المكان ؟ فقال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فأد إليه حقه ، وإلا جعلتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فسادفغ إليه وذبحه بكلمة . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جحدني ، فقال له : اذهب الآن واتقني غدا . وبعث من فورده إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم نزل له نوبنا لظنه عنده إلا أنت ، فخصه عندك في مكان حرير . فقال له سمعا وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتقني غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له : عفى عني وإلا فأتيتك إلى القاضي ، فقال له ذلك فخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره . فرفع إليه يده له بكلمة ، فجاءه إلى

إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الهند رجاء أن يودع فائز به إياس وطرده وقال له : أنت خائن .
وتحاكم إليه اثنان في جارية فادعى المشتري أنها ضميعة العقل ، فقال لها إياس : أي رجلك أطول ؟
فقاتلت : هذه . فقال لها : أنت كرين ليلة ولدت ؟ فقاتلت نعم . فقال لها أفع رد .
وروى ابن عساکر أن إياس سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فلما
ولدت ولدت كما قال ، فستل بهم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي
صوتها ضجل فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً بيهض المسكاتب فإذا صبي هنالك فقال : إن كنت
أدرى شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد
رجل عند إياس فقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو العنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعمش :
دعوني إلى إياس فإذا رجل كلما فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يسرف عيب
نفسه فهو أحق ، فقبل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فتقبل له
في ذلك فقال : كن لي بابان مفتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلبدون أبناء
وولدت أنا أباً . وكان أصحابه يجلسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جالس إذ نظر إلى
رجل قد جاء فجلس على دكة الحانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم
عاد ، فقال لأصحابه : هذا فقيه كذاب قد أبق له غلام أعور فهو يتطلبه ، فقاموا إلى ذلك الرجل
فسألوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس على دكة الحانوت
علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به
فعرفت أنه قد فقد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر : عرفت أن
غلامه أعور . وقد أورد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عنده رجل في
بستان فقتل له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جنود هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة
سنتين ؟ فقلت : لا أدرى وأقررت شهادته .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على
خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يغبر على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت
أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصغد من أمير خراسان نصر بن سيار
أن يردهم إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتد منهم عن الإسلام ،
ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ،
فعلاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمر وا على

معانديهم للمسلمين كان ضررهم أشد ، أجازهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفندا إلى
 أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما
 شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضعف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما
 كثيرا ، فلم بلغت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان وولايتها . قال ابن جرير : وحج
 بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والهيل فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها . وتوفي في هذه
 السنة ربيعة بن يزيد التصير بن أهل دمشق ، وأبو يوسف سليمان بن جبير ، ومعاذ بن حرب ، ومحمد
 ابن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال تمت
 القالب : الذنب على الذنب ، ومخالفة الموتى ، قيل له : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى متوفى ، وسلطان
 جائر . وكثرة مشاققة النساء ، وحديثي ، ومخالطة أعداء . وقال مالك بن دينار : إني لأغبط الرجل
 يكون عبثه كغافا فيتمتع به . فقال محمد بن واسع : أغبط منه والله عندي من يصبح جائلا وهو عن
 الله راض . وقال : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اتوجهت قومي ، وصلاة في جماعة
 يحمل عن سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله على فيه ثمة . وروى
 رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق بزور وهو يعرض حمارا له فابيع ، فقال له رجل :
 أرضاه لي ؟ فقال لو رضيت لم أبعه .

ولما قتل محمد بن واسع كثر عليه الناس في المياعة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فإذا قوم
 يعودون وقوم قيام ، فقال : ماذا يعني هؤلاء عني إذا أخذوا شخصي وقدمي غدا وأنتيت في النار ؟
 وبعث بعض الخلفاء مالا مستكثرا إلى البصرة ليفرق في طراء أعابها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن
 واسع منه فلم يقبله ولم يلتبس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فإنه قبل ما أمر له به ، واشترى به
 أرقاء واعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فإنه محمد بن واسع يلوذ على قيم له جهول السلطان . فقال
 له : يا مالك قبلت جوائز السلطان ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ! سل أصحابي ماذا فعلت منه ،
 فقالوا له : إنه اشترى به أرقاء واعتقهم . فقال له : سألتك بالله أنك الآن طبع مثل ما كان قبل
 أن يصادرك . فقال مالك وحشي على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع . إنما مالك
 حمار إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله]^(١)

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين بمائة)

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فقاتل ملك الروم قتالا فسلم سليمان وسليم

وفيهما قسمة جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان فاصدين إلى مكة فمروا بالسكوفة فبذلهم أن
في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم
في السجن فدعواهم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا
عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل المجلبي ، وكان محبوبا
فأعجبهم شهامته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشتراه بكر بن ما هان منه بأربعمائة درهم
وخرجوا به معهم فاستقنبروه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتبع ما يوجهونه إليه ،
ثم كان من أمره ما سئد كره إن شاء الله تعالى فيما بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن
علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس
السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس فيها
عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما
حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب
الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدي إليها الألفاظ والتحف ويعتذر إليها
من التقصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي :

﴿ القاسم بن أبي بزة ^(١) ﴾

أبو عبد الله المكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل
عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووثقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ،
وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة والله أعلم

﴿ الزهري ﴾

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ،
أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام من أئمة الاسلام ، تابعي جليل ، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم .
روى الخافظ ابن عساكر عن الزهري قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتفعت إلى
دهشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فحشت جامعها فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من
عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن
المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأولاد يرويه عن عمر بن الخطاب - فقلت : إني أحفظ
عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، فأخذني فأدخلني على عبد الملك : فسألني ممن أنت ؟
فانقسبت له ، وذكرت له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ،

(١) في نسخة القسطنطينية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة . وصححه
من تذهيب الصفي الخزرجي .

فسألني عن ذلك كله فأجبته ، ففرضي ديني وأمر لي بجائزة ، وقال لي : أطلب العلم فاني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبة ، فأتيتها فسألتها عن ذلك ، فقالت : إن بلي غاب وترك لنا خادما وداجنا ونخيلات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين الثامنة واليقتنى رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشردا - قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا يضيئ علينا الليل ، ثم نصب القدر وقطعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغيرا قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني شربه ولد الداجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا الليل ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدي الصغير فقيته في بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فسمت فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك منمة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أحذر منه فقال : يا رؤيا يا رؤيا ، فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقلت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أخفك يا أخفك ، فأقبلت امرأة سوداء شنيعة فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت إنها امرأة صالحة فأحببت أن أعلمها ساعة ، ثم استيقظت فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراءه فكأنما هدني إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام .

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية . وكان قصيرا قليل اللحية ، له شعرات طوال خفيف المارضين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يخدم عبيد الله بن عبيد الله يسقي له الماء المالح ، ويدور على مشايخ الحديث ، ووجه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنا نسكركه كتاب العلم حتى أكرهه عليه هؤلاء الأشرار ، فرأيت أن لا نعلمه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من عند عروة فيقول لجارية عنده فيها الكنة : لنا عروة ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمعه منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري ما تقول ، فيقول لها : اسكتي الكعك ، فاني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وفد على عبد الملك بن مشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان بعد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، والوليد وسليمان ، وكنا عند عمر

ابن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقضاء يزيد مع سليمان بن حبيب ، ثم كان حظيا عند هشام ، وحبب منه وجملة علم أولاده إلى أن توفي في هذه السنة ، قبل هشام بسنة . وقال ابن وهب : سمعت الليث يقول : قال ابن شهاب : ما استودعت قبلي شيئا قط فسميته ، قال : وكان يكره أكل التفاح وسور الفارة ، ويقول : إنه يفسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكي ، وفيه يقول فايد بن أقرم .

زردا وأثن على الكريم محمد * واذا كر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بحاله * قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المداين يعرفون مكانه * وربيع ناذيه على الأعراب

يشرى وفاء جفاته ويدها * بكور انتاج وفقى لباب

وقال ابن مهدي : سمعت مالك يقول : حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أستمعني ؟ ما استفهمت علما قط ، ولا رددت على عالم قط ، ثم جمل ابن مهدي يقول فلك الطوال وتلك المغازي .

وروى يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلمي عن الوليد بن مسلم عن سمييد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبيه شيئا من حديثه ، فأملى على كاتبه أربع مائة حديث ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاما قال للزهري : إن ذلك الكتاب ضاع ، فقال : لا عليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يفتد حرفا واحداً ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت أحداً أحسن سؤالا للحديث إذا حدث من الزهري . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري ، ولا أعون من الدينار والدرهم عنده ، وما الدرهم والدنانير عند الزهري إلا بمنزلة البهر . قال عمرو بن دينار : وقد جالست جابرا وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رأيت أحداً أسبق للحديث من الزهري .

وقال الامام أحمد : أحسن الناس حديثا وأجودهم إسنادا الزهري ، وقال النسائي : أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي عن رسول الله ﷺ . وقال سعيد عن الزهري : مكثت خمسا وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنت أسمع حديثا أستطرفه . وقال الليث : ما رأيت علما قط أجمع من ابن شهاب ، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت : ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعا جامعا . وكان يقول : اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك

وأخوذ بك من كل شر أحاط به عندك في الدنيا والآخرة . قال الميث : وكان الزهري أسعفى من رأيت ، يعطى كل من جاءه وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس الثريد ويستقيهم العسل ، وكان يستمر على شراب المسك كما يستمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقول استقونا وجدونا ، فإذا نكس أحدهم يقول له : ما أنت من سائر قریش ، وكانت له قبة مصفرة ، وعليه ملحفة مصفرة ، رثته بساط مصفر ، وقال الميث : قال يحيى بن سعيد : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري ، وقيل له : ولا الحسن ؟ فقال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من ؟ قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المسيبي : الذين أفقوا أربعة ، الزهري ، وأبو بكر ، وحماد وقتادة ، والزهري أفقهم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضى فليس بقاض ، إذا كره الملاوم وأحب الحامد . وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصدحهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وهشام بن طلحة وعبد الله ، ورحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذى أدب الله به رسول الله ﷺ ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع منها فليجمله أمانة حبيبة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العلم حتى يذهب علمه ، وفي رواية أن يترك العلم العجل بالعلم حتى يذهب ، فإت من غوائل قلة انتفاع العالم بعلمه . ومن غوائل التسبيح والكناب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسمع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طاف الجفاس كان للشريطان فيه حظ ، وليسب . وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفاً . وفي رواية عشرين ألفاً . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين ، فقال له : لا آتني أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عندك فتكون قد جمعت على أمانيك ، قل : فوعده الزهري أن يقسم .

فمر به بعد ذلك وقد وضع الطمام ونصب موائد النسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي
فارقنا عليه ، فقال له الزهري : انزل فان السخى لا تؤدبه التجارب . وقد أشد بعضهم في هذا المعنى
له سحائب جود في أنامله * أظهارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في العسر إن أيسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب
وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله
بثلاث بشعب زيدا ، فأقام بها فرض هناك وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته
لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : وكان ثقة كثير الحديث
والعلم والرواية ، فقيمها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني : رأيت قبر الزهري بشعب زيدا
من فلسطين مسما بمجصصا ، وقد وقف الأوزاعي يوما على قبره فقال : يا قبر كم فيك من علم ومن حلم
* يا قبر كم فيك من علم ومن كرم * وكم جمعت روايات وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري
بأمواله بشعب ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن
ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدع له المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة ، وقال أبو عمير : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

[﴿ فصل ﴾]

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن
كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا : نحن نكتب السنن ، فكاتبنا ما جاء
عن النبي ﷺ ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة فلا
نكتب ، قال : فكاتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأنجح وضيمت . وروى الإمام أحمد عن معمر
قال : كنا نرى أنما قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من
خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع الطست بين يدي ابن
شهاب فتذكر حديثا فلم نزل يده في الطست حتى طاع الفجر وصححه . وروى أصبغ بن الفرغ عن
ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : لعالم واد فإذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه ،
فإنك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن
زبالة عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادمه ليخرج
فيقول : من الباب ؟ فنقول الجارية : غلامك الأعيمش ، فنظن أني غلامه ، وإن كنت لأخدمه

حتى أَسْتَقِي لَهُ وَضُوءَهُ . وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
أَرَاهُ عَنِ الزَّهْرِيِّ . قَالَ : تَبَهَّتْ سَمْعُ بْنُ الْمُسَيْبِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ حَدِيثٍ . وَرَوَى الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ
الزَّهْرِيِّ قَالَ : كُنَّا نَأْتِي الْعَالِمَ فَمَا نَتَعَلَّمُ مِنْ أَحَدِهِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِهِ . وَقَالَ سَفْيَانُ : كَانَ الزَّهْرِيُّ يَقُولُ
حَدَّثَنِي فَلَانٌ ، وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ . وَلَا يَقُولُ كَانَ عَالِمًا . وَقَالَ مَالِكُ : أَوَّلُ مَنْ دُونَ الْعِلْمِ ابْنُ شَهَابٍ .
وَقَالَ أَبُو الْمَلِيحِ : كَانَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَكْرَهَ الزَّهْرِيَّ عَلَى كِتَابَةِ الْحَدِيثِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَكْتُمُونَ بِمَدِّ
ذَلِكَ . وَقَالَ رَشِيدُ بْنُ سَمْعَانَ قَالَ الزَّهْرِيُّ : الْعِلْمُ خَزَائِنٌ وَتَفَادِيهَا الْمَسَائِلُ . وَقَالَ الزَّهْرِيُّ : كَانَ يَصْطَفِي
الْعِلْمَ بِالسَّائِلَةِ كَمَا يَصْطَادُ الْوَحْشَ . وَكَانَ ابْنُ شَهَابٍ يَنْزِلُ بِالْأَعْرَابِ يَعْلَمُهُمْ لُغَاةً بِلُغَاةِ الْعِلْمِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا
يَنْهَبُ الْعِلْمَ النَّسِيَّانَ وَتَرَكَ الْمَذَاكِرَةَ . وَقَالَ : إِنْ هَذَا الْعِلْمُ إِنْ أَخَذْتَهُ بِالْكِبَارَةِ غَلَبَتْكَ وَلَمْ تَقْطُرْ مِنْهُ
بَشْيَءٌ ، وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَالْأَيَّامُ أَخَذًا رَفِيقًا تَقْطُرُ بِهِ . وَقَالَ : مَا أَحَدَثَ النَّاسُ مِنْ رُوءٍ أَعْجَبَ إِلَى
مِنَ الْفَصَاحَةِ . وَقَالَ : الْعِلْمُ ذِكْرٌ لَا يَجِبُهُ إِلَّا الذِّكْرُ مِنَ الرِّجَالِ وَيَكْرَهُهُ الْوُثُوءُ . وَرَوَى الزَّهْرِيُّ عَلَى أَبِي
حَازِمٍ وَهُوَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا لِي أَرَى أَحَادِيثَ لَيْسَ فَمَا خُطِمَ وَلَا أُرْوَاهُ . وَقَالَ :
مَا عَيْدَ اللَّهِ بَشْيَءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْعِلْمِ .

وَقَالَ ابْنُ مَسْلَمٍ أَبِي عَاصِمٍ : حَدَّثَنَا دَجِيزُ بْنُ حَزَانَ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ هِزَانَ أَنَّهُ سَمِعَ الزَّهْرِيَّ
يَقُولُ : لَا يُوثِقُ النَّاسُ عِلْمَ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ بِهِ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِقَوْلِ عَالِمٍ لَا يَرْضَى . وَقَالَ ضَمْرَةُ بْنُ يَرْبُوعٍ
الزَّهْرِيُّ قَالَ : إِيَّاكَ وَغُلُولَ الْكِتَابِ ، قُلْتَ : وَمَا غُلُولُهَا ؟ قَالَ : حَبْسُهَا عَنْ أَهْلِهَا . وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنِ
الزَّهْرِيِّ قَالَ : حَضَرَ الْجُلَّاسَ بِالْأَنْسَخَةِ ذَلِكَ . وَرَوَى الْأَوْصَمِيُّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنِ ابْنِ شَهَابٍ
قَالَ : جَلَسْتُ إِلَى ثُمَالِيَّةَ بِنْتِ أَبِي مَعِينٍ فَقَالَ : أَرَأَيْكَ تَحِبُّ الْعِلْمَ ؟ قُلْتَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَلِكُكَ بِذَلِكَ
الشَّيْخِ - يَعْنِي سَمْعَانَ بْنَ الْمُسَيْبِ - قَالَ : فَتَزُوتُ سَمْعَانَ سَمِعَ سَمْعَانَ ثُمَّ تَجُودُ عَنْهُ إِلَى عُرْوَةَ فَتُجَرِّتُ
تُسَبِّحُ بِحَجْرِهِ . وَقَالَ اللَّيْثُ : قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : مَا يَسِّرُ أَحَدٌ عَلَى الْعِلْمِ صَبْرِي ، وَمَا تَسْرَهُ أَحَدٌ قَطُّ تَشْرِي ،
فَأَمَّا عُرْوَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ فَبَشَّرَ لَا تَكْتُمُهُ الدَّلَاءُ ، وَمَا ابْنُ الْمُسَيْبِ فَاتَّقِمْ لِلنَّاسِ قَدْرَهُمْ كُلَّ مَذْهَبٍ
وَقَالَ مَكِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَوْمِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ
ابْنَ شَهَابٍ سَأَلَهُ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ عَنْ سَمْعَانَ بْنِ الْمُسَيْبِ فَذَكَرَ عِلْمَهُ بِتَغْيِيرٍ وَأَخْبَرَهُ بِمَدِّهِ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ
سَمْعَانًا فَلَمَّا قَدِمَ ابْنُ شَهَابٍ الْمَدِينَةَ جَاءَ فَمَسَّمَهُ عَلَى سَمْعَانٍ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكَلِّمْهُ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ سَمْعَانَ
مَشَى الزَّهْرِيُّ مَعَهُ فَقَالَ : مَا لِي سَأَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ ؟ أَمَّا بَأْنُكَ عَنِّي وَمَا قُلْتَ إِلَّا خَيْرًا . قَالَ
لَهُ : ذَكَرْتَنِي لِبَنِي مَرْوَانَ . . . وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا مَكِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ
ابْنِ خَالِدٍ الْخَزَوَمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : أَصَابَ أُسْلُ
الْمَدِينَةِ حَاجَةٌ زَمَانَ فَتَنَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ ، فَعَمَتْ أَهْلُ الْبَلَدِ ، وَقَدْ خَلَّ إِلَى أَنَّهُ قَدْ أَصَابَهَا أَهْلُ

البيت من ذلك ما لم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك لخبرتي بأهلي ، فقد كرت : هل من أحد أمت إليه برحم أو مودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب عنده شيئاً ؟ فما علمت من أحد أخرج إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجسم الرجال وأجملهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه ففتحوا له - أي أوسموا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاءه مثله منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عاهد على المدينة هشام بن إسحاق يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات . فأرادت أمه أن تأخذ ميراثاً منه فتمنعها عروة بن الزبير ، وزعم أنه لا ميراث لها ، فتوهم أمير المؤمنين حديثاً في ذلك سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه الآن ، وقد شد عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب فقلت : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال السلام عليك ، فقال له عبد الملك بحبياً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك ادخل ، فدخل قبيصة على عبد الملك وهو آخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين يحدثك بالحديث الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري فقلت : سمعت سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يتوهم في أموال أبناءهن بقيمة عدل ثم يمتقن ، فكتب عمر بذلك صديقاً من خلفائه ، ثم توفي رجل من قريش كان له ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يوجب بذلك الغلام ، فمّر ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير وني بين أن يسرقوا أمي ^(١) فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما أمرت بأمر إلا قام فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال : أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ، فأبى أمرى كان عنده أم ولد فملكها بيمينه ما عاش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، فقال : أما والله إن كان أبوك لأباً نماراً في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري فقلت : يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد الصالح : (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لسكم) فقال : أجل ! (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لسكم) قال فقلت : يا أمير المؤمنين أفرض لي فاني منقطع من الديوان ، فقال : إن بلدك ما فرضنا فيه

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبيصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهل إلا وهم في شدة وحاجة ما يملها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلك أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم بخدمة ، فإن أهلي ليس لهم خادم إلا أختي ، فأنها الآن تمجن وتخبز وتطحن قال : قد أخذتك أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقل : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلىنا التسليم ، أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبند بن ربيعة التي يقول فيها :

إن تقوى ربنا خير نفل * وبإذن الله ربي والعجل
أحمد الله فلا ند له * بيديه الخير ما شاء فعل
من هداد سبل الخير اهتدى * ناعم الببال ومن شاء أضل

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فإذا هو معتاط ينفخ ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أميركم آتفا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا على السلام ، فقلت :

لأنه جبا أن تؤتيا فتكلمنا * فما حشى الأقوام شرأ من الكبر
ومسا تراب الأرض منه خلقتنا * وفيها المعاد والمغبر إلى الحشر

فقلت : يرحمك الله ! ! مثلك في فقهك وفضلك وسنك تقوى الشر ؟ ! فقال : إن المصدور إذا نفث برا . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حدثني ، فقال : إنك لا تعرف اللغة ، فقال الشيخ : اعلى أعرفها ، فقال : فما تقول في قول الشاعر :

صريع نداحي يرفع الشرب رأسه * وقد مات منه كل عضو ومفصل ؟

ما المفصل ؟ قال : اللسان ، قال : عدد على أحدثك . وكان الزهري يتمثل كثيرا بهذا :

ذهب الشباب فلا يعود جانا * وكان ما قد كان لم يك كانا
فطويت كفي يا جنان على المصا * وكفى جنان بطيها حنانا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله العاقبة . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان عمك يتطيب ؟ قال : كنت أشم ريح المسك من سوط دابة الزهري . وقال : استسكروا من شيء لا تمسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المعروف . وامسحه رجل مرة فأعطاه قبيصة ، فقيل له : أنعطى على كلام

الشیطان ؟ فقال : إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر . وقال سفيان : سئل الزهري عن الزاهد فقال : من لم يمنع الحلال شكره . ولم يقلب الحرام صبره . وقال سفيان : قالوا للزهري : لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة ، ففقدت إلى مسجد رسول الله ﷺ ، ودرجت وجلسنا إلى عمود من أعمده فذكرت الناس وعلمهم ؟ فقال : لو أني فعلت ذلك لوطن عتي ، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهده في الدنيا وأرغب في الآخرة . وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا ، ما نوا من الجوع والعمل . كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا ، ولا يلبسون إلا ما عرفوا . وكان يقول : العبادة هي الورع والزهد ، والعلم هو الحسنة ، والصبر هو احتمال المسكاره ، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [(١)] .

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عساكر

(بلال بن سعد)

ابن تميم السكوني أبو عمرو ، وكان من الزهاد السكابر ، والعباد الصوام القوام ، روى عن أبيه وكان أبوه له صحبة ، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم ، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه ووعظه ، وقال : ما رأيت واعظا قط مثله . وقال أيضا : ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه ، كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة . وقال غيره وهو الأصمعي : كان إذا نفس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة ، فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم . وقال الوليد بن مسلم : كان إذا كبر في المحراب سمعوا تكبيره من الأوزاع . قلت : وهي خارج باب الفرديس . وقال أحمد بن عبد الله الدجلى : هو شامي تابعي ثقة . وقال أبو زرعة الدمشقي : كان أحد العلماء قاصداً حسن القصص ، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالفساد حتى قال بلال يرمي في وعظه : رب مسرور مغرور ، ورب مغرور لا يشعر ، فويل لمن له الوليل وهو لا يشعر ، يأكل ويشرب ، ويضحك ، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار ، فياويل لك روحاً ، ياويل لك جسداً ، فلنبتك ولنبتك عليك البواكي أطول الأبد . وقد ساق ابن عساكر شيئاً حسناً من كلامه في مواعظه البليغة ، فمن ذلك قوله : والله لا تكفى به ذنبا أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها ، زاهدكم راغب ، وعالمكم جاهل ، ومجتهدكم مقصر . وقال أيضاً : أشع لك كلما نقيك ذكرك بنصيبك من الله ، وأخبرك بميب فيك ، أحب إليك ، وخير لك من أشع كلما نقيك وضع في كفك دينار . وقال أيضاً : لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوه في السر ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر ، ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين

فتعظم للناس أنك تخشى الله ليحميوك وقلبك فاجر . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للبقاء وإنما خلقتم للبقاء ، ولكنكم تتلقون من دار إلى دار ، كما تقدم من الأصلاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار . وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفعن ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شهلا ، ولو علمتم بما تعملون لكان لكم مقتدا ومناجيا ، عباد الرحمن أماما وكلام به فتضيئونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتعلمونه ، ما هكذا نعمت الله عباده الموقنين ، أذو وعقول في الدنيا وبه في الآخرة ، وعنى عما خلقتم له بصراء في أمر الدنيا ، فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تتركون من معاصيه ، عباد الرحمن ! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ (أم حسبتم أننا خلقناكم عبدا وأنكم إلينا لا ترجعون) والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستغاثتم بالفرض عليكم . أترغبون في طاعة الله لدار معمورة بالأقارب ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكابها دائم وظلها ، وعرضها عرض الأرض والسموات (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) وقال أيضا : الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدنا : يجب أن تموت ؟ فيقول : لا ! فيقول له : لم ؟ فيقول : حتى أحمل ، فيقال له : اعمل ، فيقول سوف نعمل ، فلا يحب أن تموت ، ولا يحب أن تعمل ، وأحب شيء إليه يحب أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن العبد يعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضع ماسواها ، فما يزال بمنية الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة ، مع إقامة على معاصي الله . عباد الرحمن قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فإنه قال (إليه يصعد الحكم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال أيضا : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المتقبل ويدعو المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متخرجاً لوجهه من باب معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستسقون فقام بهم بلال بن سعد فقال : يا معشر من حضرة السقم مقرين بالأساءة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إني ألك قلت (ما على المؤمنين من سبيل) وقد أفرأنا بالأساءة فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك . وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أدركت أقوالا يشهدون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جهتهم الليل كانوا رعيانا . وسمعته أيضا يقول : لا تنظر إلى صغر الذنب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من بادأك بالود فقد استغرقك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات العيون . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفها كم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله يغفر الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يعفوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

ترجمة الجعد بن درهم

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر خلفاء بني أمية . كان شيعته الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ، سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلاسيين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم غربها عند حمام القطانين الذي يقال له حمام قلمينس . قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سيمان ، وأخذها بيان عن طالوت ابن اخت لبيد بن أعصم ، زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودى باليمن ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان أنطزرى ، وقيل الترمذى ، وقد أقام ببليخ ، وكان يصلى مع مقاتل بن سليمان فى مسجده ويتماظران ، حتى نفى إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ، وقيل بمرور ، قتلها نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشمر المريسى عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبى دواد عن بشر ، وأما الجعد فإنه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكر الكوفة ، فلقبه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ، ثم إن خالد بن عبد الله القسرى قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خالداً خطب الناس فقتل فى خطبته تلك : أيها الناس ضحوا بقبل الله ضحاياكم ، فاني مضج بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا . ولم يكلم موسى تكليمًا ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبجه فى أصل المنبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخارى وابن أبى حاتم والبيهقى وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساکر فى التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب يقتسل ويقول : أجمع للعقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً : ويلك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله فى كتابه أن له بدا ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك ، وأن له نفساً ما قلنا ذلك ، وأن له سمماً ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن عساکر ، وذكر فى ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروى لعمران بن حطان :

ليث على وفي الحروب لقامة * فتخذه تجمل من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوعى * بل كان قلبك في جناحي طائر
(ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة)

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا
عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال
قال رسول الله ﷺ : ترفع رتبة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة ، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده
عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سميد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن
مصعب عن الزهري به . قلت : وهذا حديث غريب منكر ، وه مصعب بن مصعب بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجعيد : وكذا تكلم في الرازي عنه أيضا
والله أعلم . وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها
توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان

(ذكر وفاته وترجته رحمه الله)

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحسك بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد
القرشي الأموي الدمشقي ، أمير المؤمنين . وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الخزرجي ، وكانت
داره بدمشق عند باب الخواصين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها الدورانية
الكبيرة ، وتعرف بدار القبايين - يدعى الذين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك الدار داره
والله أعلم . وقد برز له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعد منه إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع
بقيين من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جهيلا أبيض
أحول يخضب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين دلوا بالخلافة ، وقد كان عبد الملك رأى
في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات ، فدخل إلى سميد بن المسيب من سائمه عنها ففسرها له بأنه
يلى الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم ، وكان في خلافته حازم الزأري جماعا
للأموال يبخل ، وكان ذكيا مدبرا له بصر بالأمر وجايدا وحتيها ، وكان فيس حليم وأناة ، شتم مرة
رجلا من الأشراف فقال : أقشمتني وأنت خايفة الله في الأرض ؟ فاستجيبا وقال : اقتص مني بدلها
أو قال بمثلها ، فقال : إنا أكون سفيا ملك ، قال فخذ عوضا قال : لا أقبل ، قال : فاركب الله ، قال :
هي لله ثم لك ، فقال هشام عند ذلك : والله لا أسود إلى مثابها .

وقال الأصمعي : أسمع رجلا هشاما كلما قتل له : أقول لي مثل هذا وأنا خيفةك ؟ وغضب
مرة على رجل فقال له : اسكت وإلا ضربتك سوطا ، وكان علي بن الحسين قد اقترض من مروان

ابن الحكم مالا أربعة آلاف دينار ، فلم يتعرض له أحد من بني مروان ، حتى استخلف هشام فقال :
ما فعل حقنا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، فقال ! هو لك .

[قلت : هذا الكلام فيه نظر ، وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع وتسعين ، قبل أن يلى هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة ، فانه إنما ولى الخلافة سنة خمس ومائة ، فتقول المؤلف : إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولى هشام فظالمه بالمال المذكور ، فيه نظر ولا يصح . لتقديم موت علي على خلافة هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)]
وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابن أبي يحيى أمر شديد وقال : وددت أنى اقتديت بما بجميع ما أمالك . وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر مولى هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور على رأسه وقرنه ، فبكى الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال أنزاني أبكى للضرب ، إنما أبكى لاحتقارك البربط حتى سميت طابورا ، وأغاظ له هشام رجل يوءاً في الكلام فقال : ليس لك أن تقول هذا لامامك . وتقدم أحد ولده يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ فقال : إن بغاتي عجزت عني ، فبعث إليه أما كان يمكنك المشي ، ومنعه أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً .

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردتهما السفير إلى هشام ، وهو جالس على سر بر في وسط داره ، فقال له : أوسلمهما في الدار ، فأرسلهما ، ثم قال : جازني يا أمير المؤمنين فقال : ويحك وما جازتلك على هدية طيرين ؟ خذ أحدهما ، فجعل الرجل يسمى خلف أحدهما ، فقال : ويحك ما بالاك ؟ فقال أختار أجودهما : قال : وتختار أيضاً الجيد وتترك الرديء ؟ ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهما . وذكر المدائني عن مجرم ^(٢) كاتب يوسف بن عمر . قال : بعثني يوسف إلى هشام بياقوتة حمراء ولواؤة كانتا لأربعة ، جارية خالد بن عبد الله القسري ، مشتهرى اليقوتة ثلاثاً وسبعون ألف دينار ، قال : فدخلت عليه وهو على سر بر فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ، فأورينها له ، فقال : كم زنتها ؟ فقلت : إن مثل هذه لا مثل لها ، فسكت . قالوا : ورأى قوما يفرطون الزيتون فقال القطود لقطا ولا تنفضوه نفصاً ، فتفقأ عيونهم وتمكسر غصونهم ، وكان يقول : ثلاثة لا يضمن الشريف : تعاهد الصنيعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر الخرائطي : يقال إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تمص الهوى قاذك الهوى * إلى كل ما فيه عليك مقال

وقد روى له شعر غير هذا ، وقال المدائني عن ابن يسار الأعرجي حدثني ابن أبي بجيلة عن عقاب بن

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا ولم نجد له مرجعاً .

شبة قال : دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضر ، فوجهني إلى خراسان ، ثم جعل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ، ففطن فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فتك أخضر ، [وكنت رأيت عليك مثله] قبل أن تلي الخلافة ، فجعلت أتأمل هذا هو ذاك أم غيره ، قال : والله الذي لا إله غيره هو ذاك ، مالي قباء غيره ، وما ترون من جمعي لهذا المال وصونه إلا لكم . قال عقاب : وكان هشام محشواً بخلا .

وقال عبيد الله بن علي عم السفاح : جئت دواوين بني أمية فلم أر أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام . وقال اندائني عن هشام بن عبيد الحميد : لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، وهو الذي قتل غيلان القندري ، ولما أخضر بني يديه قال له : ويحك قل ما عندك ، إن كان هذا اتبعناه ، وإن كان باطلا رجعت عنه ، فنأظره ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء ، فقال له : أيمسى الله كارها ؟ فسكت غيلان فقيده حينئذ هشام وقتله . وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منذر بن أبي نود قال : أصبنا في خزان هشام اثني عشر ألف قيص كلها قد أنزجها . وشكى هشام إلى أبيه فلانا إحداهن أنه يهاب الصعود إلى المنبر ، والثانية قللة تناول الطعام ، والثالثة أن عنده في القصر مائة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صعودك إلى المنبر فاذا علوت فوفقه فارم ببصرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قللة الطعام فمر الطباخ فليكثر الأتوان فمالك أن تتناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبيد الله الشافعي : لما بني هشام بن عبيد الملك الرصافة قال : أحب أن أدخل بها يوماً لا يأتيني فيه خبر غم ، فما انصرف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثور ، فقال : ولا يوماً واحداً ! وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا حسين ابن زيد عن شهاب بن عبيد ربه عن عمر بن علي قال : مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين - إلى داره عند الحمام فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي ﷺ قال : « إن يعمر الله ملكاً في أمة نبي قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمته ، فإن الله عمر نبيه ﷺ ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبي خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال : من حدثك به ؟ قلت : إبراهيم ، فتلهم أن لا يكون سمعه ، وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القمام بن الفضل حدثني عباد بن المعمر الفسكي^(١) عن غصم بن

(١) كذا الأصل .

المنذر بن الزبير عن عبيد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليع عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [عليه] الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومى هذا . قال : فكتبنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسوله في الليل يقول : احضر معك دواء للذبحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه فموفى ، فذهبت إليه ومضى ذلك الدواء فتناوله وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : يا سالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وذو الدواء عندي ، فذهبت فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصياح عليه ، فنجت فإذا هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم سيكون حوله فقال : جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له . ولما مات جاءت الخزنة فتحتوا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يتدروا له على فحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالرصافة يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الإسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم ومملكتهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك بمسوطاً مقدر في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر

وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فهرس المجلد التاسع من البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
٢٧ سنة تسع وسبعين . وقوع طاعون عظيم بالشام .	٢ سنة أربع وسبعين
٢٩ غزو رقبيل ملك الترك الأعظم	٣ ذكر وفاة أبي سعيد الخدري
٣١ سنة ثمانين من الهجرة . وفيها كان السيل الجحاف بمكة .	٤ » » عبد الله بن عمر
٣٢ وفاة أسلم . ولي عمر بن الخطاب	٥ » » عبيد بن عمير . أبي جهميفة . سلمة
» جبير بن نفير . عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وترجمته	٦ ابن الأكوخ . مالك بن أبي عامر . أبي عبد الرحمن السلمي . أبي معرض الأسدي . بشر بن مروان
» أبي إدريس النطواني . عبد الجهمي القدري	٧ سنة خمس وسبعين .
٣٤ سنة إحدى وثمانين وفيها فتح المسلمون مدينة قاليقلا ، وقتل بكير بن وشاح .	١١ وفاة أبي ثعلبة الخشني . الأسود بن يزيد . حران بن أبان .
٣٥ فتنة ابن الأشعث	١٢ سنة ست وسبعين
٣٧ وفاة مجير بن ورقاء . سويد بن غفلة . عبد الله بن شداد .	٢٠ اجتماع صالح بن مسرح شبيب بن يزيد
محمد بن علي بن أبي طالب وتاريخ حياته	أحد شجيمان الخوارج
٣٩ سنة ثنتين وثمانين وفيها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج	١٣ دخول شبيب وامراته غزاة الكوفة
٤٠ وقعة دبر الجماميم	١٤ ذكر أن عبد الملك نقش على الدراهم الدنانير
٤٣ وفاة المهلب بن أبي صفرة . أسماء بن خارجة المظيرة بن المهلب . الحارث بن عبد الله بن عبد الله بن أسامة بن زيد . عبد الله بن أبي طلحة . عبد الله بن كعب بن مالك .	وهو أول من نقشها .
٤٤ عثمان بن وهب . جميل بن عبد الله الشاعر وترجمته حياته .	١٥ وفاة أبي عثمان النهدي . سلمة بن أشيم . زهير ابن قيس البلوي . المنذر بن الجارود
٤٦ عمر بن عبد الله القرشي وثي . من ترجمته .	١٦ سنة سبع وسبعين . وفيها أخرج الحجاج جيش الكوفة إلى شبيب
٤٧ فاذاق أبو عمر والكنا . أم الدرداء العمري	١٩ مقتل شبيب .
٤٨ سنة ثلاث وثمانين . القتل بين الحجاج وابن	٢١ وفاة كثير بن العاصم . عياض بن غنم الأشعري محمد بن موسى . مطرف بن عبد الله .
	٢١ سنة ثمان وسبعين .
	غزو المسلمين بلاد الروم وفتح إريقية .
	٢٢ وفاة جابر بن عبد الله . شرح بن الحارث وترجمته
	٢٦ عبد الرحمن بن غنم . جنادة بن أمية . العلاء . ابن زياد البصري وترجمته .

صحيفة	صحيفة
عمر بن حكيم .	الأشعث بدير الجحاجم .
٧٦ سنة تسع وثمانين . ما فيها من الفتوحات والغنائم	٤٩ انتصار الحجاج على ابن الاشعث
٧٧ سنة تسعين من الهجرة . ما فيها من فتح	٥١ بناء واسط .
الحصون وقتال الروم .	ذكر من توفي من الأعيان . عبد الرحمن
٧٨ هرب يزيد بن المهلب وأخيه المفضل من	ابن جحيرة . طارق بن شهاب . عبد الله بن عدي
سجن الحجاج والتجأوا هما إلى سليمان بن عبد الملك	٥٢ سنة أربع وثمانين .
من توفي في هذه السنة من الأعيان : يتاذق	٥٠ من توفي من الأعيان : أيوب بن القرية .
الطبيب . خالد بن يزيد بن معاوية . عبد الله	عتبة بن منذر السلمي .
ابن الزبير الأسدي الشاعر .	٥٣ روح بن زنباع . عبد الرحمن بن الأشعث
٨١ سنة إحدى وتسعين وفيها غزو بلاد الترك	٥٤ ترجمة أيوب بن القرية وروح بن زنباع .
وبلاد المغرب	٥٥ سنة خمس وثمانين . عزل يزيد بن المهلب
٨٣ ومن توفي فيها السائب بن يزيد ، وسهل بن	عن إمرة خراسان
سعد الساعدي .	٥٧ - ٦٠ وفاة عبد العزيز بن مروان بعد عزله عن
٨٣ سنة ثنتين وتسعين	إمارة الديار المصرية وترجمة حياته
٨٤ وفيها توفي مالك بن أوس طويس المغني . الأخطل	٦٠ بيمة عبد الملك بن مروان لولده الوليد ثم من
٨٤ سنة ثلاث وتسعين	بمده لأخيه سليمان
٨٥ - ٨٨ فتح سمرقند ومدائن أخرى	٦١ سنة ست وثمانين . وفاة عبد الملك بن مروان
٨٨ وفاة أنس بن مالك وترجمته	وتاريخ حياته وبيان أعماله
٩٢ عمر بن أبي ربيعة وشي من شعره	٦٩ أرطاة بن زفر . مطرف بن عبد الله بن الشخير
٩٣ تراجم كثير من الأعيان ومنهم أبو الشعثاء	٧٠ خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق
جابر بن زيد وترجمته	٧١ سنة سبع وثمانين وما فيها من أعمال الوليد
٩٥ سنة أربع وتسعين	٧٣ من توفي فيها من الأعيان : عتبة بن عبد السلمي
٩٦ مقتل سميد بن جبير وسبب قتله وكيفيته .	المقدام بن معدى كرب . أبو أمامة الباهلي .
٩٩ وفاة سميد بن المسيب	قبيصة بن ذؤيب . عروة بن المغيرة بن شعبة
١٠١ « طلق بن حبيب العنزي ، وعروة بن	شرح بن الحارث القاضي .
الزبير بن العوام	٧٤ سنة ثمان وثمانين وما فيها من الغزوات
١٠٣ « علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	والفتوحات والغنائم .
١٠٨ قصيدة الفرزدق في سيدنا علي زين العابدين	٧٥ من توفي فيها من الأعيان : عبد الله بن بسر
ابن الحسين	عبد الله بن أبي أوفى . هشام بن إسماعيل .

صحيفة	صحيفة
١١٥ وفاة أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث	١٨٧ سنة مائة من الهجرة النبوية. وما فيها من الحوادث
١١٦ سنة خمس وتسعين	١٨٩ بدء دعوة بني العباس. من توفي فيها من الأعيان
١١٧ ترجمة الحجاج بن يوسف وذكر وفاته	١٩١ سنة إحدى ومائة. وفيها كانت وفاة عمر
١٢٢ فصل في كيفية دخول الحجاج الكوفة	ابن عبد العزيز
١٢٨ « فيما روى عنه من الكلمات النافعة الخ »	١٩٢ ترجمة عمر بن عبد العزيز
١٤٠ ومن توفي في سنة خمس وتسعين من الأعيان	١٩٦ فصل فيما يؤرخ عنه من الأخبار
إبراهيم النخعي. الحسن بن محمد بن الحنفية. حميد	٢٠١ مقالته زوجته فاطمة فيه.
ابن عبد الرحمن. مطرف بن عبد الله بن الشخير	٢٠٥ ما كان يتمثل به من الأشعار
١٤٠ سنة ست وتسعين	٢٠٧ فصل في الحديث الذي ذكر فيه في دلائل النبوة
١٤٢ تكامل بناء جامع دمشق ووصفه على ما هو عليه	٢٠٨ « في أعماله الحسنة الطيبة.
١٥٢ قصيدة لبعض المحدثين في جامع دمشق وفي دمشق	٢٠٩ ذكر سبب وفاته رحمه الله.
١٥٤ فصل فيما روى في جامع دمشق من الآثار	٢١٢ فصل في أعماله في الدولة
١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا	٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك.
عليهما السلام.	٢٢٠ سنة ثنتين ومائة وما كان فيها من الحوادث
١٥٨ ذكر الساعات التي على بابه	وهزيمة ابن المهلب
١٥٩ ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الأموي	٢٢٢ ولاية مسلمة بن عبد الملك على بلاد
١٦٠ فصل في ابتداء عمارة دمشق	المراق وخراسان
١٦١ ترجمة الوليد بن عبد الملك وذكر وفاته	٢٢٣ ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين
١٦٦ خلافة سليمان بن عبد الملك.	من توفي في هذه السنة من الأعيان.
١٦٧ ذكر سبب مقتل قتيلة بن مسلم	٢٢٤ سنة ثلاث ومائة. ومن توفي فيها من الأعيان.
١٦٩ سنة سبع وتسعين	٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي وتاريخ حياته
١٧٠ وفاة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٢٢٩ سنة أربع ومائة
١٧١ « موسى بن نصير وترجمته »	٢٣٠ من توفي فيها من الأعيان.
١٧٤ سنة ثمان وتسعين وأعمال سليمان بن عبد الملك فيها	٢٣١ سنة خمس ومائة
١٧٧ سنة تسع وتسعين. وفيها كانت وفاة سليمان	٢٣١ ترجمة يزيد بن عبد الملك وذكر وفاته
ابن عبد الملك. وتاريخ حياته.	٢٣٣ خلافة هشام بن عبد الملك.
١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه	٢٣٤ سنة ست ومائة.
١٨٥ وفاة الحسن بن محمد بن الحنفية. عبد الله	وفيها كانت وفاة سالم بن عبد الله بن عمر
ابن محيريز. وكثير من الأعيان.	ابن الخطاب

ضحيقة	ضحيقة
٢٣٥ وفاة طاوس بن كيسان النخعي وترجمته .	٣٢٠ ترجمة علي بن عبد الله بن عباس
٢٤٤ سنة سبع ومائة . ومن توفي فيها من الأعيان	٣٢١ سنة تسع عشرة ومائة
سليمان بن يسار . عكرمة . ولي ابن عباس وترجمته	٣٢٢ قتل خاقان ملك الترك الأعظم
٢٥٠ وفاة القاسم بن محمد بن أبي بكر . كثير عزة	٣٢٣ قتل المنيرة بن سعيد الساحر
وماروي من شعره	٣٢٤ سنة عشرين ومائة من الهجرة
٢٥٦ سنة ثمان ومائة وما فيها من الحوادث	٣٢٥ ظهور شيعة آل العباس
٢٥٧ ترجمة محمد بن كعب القرظي ووفاته	٣٢٦ سنة إحدى وعشرين ومائة
٢٥٩ سنة تسع ومائة . سنة عشر ومائة .	٣٢٨ ترجمة مسleme بن عبد الملك وذكر وفاته
٢٦٠ ترجمة جرير الشاعر ووفاته	٣٢٩ سنة ثنتين وعشرين ومائة
٢٦٥ ترجمة الفرزدق	٣٣٠ كيفية قتل زيد بن علي بن الحسين
٢٦٦ « الحسن البصري	٣٣١ « أبي يحيى المعروف بالبطل
٢٦٧ « محمد بن سيرين	٣٣٤ ترجمة إلياس الذكي
٢٦٧ « وهب بن منبه	٣٣٨ سنة ثلاث وعشرين ومائة
٣٠٢ ذكر باقي من توفي من الأعيان في سنة عشر ومائة	٣٣٩ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان
٣٠٣ سنة إحدى عشرة وأثنتي عشرة ومائة	سماك بن حرب . محمد بن واسع وترجمته
٣٠٤ ترجمة رجاء بن حيوة . شهر بن حوشب .	٣٠٥ سنة أربع وعشرين ومائة
٣٠٥ ترجمة الأمير عبد الوهاب بن بخت ووفاته	٣٤٠ وفي هذه السنة توفي القاسم بن أبي بزة
« مكحول الشامي .	٣٤٠ تاريخ حياة ابن شهاب الزهري
٣٠٦ سنة أربع عشرة ومائة	٣٤٤ فصل فيما روى عن الزهري من الآثار والعلم
٣٠٧ ترجمة عطاء بن أبي رباح	والورع والزهد .
٣٠٩ سنة خمس عشرة ومائة	٢٤٨ بلال بن سعد وترجمته وما كان عليه من
٣١٠ ترجمة أبي جعفر الباقر	العبادة والزهد والتفكير
٣١٢ سنة ست عشرة ومائة .	٣٥٠ ترجمة الجعد بن درهم
٣١٣ سنة سبع عشرة ومائة	٣٥١ سنة خمس وعشرين ومائة
٣١٤ ترجمة قتادة بن دعابة السدوسي	٣٥٢ ذكر وفاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وترجمته
٣١٩ نافع . ولي ابن عمر - ذوالرمة الشاعر	٣٥٢ الرد علي من قال : إن هشام بن عبد الملك
٣٢٠ سنة ثمان عشرة ومائة	طالب علي بن الحسين بما كان استدانه من مروان
	جد هشام .
	(تم فهرس)

تاريخ بغداد

أوردته سنة السلام

أبي بكر الخطيب البغدادي

وضعه في أزهى عصور الإسلام سنة ثمان مائة وتسعة عشر

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

تشرف بإعلان الجمهور بأنها أتمت طبع كتاب (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للحافظ
أبي بكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ وهو في ١٤ مجلداً زهاء ٧٠٠٠ صفحة يشتمل على
٧٨٣١ ترجمة .

صدره بمقدمة تشتمل على وصفها وبنائها وتخطيطها ومحاسنها موصولاً بفتح المدائن ومن كان بها
من الصحابة إلى صحيفة ٢١٤ من المجلد الأول . ثم شرع في المقصود من الكتاب فذكر ساكنيها من
الخلق والمالوك والأمرأ والوزراء والعلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والعقهاء والأخباريين
والكتاب والشعراء الخ .

مرتباً جميع ذلك على الحروف ثم ختمه بذكر فضليات النساء . والكتاب أحد أهميات التاريخ
الإسلامي وضمه في أزهى عصور الإسلام من خلافة أبي جعفر المنصور إلى خلافة القائم بأمر الله
العباسي في مدة (٣١٥) سنة .

وقد قال فيه الحافظ السخاوي : إنه تاريخ الدنيا لتناوله تراجم كل من دخلها من أهل العلم
للاستفادة أو الأفادة .

وقد جملنا ثمنه كلاً في : ورق (بدون تجليد) ١٤٠ مائة واربعون قرشاً صاغاً ويطلب من
مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني وهو يقع في عشرة أجزاء في القطر
المتوسط « القلبين الجوز » على ورق أبيض ناعم . طبع منه سبعة أجزاء وجاري الطبع في الثامن
وئمن الجزء الواحد ١٠ عشرة قروش صاغ . ﴿ ونسأل الله التوفيق إنه على كل شيء قدير ﴾